الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

العدد (١٤١) ـ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ـ السنة الثانية عشرة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨ م ISSUE 141 - 12TH YEAR - OCT/NOV. 1988.

لا إله إلا الله محمد رسول الله











الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE • PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

العدد (١٤١) ـ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ـ السنة الثانية عشرة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨ م ISSUE 141 - 12TH YEAR - OCT/NOV. 1988.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

• المراسلات :

مجلة « الفيصل » ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلكس ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ ـ فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

• ALL CORRESPONDENCE TO :

AL-FAISAL MAGAZINE P.O.BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex 402600 DRFATH SJ, Telefax : 4647851

• أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :

البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	مصر	١٠٠ قرش
الكويت	٦٠٠ فلس	السودان	١٠٠ قرش
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم	المغرب	٥ دراهم
قطر	٧ ريالات	تونس	٥٠٠ مليم
البحرين	٦٠٠ فلس	الجزائر	١٠ دنانير
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	العراق	٤٠٠ فلس
الأردن	٤٠٠ فلس	سورية	١٠ ليرات
ج. ع. اليمنية	٦ ريالات	ليبيا	٨٠٠ درهم
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس		

• EUROPE - AMERICA - ASIA :

Country	Price	Country	Price
Belgium	BF 200	Pakistan	RS 15
Denmark	DKR 30	Portugal	ESQ 100
Finland	FMK 30	Spain	PTS 150
France	FF 15	Sweden	SKR 30
F.R.G.	DM 10	Switzerland	SF 6
Greece	DR 200	United Kingdom	£ 2
Italy	L 4000	U.S.A.	$ 5
Netherlands	DFL 10		
Norway	NKR 30		

• أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة « الفيصل »

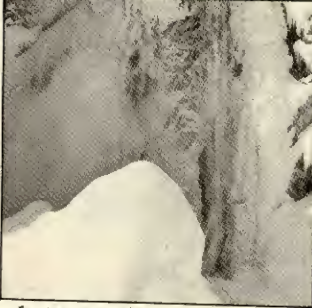
• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES :

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الهاتف : ٤٩٨٣٣٩٢ ـ الرياض

في هذا العدد



متنزه وطني.. كان منطقة غابات شاسعة.. تجتمع في جبال الجليد والبحيرات الساخنة.. عن المتنزه والمنطقة طالع ص (١١)



عن أنواع وطباع الحمام البري في البيئة العربية ، وأقوال الشعراء عن الحمام وأوصافه وسلوكه طالع ص (٢٠)



عن الفكر السياسي والتراث ، والقرآن الكريم كدستور كامل ، والصراع الحضاري.. طالع «لقاء مع» د. عبدالله شريط ص (٤٣)



عن تاريخ ، وأنواع ، وكيفية حدوث التوائم الملتصقة .. وكيفية فصلها جراحياً.. طالع ص (٨٢)



عن أنواع اللعب، ووظائفه التربوية، والاجتماعية والخلقية في كافة مراحل نمو الأطفال.. طالع ص (٨٥)

من كتاب هذا العدد



قاسم الحسيني

● من مواليد المغرب عام ١٩٤٨م .

● حصل على إجازة في أصول الدين ، وإجازة في الأدب العربي .

● كما حصل على الماجستير في الأدب (تخصص أدب أندلسي - مغربي) .

● يجيد الأسبانية والفرنسية .

● عمل مدرساً بالتعليم الثانوي ، فمفتشاً .

● يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - شعبة الدراسات الإسلامية بالرباط .

● له كتاب « الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري موضوعاته وخصائصه .

● وله أبحاث ومقالات أدبية متعددة .



د . نور الدين صمود

● من مواليد « قليبية » في تونس (٦/ ٧/ ١٩٣٢ م) .

● دكتوراه عن أطروحة بعنوان « تأثير القرآن الكريم في شعر المخضرمين على صعيد اللفظ والمعنى والأسلوب » .

● يجيد الفرنسية ، ومبادىء في عدة لغات .

● يعمل حالياً أستاذاً في الكلية الزيتونية - بالجامعة التونسية ، وأستاذاً بالمعهد العالي للموسيقى .

● من أعماله : « رحلة في العبير » ديوان شعر ، و« زخارف عربية » ، و« محمود المسعدي وكتابه السد » ، و« دراسات في نقد الشعر » .. وغيرها من الأعمال .. إلى جانب إنتاجه برامج إذاعية وتليفزيونية ، ومساهماته الكتابية في الصحافة .

● عضو اتحاد الكتاب التونسيين ، ورئيس رابطة القلم الجديد ، واللجنة الثقافية بقليبية ، ورئيس تحرير وإدارة مجلة « الشعر » ، ومستشار في الإذاعة .



د . أحمد إبراهيم سيد علي

● من مواليد القاهرة - مصر عام ١٩٤١م .

● دكتوراه في الفقه المقارن مع مرتبة الشرف الأولى .. ويحمل دبلوماً في اللغة الإنجليزية - الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

● يجيد الفرنسية والإنجليزية .

● عمل في القضاء إلى أن وصل إلى درجة رئيس محكمة .

● يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية المعلمين في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية .

● من أعماله : كتاب « الوصية في الشريعة الإسلامية » ، وكتاب « أحكام المواريث في الفقه الإسلامي » وكتاب « التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي » .



د . محمد مروان النحاس

● من مواليد دمشق - سورية عام ١٩٤١م .

● دكتوراه في الطب البشري ، وشهادة تسجيل اختصاص في جراحة الأطفال .

● يجيد الإنجليزية .

● عمل طبيباً في مستوصفات ومشافي الجيش في سورية .

● عمل جراحاً مقيماً في عدة مشافي جامعات بريطانية (جراحة رضية - جراحة عظمية - جراحة أطفال) .

● يعمل حالياً طبيباً أخصائياً في جراحة الأطفال بالمستشفى العام في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية .

● شارك في بعض المؤتمرات الطبية .

● له عدة مقالات عن بعض الأمراض الجراحية عند الأطفال .

استخدام الصهيونيين لعملاء جرائم:

دراسة لإحدى روايات (ديكنز)

بقلم: د. نصر محمد عبد الرحمن

عندما كتب (تشارلز ديكنز) رواية « أوليفر تويست » في عام ١٨٣٨ م ، وجّه جلّ اهتمامه نحو تحقيق هدف تنبيه عقل الشعب الإنجليزي إلى المفاسد التي ينشرها الصهيونيون في المجتمعات غير اليهودية التي يقيمون فيها ، فكشف إشاعتهم للجريمة ولمنكرات الأخلاق ، وجسَّد اندفاعهم بقوة غريزية مستديمة في تأدية هذه الوظيفة المؤذية في الحياة الإنسانية ، وبيّن عدداً من الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي ترافق هذه المسيرة الشيطانية ، ومن بينها ظاهرة تجنيدهم لعملاء يستخدمونهم في إذكاء نار الجريمة .

استخدام (فيجن) لعملاء جرائم

يذهل قارئ الرواية من كثرة عدد العملاء الذين يستخدمهم (**فيجن**) ، رمز النشاط الصهيوني التخريبي في الرواية المذكورة ، في تنفيذ مشاريع الإجرام التي يهدف منها إلى إفساد المجتمع ، كما يذهل من كثرة أنواعهم : فمنهم من يخدم خدمة دائمة ، ومنهم من يعمل قطعةً قطعة ؛ منهم المسنّ والكهل والحدث والذكر والأنثى ، منهم المخبر ومنهم اللص ومنهم النشّال ؛ منهم اليهودي ومنهم النصراني من أبناء الشعب الإنجليزي الطامعين بالأجر المادي . **ويريد (ديكنز) من حشد هذا العدد الكبير من عملاء (فيجن) من النصارى الإنجليز أن يبيّن لقارئ الرواية أن هؤلاء يلعبون لعبة الشرّ الاجتماعي في أيدي الصهيونيين ، لكي يقبض الصهيونيون ثمن ذلك اللعب باليد الأخرى** . والعنصر الأهم من ثمن النشاطات الهدّامة الذي تقبضه أيدي المنظمات السرّيّة الصهيونية هو تحقيقها لهدف تحويل المجتمع إلى حالةٍ من الفساد الاجتماعي والأخلاقي الذي يؤدي إلى خرابة ، طبقاً لمخطط صهيوني رهيب متكامل الحلقات ، لكي يتسنى لتلك المنظمات بعدئذٍ أن تبسط هيمنتها عليه . إن العنصر الذي يشرف الصهيوني (فيجن) على تنفيذه من هذا المخطط الرهيب هو تنشيط حركات السرقات واللصوصية والنشل في مجتمع مدينة (**لندن**) . ولذا فإنه يقتني عدداً كبيراً من الصبيان والفتيات ، ويعطيهم دروساً في مدرسته في مهارات النشل من الناس في الشوارع ، وفي مهارات السرقة من الحوانيت ، ويستخدم عدداً من اللصوص المدرّبين الذين يقومون بعمليات سطوٍ كبيرة على البيوت ، ويجلب هؤلاء جميعهم مسروقاتهم إليه ، لكي يقوم هو ببيعها لتجار صهيونيين متخصصين بشراء الأشياء المسروقة وببيعها للجمهور ، ويتآمر مع أناسٍ ساقطين من ضعاف النفوس الذين يريدون أكل حقوق شركائهم في إرث ، أو في ما شاكل ذلك ، مثل (**مونكس**) ، فيأخذ منهم



مبلغاً من المال في مقابل جهود العصابة في تنفيذ عملية خطف الشريك وتصفيته جسدياً ، أو لقاء توريطه في مشاكل إجرامية ملفّقة ، تؤدي به إلى السجن المؤبد أو إلى النفي من البلاد . ومن الواضح أن أعمال (فيجن) تلك تتطلب منه اقتناء هذا العدد الكبير من العملاء والأُجَراء الذين شكّل منهم عصابة للإجرام تحت قيادته .

انتقاء العمـلاء والأُجَـراء

إن استخدام الصهيونيين للعملاء والأُجَراء في تنفيذ مشاريعهم الرامية إلى تخريب المجتمعات يستلزم خبرة كافية في انتقائهم بحيث يكونون مستعدين للإذعان لأوامر رئيسهم الصهيوني عندما يوجههم للعمل ضدّ سلامة مجتمعهم وأمنه ، لأنهم من ذوي الشخصيات المهزوزة ومن نوع الرجال والنساء الساقطين . وقد أظهر (ديكنز) اهتماماً واضحاً بتبيان مسألة انتقاء العملاء في الرواية التي نحن بصددها . إنّه يصوّر ، على سبيل المثال ، تفاصيل **عملية التجسس** والتصنت على (**نوآي كليبول**) وخليلته (**تشارلوت**) ، من قِبَل (**بارني**) أولاً ، وهو معاون لرئيس العصابة بالمراقبة والتجسس ، ومن قِبَل رئيس العصابة (فيجن) ثانياً ، وذلك في فندق « **المقعدين الثلاثة** » ؛ ويوضح (ديكنز) تفاصيل ما جمعه (فيجن) من معلومات عن طريق هذا التصنت عن ظروف وأسباب هربهما من سيدهما القديم في الريف إلى مدينة (لندن) ، قبل أن يقرر أنهما مناسبان للعمل التخريبي الذي سوف يكلفهما بالقيام به .[1] فمن بين الصفات التي اكتشفها في (نوآي) من خلال تصنته عليه صفة ضعف الشخصية وتهافتها ، وهي صفة مطلوبة في من يتوخى منهم (فيجن) تنفيذاً ذليلاً لمشاريعه الإجرامية . وقد تأكد من وجود تلك الصفة عند (نوآي) عندما سمع منه كلاماً متناقضاً عن طبيعة العمل الإجرامي الذي يناسبه : فقد سمعه أولاً يتفاخر أمام خليلته (تشارلوت) ، مدَّعياً أن شجاعته تؤهله لمركز قيادي « عالٍ » في أعمال السرقة والإجرام ، ثم سمعه بعد ذلك وهو يقول له عندما تفاوض معه على اختيار العمل المناسب له إنه يريد « عملاً من صنف متدنٍّ وحقير ، يؤدّيه بطريقة خفيّة ، ولا تزيد المخاطرة في تأديته له عن المخاطرة التي ينطوي عليها جلوسه في بيته » ،[2] مثل أعمال التجسس على الآخرين ، ومثل السرقة من الأطفال الصغار الذين ترسلهم أمهاتهم في مهمّات تسوّق . والدليل الثاني الذي استدلّ به (فيجن) على ضعف شخصية (نوآي) وتفاهتها هو الكلام الذي سمعه يتحدّث به مع خليلته عن قصورٍ يتوهم بناءَها في الهواء ، من مثل توهمه أنه سوف يصبح « سيّداً ماجداً » بين يوم وليلة ، وأن خليلته الخادمة الهاربة معه سوف تصبح « سيّدةً من سيدات المجتمع » ، وذلك عن طريق سرقتهما لنقود ربّ العمل الذي يستخدمهما ، وسرقة أشياء أخرى أهمّ من ذلك ، كما يقول لها .[3] .

والصفة الثانية التي اكتشفها (فيجن) في (نوآي) من خلال تصنّته عليه هي صفة الأنانية الشديدة ، وهي صفة ترتبط عادةً بصفة ضعف

استخدام الصهيونيين لعملاء جرائم:

الشخصية ، وتؤهّل صاحبها للخدمة عند رئيس عصابة للإجرام ، لأنها تجعله أقل قدرةً من غيره على التعامل مع الشدائد ، وأكثر منهم اعتماداً على تبعيته لسيده ، إذ يعتبره أكثر قوةً ونفوذاً منه . لقد تمكّن (فيجن) الماكر من كشف خصلة الأنانية الشديدة عند (نوآي) عندما سمعه يقول لخليلته إنه قد جعلها تحفظ معها النقود التي أمرها بسرقتها من (**ساوربري**) ، لكي يلصق تهمة السرقة بها وحدها في حال انكشاف هذه الجريمة لسلطات الأمن ، وأما في حال عدم انكشاف الجريمة فإنه سوف يحصّل تلك النقود منها .(٤) .

صنـع الظـروف للمجـرميـن

إن الصهيونيين الذين يرمز إليهم (فيجن) في الرواية يعرفون بالفطرة أي أنواع من المواقف يحصلون فيها على إذعان الآخرين لعروض تجنيدهم لمشاريعهم الإجرامية والخيانية ، وهكذا فإنهم يصنعون الظروف التي تجبر الفرد على أن يقبل استغلالهم له في عمليات إجرامية ، حتى عندما تكون طبيعته كارهةً للسلوك الإجرامي ، ويفرضون تلك الظروف عليه فرضاً . إن (**نانسي**) ، مثلاً ، فتاة ذات ضمير حيّ تعتمل فيه تقوى الله ، ولكن الظروف التي أحاطها بها (فيجن) ، والتي فرض عليها أن تعيش فيها ، جعلت منها امرأة سيئة ، إن الجانب الإيجابي من شخصيتها واضح من تعاطفها مع سجين عندما سمعت أجراس الكنيسة وهي تقرع إيذاناً بقرب إعدامه ، على الرغم من أنها لم تكن تعرفه ،(٥) وهو واضح أيضاً من إصرارها على تقديم الحماية للصبي (**أوليفر تويست**) في النصف الثاني من الرواية ،(٦) لكي تخلّصه من (فيجن) ، عندما تأكد لها أن هذا الأخير قد تآمر مع (**مونكس**) على مستقبل الصبيّ من أجل تدميره تدميراً تاماً . ولكن الظرف الذي صنعه (فيجن) من حولها شكّل طوقاً منع هذا الجانب الخيّر من طبيعتها النفسية من التحرك ؛ ذلك لأنه كان قد ألحقها بالعصابة منذ أن كانت طفلة يتيمة صغيرة السن ، ولأنه كان قد أوثق تعليقها بالعصابة عن طريق ربطها جنسياً بلصٍّ محترف خطير من لصوصها ، وهذا الظرف الخاص الذي وضعها فيه عطّل فاعلية الجانب الإنساني الطيّب من شخصيتها ، فظلّ ذلك الجانب معطلاً حتى جاء وقت اختيارها اختراق الطوق ودفع روحها ودمها ثمناً لهذا الاختراق .

مما يدلنا على ذكاء (ديكنز) الخارق في فهمه لخصلة اصطناع الظروف التي يمتلكها الصهيونيون أنه يحلّل في الرواية اهتمام (فيجن) ، ممثل الصهيونية ورمز سلوكيتها التخريبية التي تتميز بها ، بأن يضع الأفراد الذين يريد ابتزازهم في وضع يجبرهم على الرضوخ لابتزازه لهم ، وبأن يتجسس على أولئك الأفراد من أجل اكتشاف دقائق من سيرتهم الحياتية تساعده على تركيب الوضع الذي يكرههم على الرضوخ ، كما حدث في اصطناعه للخطة التي اتبعها في تجنيد (نوآي) لخدمة مشاريعه الإجرامية ، إذ استرق السمع من وراء نافذة زجاجية سرّيّة ، وعرف أن (نوآي) وخليلته (تشارلوت) هاربان من العدالة ومتورطان في سرقة نقود سيدهما السابق (ساوربري) ، ثم جاء إلى (نوآي) واستند على ذلك الاكتشاف الماكر في تجنيده لهما ، إذ أخبره أنه كان الشخص الوحيد الذي كشف تورطهما ، وهكذا جعل (نوآي) يفسّر الموقف بأن هذا الصهيوني الماكر قد أصبح قادراً على أن يسلّمه للعدالة فوراً ، في حال رفضه لعرض استخدامه له في النشاطات الإجرامية ، أو في حال معارضته للشروط التي طلب منه أن يعمل بموجبها عنده .

إحدى الوسائل التي يتوسلون بها من أجل إحاطة العملاء بظروف وأحوال تجبرهم على قبول الخدمة عندهم في النشاطات الإجرامية هي **وسيلة التجويع** . فعلى سبيل المثال ، عندما غضب (فيجن) من (سايكس) بسبب إخفاق الأخير في عملية السطو على بيت السيدة (**ميلي**) ، اتخذ التدابير التي وضعته في حالة من الإملاق الشديد ، وما نتج عنه من فاقة ومرض خطير ، وأبقاه على تلك الحال مدة تزيد على ثلاثة أسابيع ، ثم جاء إليه مصحوباً ببعض أفراد عصابته حاملين معهم أنواعاً من الطعام والشراب . وعندما ألحَّ (سايكس) عليه من أجل أن يعطي سبباً لتخليه عنه في محنته طيلة تلك المدة ، لم يقل أكثر من « أن السبب موجود ولكنه لا يستطيع أن يفصح عنه » ، وقد حمل هذا التملّص الصهيوني (سايكس) على أن يبيّن السبب الحقيقي ، إذ قال : « سوف أقول لك ما هو السبب ، يا(فيجين) . لقد أصابتني الحمى من جرّاء خدمتي لك ، لأنني بقيت أهيم على وجهي مدة طويلة في الجو الرطب ، هرباً من العدالة ، من أجل أن تجمع يداك الذهب وتكدّسه في زكائبك التقليدية العفنة . وقد تركتني أتضوّر جوعاً ، وظلّ جسمي يهزل شيئاً فشيئاً هنا ، وغرضك من ذلك هو أن يجيءَ الوقت الذي تنحطّ فيه قواي إلى درجة كافية لإرغامي على قبول أي عمل توغر إليّ في القيام به ، وبالثمن الذي تريده أنت » .(٧)

استعمــال الخــداع

وقد برهن (ديكنز) كذلك على فهم عميق لاستخدام الصهيونيين لأساليب الخداع في تجنيدهم للأشخاص الذين يقع الاختيار عليهم للقيام بأفعال الإجرام . إحدى هذه الطرق هي طريقة الإقناع الذي يقوم على أساس إيهام الشخص الذي يريدون تجنيده بأن أمثاله سبقوه إلى اختيار الإجرام سبيلاً لحياتهم ، وبأنهم نجحوا في اختيارهم . والأساس السيكولوجي لهذه الطريقة هو خداع الشخص المستهدف وتحويله إلى قبول مبدأ سيء عن طريق إثارة دافع الرغبة عنده في التوافق مع الآخرين ، وفي الانتساب إلى فئة ، حتى ولو كانت فئة سيئة ، واتجاه

ذلك الشخص إلى قبول هذا الانتساب بسبب فقدانه الشعور بالانتساب إلى فئة طيبة ، وبسبب خشيته من أن يظهر للآخرين غريب الأطوار وسخيف الرأي إذا لم يقلّد الذين سبقوه في السير على طريق الإجرام. إن هذه الطريقة هي التي أوعز (فيجن) في استعمالها إلى (**جاك دوكنز**) و(**تشارلي بيتس**) من أجل اقناع (أوليفر تويست) بالتحول إلى عالم السرقة والجريمة ، ثم انضمّ إليهما في محاولة الإقناع .[8] وأعاد (فيجن) استعمالها مع (نوآي) يوم تجنيده له عضواً في العصابة .

إنَّ ثقة الصهيونيين بفعالية طريقة الخداع في تحويل الآخرين إلى السير على الخط الذي يريدون منهم السير عليه هي ثقة كبيرة جداً ، وإن استعمالهم لها قديم جداً في التاريخ . يدلنا على ذلك ، مثلاً ، أنهم عندما زوّروا التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على **موسى عليه السلام** ، انطلقوا في تزويرها من اقتناعهم بقدرة خداعهم على تجنيد إلههم « **يهوه** » للعمل في خدمة مشاريعهم التي كانوا يعدّونها باستمرار بقصد اقترافهم العدوان بعد العدوان على المناطق المحيطة بهم ، فصوّروه في كثير من فصولها منخدعاً بأوهام حق التدمير وسفك الدماء التي كانت تلعب دائماً في عقولهم ، وملزماً نفسه بمشاركتهم في بثّ الفتن في مجتمعات أعدائهم ، بواسطة الخداع ، من أجل إضعافها ، مستقبلاً منهم لطاقات خداعهم الكبيرة ، كما تستقبل الوشيعة تيار الكهرباء ، ومصعّداً لتلك الطاقات من قبل أن يوجهها إلى المجتمعات التي يريد الصهيونيون تخريبها .

مصير الذين يمتنعون

بعض الذين يقعون في مصيدة (فيجن) ، والذين يعتبر هذا المجرم أن قَدَرهم قد فرض عليهم أن يكونوا عملاء مطيعين لأوامره على الدوام ، يرفضون مواصلة الانقياد الكلّي له في مسيرة الإجرام التي يقود العصابة فيها ، فيعاقبهم بالجلد والحبس ، وبتسليط جواسيسه عليهم ، وإذا ارتأى أن قتلهم لازم للحيلولة دون إنكشاف أمر عصابته من جرّاء امتناعهم ، فإنه أمر بتصفيتهم تصفية جسدية . إن هذا هو ما توضحه أحداثٌ كثيرة في الرواية .

الطفل (أوليفر تويست) ، على سبيل المثال ، هو شخص مفطورٌ على أن يكون توجيهه ذاتياً ، ولذلك فإن معاييره لقياس النجاح ولتقييم الأخلاق تختلف عن معايير الباقين من أجَراء (فيجن) المجرم ، باستثناء (نانسي) ؛ وهكذا فإنه يرفض التعاون معه ، ويصرّ على هذا الرفض . ففي البداية ، راقبه عميل (فيجن) المراوغ المحتال (جاك دوكنز) ، عندما كان في حالة فاقة وعسر شديدين ، وهو في طريقه إلى (لندن) ، فاعتبر أنه صيد ثمين يأخذه إلى سيِّده ، لكي يضّمه إلى عصابة النشل واللصوصية التي يديرها ، وأوهمه أن ذلك « السيد المحترم سوف يعطيه المأوى مجاناً » .[9] ولكن حياة (أوليفر) في ملصّة (فيجن) أصبحت مليئة بالغمّ والأسى الشديدين منذ أن اكتشف أن هذا العجوز المجرم مصمم على أن يجبره على أن يلعب دوراً شرّيراً في الحياة لا ترضى عنه نفسه البريئة ، وهو دور النشّال والسارق ، وراح يقاوم هذا البغي الذي وقع عليه ، فعاقبه (فيجن) بالضرب بالعصا وبالحبس والتجويع ، وهدّده بأنه سوف يشنقه إذا تجرّأ على أن يخبر أحداً من الناس بشيءٍ عن نشاطات العصابة ، وهدّده في مناسبة ثانية بإطلاق كلبٍ شرسٍ عليه يمزق جسده بأنيابه (الفصل ١٦) .

الشخص الثاني الذي يقاوم ظلم (فيجن) في هذه الرواية هي (نانسي) . كانت تحس باستمرار بتلك التعاسة ذاتها التي كان يحس بها (أوليفر) بسبب اضطرارها لمواصلة خدمتها في عصابة النشل والسرقات التي يرئسها (فيجن) . لقد واصلت الخدمة في العصابة لأنها كانت ترى أن الوقت المناسب للإفلات من ربقة هذه الخدمة قد فات ، لأن زمناً طويلاً مضى على ضمّها إلى العصابة منذ أن كانت طفلة صغيرة . لقد جعلها عملها المديد في مهنة النشل بارعة في بعض مهارات المهنة ، مثل مهارة القيام بتمثيل أدوار معيّنة بقصد خدع الذين يطلب منها (فيجن) خداعهم . ولكنها كانت تكره بطبيعتها ظلم الإنسان للإنسان ، وهكذا فإن كيانها النفسي والعاطفي اضطربَ اضطراباً شديداً منذ أن سمعت (فيجن) يتآمر مع (مونكس) على مستقبل (أوليفر) ، عندما اشترى الثاني من الأول بمبلغ من النقود وعداً بأنه سوف يجبر (أوليفر) على أن يصبح لصاً ونشالاً محترفاً ، وبأنه سوف يدبّر له محاكمة تنتهي بالزجّ به في السجن المؤبد أو بالحكم عليه بالنفي إلى بلاد بعيدة . كان (مونكس) الأخ الأكبر للطفل (أوليفر) من أبيه ، وكان شديد الاهتمام بأمر منع (أوليفر) من مقاسمته إرث أبيه ، فاشترى خدمات عصابة (فيجن) من أجل تحقيق هذا الغرض ، ولكنه رفض عرض رئيس العصابة بأن يصفي له (أوليفر) جسدياً ، لأنه كان يخشى انكشاف جريمة القتل في حالة حصولها ، وكان يخاف من الموت شنقاً ، عقاباً له على مشاركته فيها . وراحت (نانسي) تعمل على إنقاذ (أوليفر) من هذه المؤامرة المدبّرة ضده ، فأدى بها ذلك العمل إلى أن تدفع حياتها ثمناً لمحاولتها ، لأن قيادة العصابة الصهيونية المتمثلة في (فيجن) كانت لا تحتمل معارضةً لأوامرها من أحد . وهكذا أوعز (فيجن) إلى (سايكس) في قتلها ، فقتلها شرّ قتلة .

الهوامش

(١) الفصلان ٤٢ و٤٣ من الرواية . وتفاصيل نشرها هي : Charles Dickens, **Oliver Twist** (Penguin Books: Harmondsworth, 1966).

(٢) رواية « أوليفر تويست » المذكورة ، ص ٣٨٥ .

(٣) « أوليفر تويست » ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(٤) « أوليفر تويست » ، ص ٣٨٢ .

(٥) الرواية ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٦) الرواية ، ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .

(٧) الرواية ، ص ٣٥٠ .

(٨) الرواية ، ص ١٨١ ـ ١٨٤ .

(٩) الرواية ، ص ١٠٢ .

اليوم الوطني.. رمز لملحمة تاريخية

بقلم : علوي طه الصافي

اليوم الوطني الذي تحتفي به كل أمة انعكاس لمعطيات تاريخ حافل بالأحداث والمتغيرات .. وهو ذكرى لهذا التاريخ الطويل العريض .

واحتفاء بلادنا مملكة النور والعلم والإيمان باليوم الوطني كل عام يأتي رمزاً لملحمة تاريخية باهرة صنعها بطل أطل على التاريخ المظلم في منطقته ليزرع النور في أرجائها .. هذا البطل التاريخي هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله الذي استطاع أن يقيم هذا الكيان الكبير من الصفر والفقر والجوع والتشتت والصراعات القبلية والتخلف .

لقد كتب عن يوم المملكة الوطني عرب وأعاجم .. فكان إجماعهم أن ما صنعه عبد العزيز يعد حالة نادرة في التاريخ لم يحدث مثلها .. وقد لا يأتي مثلها في المستقبل !!

ولم يكن هؤلاء الكتاب مبالغين حين قالوا مثل هذا الكلام ، وإنما كانوا ينطقون بالحقيقة .. وكلمة الحق .

وقد نعجز أن نحصي الكتب التي ألفت عن عبد العزيز سواء في الشعر أو النثر .

لقد كان العالم يتصور أن عصر الملاحم التاريخية قد انتهى .. ولن يتكرر .. فإذا بعبد العزيز يأتي ليؤكد عدم صحة هذه المقولة .. وكأنه بعمله التاريخي يؤكد مقولة « التاريخ يعيد نفسه » .

وعبد العزيز لم يكن ينشد الشهرة حين صنع ملحمته التاريخية ولم يجر وراء سراب الأبهة والعظمة التي تحكم أغلب تصرفات الحكام .. لأنه لم يكن صاحب تطلعات لإنشاء أمجاد شخصية لذاته .. لهذا عاش بسيطاً ومواطناً في حياته ومسكنه وملبسه ومعيشته مثله مثل غيره من المواطنين . هذا إذا لم يكن بعض المواطنين أكثر غنى مالياً منه ، ولهم حياتهم المترفة .

عبد العزيز .. عانى .. وتعب .. وكان فقيراً من الناحية المادية .. ولم يكن في بداية حياته صاحب جيش عرمرم يمتلك كل وسائل القتال كما هي حال أبطال التاريخ .. لكنه كان إنساناً صادقاً وقوياً بإيمانه .. ملتزماً بعقيدته .. حريصاً أن تسود هذه العقيدة الجزيرة العربية صافية نقية كما أرادها الله بعيداً عن الشعوذات والخزعبلات التي كانت سائدة بشكل يشوه معنى الرسالة السماوية .. ويفرغها من كثير من مضامينها التي جاءت لسعادة الإنسان والارتفاع به إلى المستويات الرفيعة المحكومة بالقيم النبيلة .. والأخلاق الفاضلة ليكون على مستوى الخلافة التي أرادها الله له .

وقد عرض على عبد العزيز بعد أن صنع ملحمته التاريخية أن يرشح أميراً للمؤمنين فرفض ليبقى خادماً للحرمين الشريفين ، ورفع مستوى الحياة المتخلفة التي كان يعيشها الإنسان في المنطقة .

ورفضه لهذا الترشيح يؤكد أنه لم يكن يتطلع إلى شهرة .. ولم يكن يسعى إلى مجد شخصي لذاته .. وإنما كان يسعى لتوطيد العقيدة وتطهيرها مما شابها من انحرافات كانت تسود المنطقة .

وكان يسعى أن يصنع كياناً قوياً للحفاظ على العقيدة من الاعتداء .. وليكون هذا الكيان دعماً للمسلمين في العالم .. وهذا ما يؤكده اليوم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رائد نهضتنا الحديثة من خلال المساعدات التي تقدمها المملكة للشعوب الإسلامية .. ومن خلال المواقف القوية مع كل القضايا الإسلامية في العالم .. والدفاع عن حقوق الأقليات المسلمة التي تعيش في أصقاع الأرض مضطهدة .

واليوم الوطني للمملكة ليس مجرد يوم عاد من الأيام السيارة ، وإنما هو ذكرى لتاريخ .. ومعطيات كبيرة في كل الحقول ، هذه المعطيات الساعية إلى تحويل المملكة من بلد مستورد ومستهلك إلى بلد منتج ومصدر .. وقد كانت البداية لتحقيق ذلك تتمثل في الصناعات البيتروكيميائية .. والقمح .. والمستقبل كفيل بأن يحقق كل طموحات حكومتنا الرشيدة لتحقيق الهدف الكبير .. وهو تحويل المملكة في كل المجالات إلى بلد منتج يصدر لا يستورد .. يعيش الكفاية لا يستهلك .. وهو أمر عجزت عنه حكومات عمرها أطول من عمر حكومة المملكة .

واليوم الوطني دعوة لكل مواطن للعمل والاستثمار والجدية واستغلال الوقت وما وفرته الدولة له لخدمة الوطن والمواطنين .. فالمواطنة ليست مجرد بطاقة شخصية .. أو رقم في سجل المواليد .. وإنما المواطنة هي العمل بإخلاص وصدق لخدمة هذا الوطن وحمايته من أي عدوان أو فساد أو تيارات منحرفة تهب عليه من الخارج أو الداخل .. وأن يستغل كل دقيقة في العمل والإنتاج ليأتي اليوم الذي تتحول فيه المملكة إلى بلد مبتكر ومخترع ومنافس لأكبر الدول .

ولا نستطيع أن ننسى أبناءه البررة الذين حملوا الأمانة من بعده ، وسعوا بتفان وإخلاص لتطوير المملكة وتقدمها والمحافظة على الأسس السليمة التي أرساها عبد العزيز في السياسة والحكم الداخلي ابتداء بالملك سعود ومروراً بفيصل وخالد يرحمهما الله جميعاً .

ويأتي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رائد العلم والتعليم تتويجاً لنهضتنا الحديثة .. يسانده ولي عهده عبد الله بن عبد العزيز ، والنائب الثاني سلطان بن عبد العزيز .. وفقهم الله جميعا لما فيه خير الأمة والبلاد .

والحديث عن اليوم الوطني يطول ويطول بقدر تاريخه الطويل العميق .. ولكن مساحة النشر لا تسمح بمثل هذه الإطالة .. والله الموفق .

يلوستون.. أرض العجائب

ترجمة وإعداد: محمد فكري أنور

متنزه يلوستون الوطني. حين تدخله تحس كأنك جديداً.. أو واقعاً منفصلاً.

هذا المكان.. ما هو.. وأين يكون؟

مليونا فدان، من بينها ٣٤٧٢ ميلاً مربعاً تنمو فيه البراري وأشجار سيبيريا الخشبية.

أنكون قد وصلنا منطقة يومنج







Wyoming بقارة أمريكا الشمالية من قبل أن يصلها المستكشف كولومبوس ؟

أم نكون قد بلغنا متنزهاً عدنا معه القهقرى إلى العصر الحجري ؟

لا بأس .. مهما كانت هذه المنطقة .. فالذي لا شك فيه أنها موجودة بالفعل في مكان ما .. من عالمنا .. فهي منطقة جليدية .. برية .. أو ربما كانت قارة كاملة تجتاز مساحة زمنية خاصة بها .. إنها حالة خاصة .. وفريدة .. ومتميزة .

هي .. منطقة متنزه يلوستون الوطني Yellowstone National Park ، الواقعة جنوبي ولاية مونتانا ، بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا المتنزه

يعيش به حوالي ألفين من **حيوان البيسون** (الثور الأمريكي) .. هذا العدد يساوي ثلاثة أضعاف سكان المنطقة في فصل الشتاء ، حيث لا يزيدون عن ستمائة شخص .

ويعيش بالمنطقة أيضاً **قطيع ضخم من الغزلان** (حوالي ١١٠٠٠ غزال) ، **والإيل** (ظبي ضخم) ، حوالي ١٦٠٠٠ .

في هذه المنطقة تصل درجة الحرارة إلى الصفر – وما دونها – معظم شهور السنة .. كما توجد **بحيرات ساخنة** .. تغلي فيها المياه فيندفع بخارها تجاه السماء ، حتى يكاد أن يتجمد ..

★ الثور الأمريكي (البيسون)، والأيل، والبجع.. والبحث عن الطعام تحت طبقات الجليد ★



فلا تعرف ـ يقيناً ـ إن كان البخار هابطاً من السحاب ، أو صاعداً من البحيرات الكائنة في بقعة يفترشها الجليد .

في الصيف ينقشع الجليد فتظهر مياه ومجاري أنهار عديدة تخترق المنطقة .. منها أنهار : **فايرهول Firehole** ولويس **Lewis** وسنيك (أو الثعبان) **Snake** .. وعلى شواطئ تلك الأنهار ، تقبع أفراد **النسر** الأصلع ، **والعقاب النساري** .. التي تقتات على أسماك الأنهار .. وفي مجاري الأنهار .

وخلال فصل الشتاء في يلوستون (بين شهري أكتوبر [تشرين الأول] وأبريل [نيسان]) ، شلالات تتجمد مياهها أثناء تساقطها ، فتبدو كعمارات شاهقة أو كغلالة شبه شفافة من ستائر الحرير البلجيكي .. مياه الشلالات تتجمد فتربط قمة الشلال بمصبه .. فتدفع إلى الخيال صور بخار البحيرات الساخنة هناك .. صورتان مفعمتان بجمال نادر .. يكاد لا يتكرر في مكان آخر .

أيضاً .. في الشتاء .. وفي مناطق **جالاتين Gallatin** وأبساروكا **Absaroka** **والجبال الحمراء** .. لا يستطيع أحد الاقتراب من تلك البقاع .. كما هو الحال في منطقة البحيرات الساخنة التي ترتفع على حافاتها سلاسل جبلية ، وصخور ، وأشجار أخشاب .

والرحيل إليه

على بعد واحد وأربعين ميلاً من المتنزه ، يغادر السُّيَّاح سياراتهم ليستقلوا **المركبة**

★ احدى العاملات في المتنزه.. ★





★ التزلج على الجليد.. هواية رواد المنطقة ★

★ متنزه يلوستون .. كتل من الجليد ومياه تغلي ★

الجليدية : Snowcoach وسيلة الانتقال الوحيدة ، والمتاحة ، في هذه المنطقة .

تقطع المركبة الجليدية المسافة في ثلاث ساعات ونصف الساعة في اتجاه الشمال .. ثم تعرِّج غرباً متجهة إلى « **أولد فينفول سنولودج** » .. وعلى امتداد الطريق تتوقف العربات مرات ثلاث ، في محطات ، كل منها يمثل موقعاً طبيعياً مستقلاً بذاته .

فعند **لويس كانيون** ، ممرات ضيقة وسحيقة .. جدرانها من حمم البراكين السوداء الداكنة .. الشديدة الانحدار .

ثم يمرق السيَّاح في منطقتي **كونتننتال ديفايد ، ووست ثمب** ، فيبلغون **بحيرة يلوستون** : أجمل بقاع المنطقة ، ثم **بحيرة وست ثمب** الساخنة : **حديقة من الوحل الحراري ، تغلفها تشكيلة غريبة الألوان من الضباب المتراكم الساكن** ، الذي ـ كحال بحيرة يلوستون ـ ينطلق إلى أعلى فيتجمد في رحيله من الأرض إلى السماء .. وعلى سطح مياه البحيرة فقاقيع تتكون وتتلاشى ، فيبدو الضباب على سطح الماء ـ وبينها الفقاقيع ـ كأنه غطاء قدر يتململ من ماء يغلي تحته .

في غرب المنطقة ، وباتجاه الشرق ، غابات صنوبرية يبدو من ورائها جزء آخر من بحيرة يلوستون .. والطريق من هنا ، وحتى البحيرة ، مشهد ريفي ، تربته هشة ، وأرضه غير





★ نافورة طبيعية .. أعمدة البخار ترتفع إلى ٣٥٠ قدماً ★

مستوية .. **والسكون يلف المكان ، فيبدو كأن الجليد قد جمد الحياة والحركة هناك** .. وفجأة ، يقفز **فرس النهر** ، بجلده اللامع الناعم من ثغرة في الجليد ، فلا يكاد يستقر في مكانه حتى يغوص في ثغرة أخرى .. ثم ما يلبث حتى يخرج منها وهو يقضم سمكة « **سلمون** » .. وما بقي خارج فمه ، من جسمها ، ينتفض .. وعبثاً تحاول الإفلات .. لكن هيهات .. هي قد غابت في جوفه ، ربما قبل أن تدري أن الصراع قد حسمت قصته ..

وبعده يظهر ــ وفجأة أيضاً ــ **ذئب الغيوط** (الذي يعيش في شمال أميركا) .. وهو داكن اللون .. متحالف على التنكر مع عتمة الموقع .. يقفز بين الفجوة والأخرى ، متأملاً ما تحت الجليد ، فربما يعثر على فضلة طعام أو رأس سمكة تكون قد سقطت من فرس النهر سهواً .

مكتشفو المنطقة

المغامرون العاملون بصيد وتجارة حيوانات الفراء .. ومتسلقو الجبال .. هم أول من وصل منطقة يلوستون .. ربما يكون أولهم هو **جون كولتر** (حوالي عام ١٨٠٧ م) ، **وجيم بريدچر** .. وعن الاثنين نسجت الأساطير وسردت القصص .. ولئن كانت الأساطير لا تجسد شيئاً موجوداً على أرض الواقع ، إلا أنها

تعيش كأنها الواقع ، يتناقلها الخلف عن السلف .

إحدى تلك القصص الأسطورية ، وأشهرها ، تقول :

من قمم الجبال الصخرية الشاهقة انفجر البركان .. غطت الصخور والأحجار المكان .. تناثرت الحمم في الهواء .. فكانت منها غابات حجرية .. أشجار حجرية .. طيور حجرية تشدو بأنغام حجرية .. ثم إن تلك الجبال قد دُكّت .. ومنها خرجت شظايا .. والشظايا أصبحت شذرات زجاجية بهيجة الألوان .. تسطع في ضوء النهار وتومض في نور القمر .. (إذا ما سطعت على المنطقة شمس أو أطل من ركام السحاب وجه القمر) .

وتمضي القصة .. تقول : ذات يوم .. ظهر رجل الجبال .. كان يضع على عينيه منظاراً مكبِّراً مصنوعاً من صخور الجبال .. به يستطيع تقريب المسافات أو إبعادها .. نظر بالمنظار فرأى ثوراً .. أمسك بيده حجراً كبيراً .. سدده باتجاه الثور .. لكنه أخطأه .. لأن الثور كان قريباً .. طارت قذيفة الحجر النارية .. سقطت في البحيرة فأصبحت مياهها ساخنة .. تطاير منها الرذاذ والبخار فوصل ما بين الأرض والسحاب .. وحتى اليوم هذا الذي تعيشه المنطقة .. لا تزال البحيرة ساخنة .. والبخار الساخن صاعد من أسفل إلى أعلى .. ومضى إنسان الجبال .. مد ذراعه في فجوة جليدية .. اصطاد منها سمكة سلمون ، غمسها في مياه البحيرة الساخنة حتى نضجت .. فأكلها هنيئة مريئة .

والناس عادة يروون الحكايات والخرافات والأساطير لتفسير الظواهر الطبيعية .

مساء المكان

منطقة يصل معدل سقوط الجليد سنوياً فيها إلى ١٥٠ بوصة .. مساؤها حركة شاحبة .. ليلها صمت وركود .. في سفوح الجبال منازل



★ مركبة مجنزرة.. للتنقل في المنطقة ★

يغمرها الجليد .. يكا لا يبدو من أسقفها غير حوافها المدببة ، بلونها البني الداكن .. والجليد بياضه الناصع .. وضباب المساء .. وعتمة الليل الزاحفة إلى المكان .. لوحة فنية بديعة .. قوامها طبيعة صامتة .. وسماؤها ألوان متناغمة .. بني غامق .. وأبيض ناصع .. ورمادي داكن .. ملفوفة جميعها في غلالة رقيقة من عتمة أول الليل .

هناك .. مقولة صارت مثلاً .. « الجليد .. كما الدهان .. يخفي تحته من العيوب الكثير .. » ، يقولونها .. لأن الجليد على البيوت .. تمويه ذكي ينشد نوعاً من المساواة .. تحت الجليد لا ترى أقصراً يختبئ أم كوخاً يندثر ..

في المساء تتوقف مركبات الجليد .. يعود بها قوادها إلى حيث يسكنون .. فارين قبل أن ينزل طاغية البرد من فوق الجبال ، ليسكن « ثلاجة » يلوستون .

وفي الليل .. وسيلة المواصلات هي أداة التزلج .. لكن ليس جميع السياح متزلجون ماهرون .. وليس كلهم يتمتعون باللياقة البدنية ، والسلامة الصحية التي تؤهلهم لممارسة رياضة شاقة كهذه ، في جو قارس كهذا ، وفي عتمة تزداد مع إقبال الليل إظلاماً .. وتزداد بالمكان الوحشة .. تلال جليدية .. وأشجار صنوبر .. ومنازل وقصور .. وقمم جبال .. الكل يغمره الجليد .. والكل يتخذ منظر القباب من أعلى .. ومع طول المسافات تبدو الأشياء جميعاً كأنها قطيع من الجاموس الأسود يرقد على الأرض بعد عناء العمل .. أو قطعان من خراف وماعز تفترش المكان هامدة ساكنة .

نهر يلوستون

Yellowston River

★ ينبع من منحدرات **جبال يونت بيك** بمنطقة **يومنج** بالولايات المتحدة الأمريكية ، ويمر بمتنزه يلوستون الوطني ثم يصب في **بحيرة يلوستون .**

★ بعد البحيرة يتحول النهر إلى مجريين ينتهيان في شلال رائع الجمال ، ثم يواصل سيره إلى منطقة **جراند كانيون** في يلوستون .

★ بعد المتنزه ، يتجه النهر شمالا تجاه **ليڤنجستون** ، ثم إلى الشمال الشرقي مروراً

★ عربات الجليد.. وسيلة نقل في يلوستون ★



بيلنجز ، ومايلز سيتي ، وجليندیف . ثم يعبر حدود **ولاية مونتانا** ويدخل حوض نهر **المسيسبي** ، بعد أن يكون مجراه قد بلغ ٦٧١ ميلاً (١٠٨٠ كيلومتراً) بالقرب من مدينة **بفورد** .

★ كانت مياه هذا النهر تغمر حوالي ٧٠٠٠٠ ميل مربع (١٨١٣٠٠كم٢) في جنوبي شرقي مونتانا ، وشمال ووسط يومنج ، ومنطقة صغيرة شمال غربي ولاية نورث داكوتا .. أما الآن فقد تم تطويره وتستخدم مياهه حالياً في الري .

★ اكتشف لأول مرة عام ١٨٠٦م ، عندما أبحر فيه **وليم كلارك** في طريق عودته من رحلة في **المحيط الهادي** .

المتنزه .. في سطور

● **يعد أكبر متنزهات الولايات المتحدة الأميركية وأكثرها شهرة .**

● يقع في شمالي غربي **منطقة يومنج** ، في الطرف الجنوبي من **ولاية مونتانا** ، وشرق **ولاية إيداهو** .

● أسس في عام ١٨٧٢م .

● يغطي مساحة ٢٢٢١٧٧٣ إيكراً (٨٩٩١٥٢ هكتاراً) ، أغلبها هضاب بركانية شاسعة وجبال يبلغ ارتفاعها ٨٠٠٠ قدم (٢٤٤٠ متراً) .

● **يتميز بخصائص تكاد تكون فيه وحده :** جبال مبعثرة هنا وهناك .. غابات من الحفريات.. سيول من الحمم البركانية المتدلية المتجمدة .. جبل كامل من الزجاج البركاني الأسود .. أكثر من **عشرة آلاف بحيرة وينبوع ساخنة** .. براكين من الوحل .

● أولد فيثفول (أو المخلص العجوز) اسم أشهر البحيرات الساخنة في يلوستون ، وهي تنفجر بانتظام كل فترة تتراوح بين ٣٣ و٩٣ دقيقة . **ومن أشهر البحيرات : يلوستون ، شوشون .**

● تكثر بالمنطقة الغابات الصنوبرية ، كما تنمو الأعشاب على سفوح الجبال ، وفي الوديان تكثر الزهور البرية بأنواعها الزاهية .

● تعيش بالمنطقة حيوانات : الجاموس ، الإيل (نوع من الظباء) ، الوعل ، ألموظ (يشبه الإيل) ، الدب ، القيوط (ذئب صغير يعيش في شمال أميركا) .. إلى جانب عدد من أنواع القوارض والحيوانات الثديية الصغيرة .

● توجد مئات الأنواع من الطيور أشهرها الطائر السابح .

● في البحيرات تكثر الأسماك وأشهرها وأوفرها : **السلمون** .

بحيرة يلوستون

★ تتغذى من مياه نهر يلوستون الذي يمرق خلالها من الجنوب إلى الشمال .

★ طولها ٢٠ ميلاً (٣٢ كم) وعرضها ١٤ ميلاً ، وطول خط شاطئها ١١٠ أميال .

★ مساحتها المسطحة ١٣٩ ميلاً مربعاً (٣٦٠كم٢) .

★ ترتفع ٧٧٣١ قدماً فوق سطح البحر .

★ أكبر عمق لمياهها ٣٠٠ قدم (٩٠ متراً) .

★ هي أكبر مسطح مائي في قارة أميركا الشمالية .



لوحة وفنان

★ اللوحة : تكوين من التراث ★

• يتفاعل الفنان عبد العزيز عاشور مع أحد المشاهد التي يراها كل يوم في بيئته ، والتي تبدو بوضوح في كل مجتمع إسلامي أيضاً ، ذلك هو مشهد « الجوامع والمساجد » ، تلك الأبنية الفريدة في الطرز المعمارية والتي تتضمن أقصى القيم الجمالية المعمارية ، إضافة إلى القيم الروحية .. تلك المباني التي ترتفع منها أصوات مؤثرة موحية تهز الوجدان وتحرك النفوس ، وتطرب الأذان وتخشع لها القلوب .. فهذا المشهد حرَّك عقل ووجدان الفنان ليتخذ منه موضوعاً للوحته .

• استلهم الفنان موضوع لوحته من البيئة ومن التراث الإسلامي أيضاً ، فاستلهم ثلاثة عناصر من هذا التراث وهي المساجد ممثلة في القباب ، والزخارف الإسلامية وهي التي يتضمنها معظم المساجد والمنازل والعمارة الإسلامية بصفة عامة ، والخط العربي المتمثل في كلمة « يارب » .. ومزج الفنان بين الثلاثة العناصر في تكوين بنائي يتصاعد رأسياً ، عبر ثلاثة مساجد تتضمنه ثلاث وحدات زخرفية من أسفل إلى أعلى لتتشابك مع كلمة « يارب » ، هذا الدعاء الصادر من قلوب المسلمين الذين يغشون المساجد فيرتفع دعاؤهم إلى السماء .. وكأن الفنان قد صور الصوت أو الأصوات المتصاعدة من المساجد إلى السماء .

• البنائية في هذه اللوحة تتمثل في التشكيل الرأسي المتصاعد المتضمن خطوطاً رأسية وأخرى أفقية ، وتتابع الوحدات هو الذي يشكل الاتجاه الرأسي .. والخطوط الأفقية تمثل الامتداد الأرضي ، أما الخطوط الرأسية فتمثل تلك المنشآت المتعامدة على الامتداد الأرضي ، والتعامد هنا يمثل قاعدة من قواعد الوجود ، كما يمثل العلاقة التجريدية بين نوعين من حقائق الوجود .

• يؤكد الفنان الجوهر في اللوحة من خلال كتل ومساحات وخطوط تتسم بالبساطة والبلاغة .. فقد استخدم الخطوط المستقيمة والمنحنية المتمثلة في القباب والهلال الذي صوره ثلاث مرات في ثلاثة اتجاهات مختلفة لتحقق الاتزان في الاتجاهات .. كما أحال الكتل إلى مساحات قاتمة وفاتحة تعطي تناغما في الكتل ، وهي لم تنتج عبر تصوير الفنان لمصدر محدد للضوء وسقوطه على الأشكال ، فنجد أن مصادر الضوء الساقطة على القباب مختلفة الاتجاهات .. وأن المصدر الحقيقي للضوء ينبع من سطح اللوحة ويظهر بوضوح من خلال الوحدات الزخرفية المضيئة .. وهي هنا أشكال هندسية متكررة ، تتكرر الوحدة يميناً ويساراً وأعلى وأسفل على أساس رياضي ، تكمل كل وحدة متكررة الوحدة الأولى ، وتتوالد وتتكرر الأشكال في علاقات هندسية تجريدية .. ويغلب على اللوحة الألوان الزرقاء والخضراء ليؤكد الفنان على المناخ الروحاني ، أي للدلالة على المضمون وبالتالي تأثيره في المتلقي أو المشاهد ، ولذلك اتسمت اللوحة بالهارمونية الواحدة ورغم استخدامه بعض الألوان الدافئة كالأحمر والبرتقالي في الزخارف ، ليبث الدفء في اللوحة ويحقق الاتزان اللوني بين العلاقات اللونية الباردة والدافئة .. وقد جاءت جميع هذه العلاقات المتزنة من خلال حس ووجدان الفنان وليس نتيجة تفكير عقلاني رياضي ، وقد نجح الفنان في إحكام الروابط بين عناصر اللوحة المستلهمة من التراث .


★ عبد العزيز عاشور ★

★ الفنان/عبد العزيز عاشور ★

• ولد في مدينة « جدة » بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٨٢هـ .

• حصل على الثانوية العامة ، ومنتسب حالياً بجامعة الملك عبد العزيز « كلية العلوم الإدارية » .

• موظف بالشركة السعودية الموحدة للكهرباء بجدة .

• حصل على دورة إعداد وتدريب للفنون التشكيلية بالرياض ١٤٠٤هـ .

• حصل على دورة في الخط العربي بجدة عام ١٤٠٣هـ .

• شارك في العديد من المعارض والمسابقات التشكيلية منها :

★ معظم مسابقات مكتب رعاية الشباب بجدة منذ عام ١٤٠٣هـ .

★ المعرض العام الثاني لمراسم المملكة لعام ١٤٠٣هـ بالرياض .

★ المعرض السابع للفن السعودي المعاصر عام ١٤٠٥هـ بالرياض .

★ المعرض السعودي للتراث بالمعهد الصناعي بجدة عام ١٤٠٥هـ .

★ المعرض الجماعي السابع للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة .

★ المعرض العام الثامن لمناطق المملكة بأبها .

★ المعرض الجماعي بالنادي الأهلي بجدة .

★ المعرض الثامن لجمعية الثقافة والفنون بجدة .

★ معظم مسابقات الجمعية العربية السعودية لبيوت الشباب بجدة منذ عام ١٤٠٢هـ .

★ معرض الـ « ٥٥ » فناناً بصالة « ردك بلازا » بجدة .

★ المعرض العام الثالث لمراسم المملكة بأبها .

★ معرض الفن السعودي المعاصر بتركيا « اسطنبول ـ أنقرة » ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

★ المعرض العام العاشر لمقتنيات

★ تكوين من التراث ★

الفنون التشكيلية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

★ معرض الفن السعودي المعاصر بالكويت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

★ معرض الفنانين الإسلاميين المعاصرين بالأردن عام ١٩٨٨م وبانجلترا عام ١٩٨٩م .

● أقام معرضاً ثنائياً مع الفنان « سليمان باجبع » بصالة « روشان » بجدة عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

● حصل على العديد من الجوائز المالية والشهادات التقديرية في المسابقات التشكيلية التي أقامها مكتب رعاية الشباب بجدة والرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض .

● حصل على المركز الثاني في المسابقة الزمنية للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

● حصل على الجائزة الثالثة « تصوير زيتي » في المعرض العام العاشر لمقتنيات المملكة .





★ تبني الحمامة العش من أعواد صغيرة دون أن تبطنه بالقش الناعم أو الزغب في أماكن غير منيعة من أغصان الشجر العالي ★

الحمام البري في البيئة العربية

بقلم: أسعد الفارس

تعد الحياة البرية رمزاً للأصالة والثبات . فحيوان البر يحافظ على صفاء جنسه وتتجلى فيه المزايا النوعية التي ينشدها علماء التصنيف للتفريق بين نوع وآخر ... ينطبق هذا القول على عالم النبات مثلما ينطبق على عالم الحيوان ؛ لأن تكرار الزراعة والتربية والتهجين يبعد الأنواع عن نهج الأصالة ويغرب بها عن أصول الآباء والأجداد .

والحمام من الطيور التي حظيت بمكانة خاصة في ميدان العلم والأدب ، إذ بدأت بأجناس قليلة وانتهت بمئات الضروب والأنواع التي تعود إلى أصول برية جميلة لازلنا نسمع هديلها تحت وارف الظل من الشجر ..

عرف الإنسان الحمام البري منذ القدم ، ودجَّن بعض أنواعه لجمالها وروعة طيرانها ، وطمعاً في لحمها اللذيذ ، وذلك في كل من مصر وأوروبا وبلاد الصين ، واستخدم ضروباً منه بعد التدجين في نقل الرسائل والأخبار بين الديار المتباعدة ، وفي نقل المعلومات الحربية بين جحافل الجيوش ، ويعود ذكر الحمام في سجلات **الفراعنة** إلى عام «٣٠٠٠» ق . م ، وذكر في أوروبا وأواسط آسيا قبل ذلك التاريخ بقليل .

في الأدب .. واللغة

حظي الحمام باهتمام العلماء والأدباء والفنانين ؛ إذ خلدوه في تصانيفهم وأشعارهم ، وروائع فنونهم في مختلف العصور . وأدبنا



العربي بصورة خاصة كرّس للحمام ولعموم حيوان البيئة العربية صوراً فنية رائعة . ولم أجد طائراً كالحمام له كل هذا الرصيد الضخم في الشعر العربي وفي الأمثال والحكايات وفي مفردات اللغة والمعاجم اللغوية ، وحتى في كتب تفاسير الأحلام جُعلت رموز للحمام ومعان محددة جميلة . وعرفت العرب من الحمام : **ذوات الأطواق كالفواخت والقماري وساق حر والوراشين والورق** وغيرها من الحمام الذي كان يملأ السهل والجبل في ديار العرب ، ويطرب بسجعه وترجيعه عشاق الطبيعة والجمال ، ويهيج الأشجان في قلوب المحزونين . ويحرك لواعج الشوق في جوانح المتيمين . ففي القصص الديني نجد قصة الحمامة التي أرسلها سيدنا نوح من سفينته ثلاث مرات لتبحث عن اليابسة بعد أن هام بها طويلاً في بحار الطوفان العظيم ، فعادت إليه في المرة الثالثة تحمل في فمها غصن الزيتون ، وقادته إلى بر النجاة ، فقام نوح ودعا لها ربه ليطوقها بطوق خالد جميل يبقى في عنقها وعنق ذراريها إلى يوم القيامة قال أعرابي :

مطوقة كساها الله طوقاً ... ولم يخصص به طيراً سواها

وقال آخر :

مطوقة كُسيت زينة ... بدعوة نوح لها إذ دعا

وهكذا أصبحت الحمامة وفي فمها غصن الزيتون رمزاً للسلام بين الشعوب ورسول المحبة والطمأنينة ، وأصبح طوق الحمامة مضرباً للأمثال ، **فالميداني في** « **مجمع الأمثال** » يقول : « تقلدها طوق الحمامة » وفي المثل كناية عن الخصلة القبيحة التي تلازم صاحبها ولا تفارقه كما يلازم الطوق عنق الحمامة .

وفي مثل آخر قالت العرب : « أكذب من فاختة » لأنهم يظنون أن في سجعها تقول : « هذا أوان الرطب » في وقت لم يطلع فيه الطلع بعد ؛ ولهذا قال بعضهم :

أكذب من فاختة ... تقول وسط الكرب
والطلع لما يطلع ... هذا أوان الرطب

ويعتقد بعض العرب أن الحمامة تدعو في هديلها « ساق حر » وهو ذكر الحمام الذي تحن إليه باستمرار . قال **حميد بن ثور الهلالي** :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةٌ ... دعت ساق حُرٍّ تَرْحةً وتَرَنُّما
محلاة طوقٍ لم يكن من تميمةٍ ... ولا ضَرْب صَوّاغٍ بكفيه درهما
تفنت على غصن عشاء فلم تدع ... لنائحةٍ في شدوها متلوَّما
عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما

وتسمى الحمائم « **بنات الهديل** » والهديل هو ذكر الحمام الذي أخذ اسمه في عهد سيدنا نوح ، وربما الهديل هو صوت الحمام . قال **المعرّي** :

أبناتِ الهديلِ أسعِدْنَ أوعِدْ ... نَ قليلَ العزاءِ بالإسعادِ



إيـــهِ للهِ دركـــنَّ فأنتُـــ ـنَّ اللواتي تُحسنّ حفظَ الودادِ

وما إن يذكر الحمام حتى يذكر معه الشوق والحنين . قال **عبد الرحمن بن أبي بكر** في زوجته المطلقة عاتكة بنت زيد

أعاتك لا أنساك ماذر شارق وماناح قمري الحمام المطوق

وقال **جرير** :

أتنسى إذ تودعنا سُليمى بفرعِ بشامةٍ سُقِيَ البَشامُ
ولو وجَدَ الحمام كما وجدنا بِسُلْمانيـن لاكتـأب الحمـامُ

وقال **عوف بن مُحلِّم** بعد أن سمع نوح حمامة :

ألا ياحمام الأيك إلفُك حاضرٌ وغصنك ميالٌ ففيم تنوح
أفق ولا تنح من غير شيءٍ فإنني بكيت زماناً والفؤاد صحيح

ومن ديار العرب التي كانت تعج في الماضي بمختلف أنواع الحمام البري ، جبال **اليمن** وأوديته وحدائقه . قال **جهم بن خلف المازني** في حمام منطقة « **تبالة** » في اليمن :

وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة مطوقة ورقاء تصدح في الفجر
هتوفٌ تبكِّي ساق حر ولن ترى لها دمعة يوماً على خدها تجري
تغنت بلحن فاستجابت لصوتها نوائح بالأصياف في فنن السِّدْرِ
بسرة واد من « تبالة » مونقٍ كسا جانبيه الطلح واعتم بالزهر

والعرب تعد **القطا** من الحمام ، ونجد ذلك في قصة « **زرقاء اليمامة** » التي رأت عن بعد سرباً من القطا يرد الماء ، فقالت : ليت الحمام لي ونصفه إلى حمامتي ليتم تعداد الحمام مائة .. قالت ذلك بلهجة قومها :

لـيت الحمـام لِيَـهْ
إلـى حمامَتِيَـهْ
ونصفـه قَدِيَـهْ
تـم القطـاة مِيَـهْ

فتعجب القوم من قولها ؛ فذهبوا إلى مورد الماء فعدوا من القطا ستاً وستين . قال النابغة الذبياني

وأحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حَمامِ شِراعٍ وارد الثَّمَدِ
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد
فأكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد

قال الأصمعي في قول النابغة : إنها زرقاء اليمامة التي كانت تنظر إلى ذلك القطا .


★ الحمامة المطوقة « S. decaocta » ★

يأخذ الحمام في البيئة العربية ألواناً مختلفة ولكن تغلب عليه الألوان الرمادية والزرقاء ، ولا نجد فرقاً بين الحمام واليمام من الناحية العلمية ؛ بل تجمع في كتب الطيور الحديثة في أجناس محددة ، ويُقسم الجنس إلى أنواع ، والأنواع إلى ضروب ، ويكتب الاسم العلمي باللاتينية ؛ إذ يخصص الاسم الأول للجنس والثاني للنوع والثالث للضرب .

ويسجع الحمام بلحن عذب شجي المقاطع عذب النبرات يسمى « **الهديل** » و« **النوح** » ، وقد تخيل العرب في صوته أنغاماً وأقوالاً


★ يختلف منى الطوق في عنق الحمام بين نوع وآخر ، فهو حمرة أو خضرة أو بياض في سواد ، وقد تجتمع كلها كما في هذه الحمامة .
وقد يتلاشى الطوق من عنق بعض الحمائم حتى لا نجد له أثرا ولهذا قسم بعضهم الحمام إلى حمام مطوق وآخر عديم الطوق ★



★ الحمام القمري والحمام الدبسي نوعان لجنس واحد ★



★ حمامة القلب النازف وحمامة الفاكهة الملونة بالأزرق والخمري والأصفر والأخضر ★

مختلفة ، ولم يقتصر هذا على العرب وحدهم ؛ فالأوروبيون يتخيلون في صوت الحمام أنغاماً ضاحكة ؛ ولذلك أطلقوا على بعض أنواع الحمام اسم « **الحمام الضاحك** » ، وبشكل عام تطلق العرب اسم الحمام على كل طائر يُعرف بالزواج والهديل والترجيع والدعاء والصوت الحسن .

طبـاع الحمـام

والحمام طيور متوسطة القد صغيرة الرأس قصيرة العنق قوية الأرجل سريعة الطيران ، وتمتاز عن القطا بقرطمتين طريتين في قاعدة المنقار تنفتح عندهما فتحتا الأنف بشكل واضح .

يألف الحمام البساتين والغابات والمناطق شبه المشجرة ، ويرتاد السهول والوديان والآبار وأعالي الجبال في كل بقاع العالم باستثناء **المناطق القطبية** ، ويكثر من الطيران والوقوف على أغصان الشجر العالي ، ولا ينزل إلى الأرض إلا من أجل الشراب والطعام . ويتميز الحمام بخفة الحركة وقوة الاندفاع ولكنه يجبن ويخاف أمام الطيور الجارحة ويبقى متوقعاً حدوث الخطر في غالب الأحيان . قال **الجاحظ** :

« الحمام أطير من الشاهين ولكنه يجبن ويخاف ولا يدري أين المفر فيقع في الاصطياد » .

وتعود بعض أنواع الحمام إلى البيئة التي تألفها وإن ابتعدت عنها آلاف الأميال ، ونخص بالذكر الحمام الهداء أو الحمام المراسل الذي اشتق من اليمام الصخري بعمليات التربية والتهجين . وجعل الجاحظ خواصاً معينة يمكن أن نجدها في الحمام الهداء ، وقال : « إن الحمام الهداء إنما هو الخضر والنمر » أي الأسود والأبيض والأزرق إلى خضرة ، وهي صفات نجدها في حمام اليمام الصخري بوضوح .

يشاهد الحمام أزواجاً ، ويشاهد في أحيان أخرى أسراباً مختلفة العدد ، ويتغذى بالثمار والبذور والحبوب والحشرات ، وقد يهدد حقول القمح المبذورة حديثاً ويحدث تلفاً في المحاصيل .

ويبني اليمام الصخري أعشاشه في الجبال وعلى الصخور ، إلا أن غالبية الحمام تبني الأعشاش بين أغصان الأشجار ، وعش الحمام يتميز بالبساطة ؛ إذ يقتصر على أعواد مخلخلة سيئة الترتيب ، وتعرض البيوض والفراخ لخطر السقوط عندما تهب الرياح ؛ ولهذا توصف الحمامة بالخرق والحماقة لأنها لا تحسن بناء العش ولا تحتاط في تربية الفراخ . قال **عبيد بن الأبرص** :

عيـــوا بأمرهـــم كمـــا ... عيـيت ببيضتهـا الحمامـــة
جـعلت لهـا عوديـن مــن ... بشم وآخــر مــن ثمامـــة

وتضع الحمامة بيضتين في العش خلال أشهر الصيف من كل عام ، وقد تحضن مرة أو مرتين في العام الواحد . وفرخ الحمام مخلوق عجيب يولد أعمى بجلد أزرق وهيئة خالية من الجاذبية عليها أصول الريش والزغب ، وسرعان ما يكتسي بالريش الكامل بعد أسابيع ، ويطير بعد شهر من عملية الفقس تقريباً ، وتعتبر أنثى الحمام من الطيور المفرزة للحليب ؛ إذ تفرغ حوصلتها من الطعام ، وتحولها إلى كيس مفرز للمخاط والسوائل المغذية التي تقطرها في أفواه الصغار حتى يشتد عودها ، وتدربها فيما بعد على تناول الطعام الرخو كالبراعم واليرقات والحشرات ، وكثيراً ما يشاهد الفرخ وهو يدخل رأسه في حلق الأم بحثاً عن الطعام ، والأم تألفه بحنان بالغ .

تصنيـف الحمـام

ينتمي الحمام إلى رتبة **الحماميات** "Columbiformes" التي تضم فصيلتي **القطا والحمام** "Columbidae" والعرب يصنفون الحمام بطرق هادفة تأخذ اللون والطباع والمظاهر بعين الاعتبار ، ونورد من تصانيف العرب للحمام : تصنيف **ابن سيدة** الذي يطلق اسم **اليمام** على الحمام الذي يألف البيوت والحمام على الذي يألف البر ، وتصنيف **الأصمعي في كتاب الطير ، إذ يعتبر اليمام ضرباً من الحمام البري والحمام عنده « كل ما كان ذا طوق كالقمري والفاختة » والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بالعنق ، وجعل الفرق بين الحمام واليمام : البياض الذي ينتهي به ذنب الحمام ، وعدم وجوده في ذنب اليمامة . أما الأزهري** ـ من علماء اللغة ـ فيعتمد قول **الشافعي** : « كل ماعب وهدر فهو حمام ، ويدخل فيها القماري والدباسي



والفواخت سواء كانت مطوقة أو غير مطوقة » . والعب هو جرع الماء من دون تنفس ، والحمام يعب ولا ينقر الماء كما تفعل بقية الطيور .

وفيما يلي عرض مبسط لأشهر أنواع الحمام ، ونخص بالذكر حمام البيئة العربية :

الحمـام الطـوراني : Columba Liva

يعرف هذا النوع من الحمام **باليمام الصخري** Rock Dove وينسب إلى **طور سيناء** ، وإلى جبل **طرآن** ، وهو جبل ورد ذكره في معجم البلدان « **لياقوت الحموي** » : « طرآن جبل فيه حمام كثير » . يسمى في مصر بالحمام الأزرق ، ويعد الحمام الأهلي وحمام السباق والحمام المراسل ضروباً من اليمام الصخري ، وتباعدت ألوان حللها نتيجة للتربية والتهجين منذ آلاف السنين . متوسط القد يبلغ طوله «٣٣ سم » . يغير ألوانه وفقاً لطبيعة البيئة التي يعيش فيها ، ولكن تغلب عليه الألوان الزرقاء والرمادية ، وعلى رقبته وأعالي الصدر بقع أرجوانية خضراء ، وأجزاؤه العليا أفتح لوناً من السفلى ، وقلمت الأجنحة بخطوط سوداء ، وأرجله وردية ، والذيل ينتهي بشريط أسود . وتتميز سلالات **الشرق الأوسط** بعجز أبيض خلافاً لسلالات **سيناء وجزر الكناري** . ويرتاد الحمام الطوراني الجبال العالية ، والمنحدرات الصخرية المطلة على سواحل البحار ، ويشكل أسراباً يغزو بها الحقول طلباً للغذاء ، ويشاهد في **جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وفي غربها وفي أواسط آسيا** ، ويشاهد في **البيئة العربية** ويظهر في أماكن العبادة بكثرة .. في الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وفي جوامع « **استنابول** » **والجامع الأموي** وغيرها . ولحمام مكة حرمة خاصة في نفوس زوارها في مختلف العصور حتى قيل في الأمثال : « آمن من حمام مكة » ، و« آمن من حمام الحرم » . قال العَجّاج :

وربّ هـذا البلـد المُحـرَّمِ
والقاطنات البيت عند زمـزمِ
قواطناً مكة من وُرَق الحمي

وأرد بالحمي الحمام إذ حذفت الميم وقلب الألف ياءً عند بعض اللغويين .

الحمامـة الورقـاء : Columba oenas أو اليمامـة

يماثل الحمام الطوراني في القد . أصفر المنقار أرجواني الأقدام إلى حمرة ، وألوانه رمادية زرقاء وخمرية في الصدر وحمراء مخضرة لامعة في مؤخرة العنق ، والقوادم سوداء ، وعلى الأجنحة خطوط



★ القطـا Sandgrous مـن رتبـة الحمـام Columbiformes ★

سوداء رفيعة ، وينتهي الذنب بشريط أسود . يألف الهضاب والغابات والأحراش المحاذية للحقول الزراعية ، ويستريح بأزواج على الأشجار العالية ، ويقيم أعشاشه في شقوق الأشجار ، وهو أقل انتشاراً من الحمام الطوراني ، ويكثر في أوروبا وبلاد الأناضول ، وقد يمضي الصيف في وسط وغرب أوروبا من أجل التكاثر . وتشتي بعض الأسراب في **بلاد الشام والعراق وشمال الخليج** وفي جنوب شرق آسيا وشمال غرب أفريقيا .

الـورشـان : Columba Palumbus

وهو الحمام الذي يسمى **حمام الغابة** "Wood Pigeon" ، كما يسمى « **الدلم والطبان والحيدوان** » . كبير القد يبلغ طوله من « ٤١ ـ ٤٥ » سم ولون رأس الورشان وذنبه إلى الرمادي الأزرق المتموج ، ورداؤه وأعلى العنق إلى الأزرق والأخضر الذهبي المتموج ، وجناحاه إلى الربدة السمراء ، وفي صدره ألوان خمرية ، وينتهي الذنب بالسواد ، والمنقار أصفر حنطي . وعند البلوغ تظهر بقع بيضاء في العنق وعلى الجناح .

حسن الصوت ويألف الغابات والأشجار الوارفة الظل ، كما يرتاد المراعي والحقول ، ويطير بسرعة رغم ثقل الهمة . يهاجم الحقول المزروعة بالقمح والشعير ويحدث فيها أضراراً بالغة . وموطنه فسيح الأرجاء ، ويمتد من الشرق الأوسط إلى أوروبا وأفريقيا الشمالية الغربية ، ولا يرتاد مصر وجنوب بلاد الشام إلا نادراً .

ينتمي **الحمام الطوراني واليمام والورشان إلى الجنس** "Columba" وهي أنواع مألوفة في البيئة العربية ومن أنواع هذا الجنس : الحمام الطويل الأصابع C. Trocaz والحمام النبيل .C



★ حمام الغابات Wood pigeon ★

Junoniae ، وهما من حمام جزر الكناري والجزر المطلة على السواحل الغربية من أفريقيا .

الحمام المطوق : Strepropelia decaocta

حمامة أشهر من أن تعرف في البيئة العربية ، وتسمى الفاختة في **العراق** ، وست الروم في **حلب** ، ودايم كريم **في الشام** والحمام المطوق هو حمام الأقفاص الذي يحبس في البيوت لدعائه وصوته : « دايم .. ياكريم » . ينتمي الحمام المطوق إلى الجنس ''Streptopelia'' الذي يضم الحمام المطوق والقمري والدبس . صغير القد ويبلغ طوله « ٣٢ » سم ويتميز هذا النوع من الحمام بطوق أسود وأبيض في عنقه .

وحلله رمادية باهتة مشوبة بألوان وردية من الأسفل ورمادية إلى ربدة من الأعلى ، وقوادمه سوداء ، وأغطية الجناح زرقاء وينتهي الذنب ببياض . يستوطن الحمام المطوق في غرب ووسط أوروبا وفي **الأناضول** وبلاد الشام وفي العراق **والهند** ، ويكثر في ضواحي المدن العربية وعلى الأخص في بساتين **دجلة والفرات** . وللحمام المطوق نوع آخر يكثر في **المغرب العربي** ، ويسمى الحمام المطوق البربري ''S. Visoria'' ويشاهد هناك بحلة صفراء باهتة ، وهو أصغر قداً من حمام بلاد الشام .

الحمام القمري : S. Turtur

يسمى هذا النوع من الحمام بالحمام « **القمري** » في مصر ، و« **الترغل** » في بلاد الشام ، و« **الشفنين** » في العراق ـ كما يسمى « **الصُلصُل** » و« **الأطرغل** » .. متوسط القد . متعدد الألوان وفيه نجد الوشم والتنميق . رأسه وعنقه إلى ربدة والرداء بني مصفر ، والقوادم داكنة ، ويعلو الذنب السواد والبياض ، وصدره إلى حمرة خمرية ، البطن بيضاء مغبرة والحدقة حمراء مميزة . وموطن الحمام القمري يمتد من الهند إلى الشرق الأوسط فأوروبا وأفريقيا الشمالية حتى خط الاستواء . يأتي إلى بلاد الشام وأطراف جزيرة العرب مرتين في العام . الأولى في **الربيع** حيث يقيم شهراً ونصف الشهر ثم يرحل إلى مناطق الغابات والأشجار في كل من تركيا والعراق وإيران وأوروبا حيث يمضي أشهر **الصيف** هناك من أجل التكاثر ، ويعود في مطلع الخريف لمدة أسبوعين ثم يرجع من حيث أتى ؛ لأنه من الحمام المتجول في كثير من البيئات العالمية ، والترغل الوردي قليل التجول في البيئة العربية ، إلا أن أسرابه قد تشتي في شرق آسيا ولهذا سمي بالترغل الشرقي ''S. Orientalis'' .

الحمام الدبسي : S. Senegalensis

يسمى الحمام الدبسي بفاختة النخيل ، وفاختة السنغال ، وصوته فيه نغمات الضحك ، ولهذا سمي **بالحمام الضاحك** . يتميز بألوان خمرية دبسية . بني الظهر إلى رمادي ويعتم في الظهر والعجز . البطن بيضاء والصدر خمري موشم بالسواد ، وأغطية الجناح زرقاء ، وهو من الحمام المستوطن في بلاد الشام ؛ إذ ذكره **الشيخ كامل الغزي** في « **تاريخ حلب** » ، ويذكر في تركيا ومصر وفي القسم الشمالي والأوسط من أفريقيا ، وفي أواسط آسيا ، ويشتي في العراق وشمال الخليج العربي .

وأخيراً نذكر **حمام البالوم** Oena Capensis وهو من الحمام النادر في البيئة العربية ويذكر قديماً في جنوب مصر .

من مصادر البحث

● المصادر العربية :

(١) كتاب الحيوان ، الجاحظ .
(٢) حياة الحيوان ، الدميري .
(٣) الكامل ، المبرد .
(٤) فقه اللغة ، الثعالبي .
(٥) مجمع الأمثال ، الميداني .
(٦) طيور مصر ، د . حماد الحسيني .
(٧) حيوانات بلاد الشام ، المهندس وصفي زكريا .
(٨) الطيور الليبية ، مترجم . أوجستونوسكي .
(٩) مصرعة الطيور مترجمة ، ج . هنزاك .
(١٠) معجم الحيوان ، أمين المعلوف .
(١١) موسوعة الطيور السورية المخطوطة : تأليف أسعد الفارس ـ كاتب المقال ـ والدكتور عارف تامر .
(١٢) المخصص : ابن سيدة .

● المصادر الإنجليزية :

(1) Birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East. by Hexmann Henzel. Richard Frner.....
(2) Bird of Britain and Europe. by Bertel Brunn and another.
(3) Birds. by. S. Vere Benson.

•• الشرق ** في عيون الغرب ••



• بائع السجاد ــ للرسام : تشارلــز روبرتسون •



أغنية قبل الرحيل

شعر: د. غازي القصيبي

ما أمرّ اللحن يجتاح الفمَا — موجعاً ينزف ناراً ودَمَا
ترعش الذكرى على خفقته — رعشةَ الطائر في الفخ ارتمى
ويثير الأمسُ جرحاً كلما — ضجَّ في الأضلع أحيَا الألما
أنت من فجَّر بركانَ الأسى — فاسمعيه يتلظّى حِمَمَا
لن أناجيك بأنغام المنى — وصدى اللوعة يكسو النغما
كيف أسلمت قيادي للمُنى — وحسبت الحبَّ فردوسَ الدنى
كيف أهرقت على محرابه — صبوتي الأولى وشوقي الأرْعَنا
كيف ناجيتك مأخوذاً بما — كنت أدعوه ينابيع السَّنى
لم تكوني في خيالي امرأةً — كنتِ فجراً باسمَ النُّور دنا
آه لو أدركتُ في لحظتها — أنتِ كالنَّاس .. وكالنَّاس أنا
يعجز العلمُ وتعيا الفلسفة — في جوابٍ نشتهي أن نعرفه
ماالذي نبغيه ؟ ما بال الفتى — ضائعاً ما عاد يدري هدفه
هذه الأشواق .. ما أسرارها — حين تجتاح النفوس المرهفة
قلق كالموت يستضعفنا — لم لا نقدر أن نستضعفه
أيَ لغز ذلك الحب الذي — كلما لامس قلباً أتلفه ؟
أي لغز ذلك الحب ؟ .. أجيبي — ولماذا تهمس الروح حبيبي ؟
ولماذ يخفق القلبُ إذا — باحت النظرة بالوجد المذيبِ ؟
ولماذا يذبل الشوقُ كما — تذبل الأنوارُ من بَعْدِ المغيبِ ؟
ولماذا والأسى يحرقنا — نستطيب العيش في وادي اللهيبِ ؟
ولماذا إنْ بسمنا مرَّةً — غاضت البسمة كالظل الغريبِ ؟
أيها الحب ! لقد آن الفراقُ — لم يعد في قلبنا الدامي اشتياقُ
عَبِثَ اليأسُ بأشواق الصبا — مثلما يعبث بالبدر المحاقُ
كل ما نزعمه عن حبنا — كذبٌ .. كل أغانينا نفاقُ
جفّت القبلة في بسمتنا — وذوى في برد قلبينا العناقُ
فلنقل إنَّا انتهينا وانتهت — قصة أسطرها عمر مراقُ

عن قصيدته « أغنية قبل الرحيل » ديوان « قطرات من ظمأ »

ضمانات القضاء في

تميزت الشريعة الإسلامية الغراء عن غيرها من الشرائع الوضعية بوجود ضمانات للقاضي تمكنه من إقرار العدل وصيانة الحقوق ونشر الحريات ، وفيما يلي بيان بها :

ضمانات في سلوك القاضي

قال فقهاء الشريعة الإسلامية إنه ينبغي للقاضي أن يكون مهيباً وقوراً بعيداً عما يمس المروءة ، قليل المداخلة والعلاقات بين الناس حتى لا يتأثر فيحابي .

كذا يجب ألا يغشى المجتمعات التي لا تناسبه من حيث الخلق والدين وإنما عليه أن يتخير أحسنها خلقاً وفضلاً وديناً .

كما يجب ألا يكثر من ممازحة الآخرين والضحك معهم حتى لا تنزع المهابة والوقار منه ، كما يجب أن يكون كلام القاضي عالي الأسلوب رفيع المعنى ، خالٍ من الغلظة والفحش والاستهزاء والاستعلاء على الناس .

تحريم الهدية والمنافع

وحرم الفقهاء الهدية أو المنافع التي تقدم للقاضي سواء كانت من الخصوم أو من غيرهما ، واستدلوا على ذلك برد **عمر بن عبد العزيز** الهدية فلما قيل له إن النبي ﷺ قبل الهدية ، قال عمر كانت للنبي هدية ولنا رشوة[1]

وعلل الفقهاء ذلك بأن الهدية كانت لرسول الله ﷺ قربى له لنبوته ، ولأنه ﷺ معصوم مما يخاف من الهدية على غيره .

المنع من التجارة وما شاكلها

حرم الفقهاء على القاضي الاشتغال بالتجارة ونحوها ، من ذلك ما قاله الإمام **الشافعي** رحمه الله :

« اكره له ـ أي القاضي ـ البيع والشراء خوف المحاباة والزيادة ، ولأنه إذا باع واشترى لم يؤمن أن يسامح ويحابي فتحيل نفسه عند المحاكمة إلى مسامحة ومحاباة من سامحه وحاباه »[2]

كذا رجح الفقهاء منع القاضي من مزاولة أية مهنة أو عمل حتى ولو كان ذلك خارج أوقات الوظيفة ، وذلك دفعا للتهمة والإغراء ، وحتى يتفرغ القاضي لعمله الذي يحتاج إلى صفاء ذهن وكثرة نظر .

تقدير راتب القاضي

ذهب جمهور الفقهاء إلى القول بمنح القاضي راتباً يكفيه هو ومن يعول ، حتى لا يتطلع إلى ما في أيدي الناس ، ومن ثم يقوم على عمله خير قيام .

يقول **ابن قدامة** :

« والصحيح جواز أخذ الرزق [الراتب] عليه بكل حال ، لأن أبا بكر رضي الله عنه لما ولى الخلافة فرضوا له الرزق كل يوم درهمين ، وأن عمر رضي الله عنه رزق زيداً وشريحاً وابن مسعود ، وأمر بفرض الرزق لمن تولى القضاء »[3]

ونرى التوسعة على القاضي في الراتب حتى ترضى نفسه وعياله وينصرف قانعاً إلى عمله غير متأثر بماديات الدنيا وزينتها . يؤيد ذلك كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى **معاذ بن جبل** وإلى **أبي عبيدة** لما بعثهما إلى الشام :

يقول عمر : « انظرا رجالاً من صالحي من قبلكم فاستعملوهم على القضاء **وأوسعوا** عليهم وارزقوهم وأكفوهم من مال الله »[4]

عدم جواز التدخل

ينقل القاضي حكم الشرع الحنيف للناس ويلزمهم به ، ومن ثم لا يصح لأحد ـ مهما كان ـ أن يتدخل في عمل القاضي ليحيد عن حكم الشرع وإلا كان ذلك خروجاً على أحكام الشريعة .

وقد يقال إن معنى ذلك هو أن القاضي لا رقابة عليه البتة ، ولكن في رقابة الله له وحق الشكوى منه وإشراف ولي الأمر عليه ما يضمن صحة عمل القاضي ونزاهته وهي التي سنبينها فيما يلي :

رقابة القاضي من الله

معلوم أن قضاء القاضي مراقبا من الحق سبحانه وتعالى ، فإن كان القضاء بالحق والعدل كانت للقاضي المثوبة والجنة ، وإن كان العكس كان آثما ومآله النار والعياذ بالله . يقول **رسول الله** ﷺ : « القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار : فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار »[5]

الشَّريعةِ الإسْلاميَّةِ

بقلم: د. أحمد إبراهيم سيد علي

رقابة القاضي من الناس

لأصحاب الحقوق والمصالح حق محاسبة القاضي عن أي انحراف في العدل أو تجاوز في الحق ويكون ذلك إما بالطعن أمام الجهات الأعلى القضائية أو الشكوى منه للخليفة حتى ينالوا حقوقهم .

رقابة ولي الأمر

قرر الفقهاء حق ولي الأمر في مراقبة القضاة وتأديبهم وعزلهم ، وهذا الحق له ولمن ينوب عنه كقاضي القضاة مثلا ، وأسس الفقهاء ذلك بمقولة إن لولي الأمر حق تفقد أحوال القضاة وتقديم ما يلزم من إرشادات وتوجيهات ضمانا لحسن سير العدالة وتقرير حقوق الناس على وجهها الصحيح ، فقد أرسل عمر بن الخطاب رسالة مشهورة إلى **أبي موسى الأشعري** ، تتضمن توجيهات وإرشادات بنى عليها العلماء والفقهاء أصول الحكم والشهادة في الإسلام :

يقول عمر : « أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أولى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آسى الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على المدعي واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً احلَّ حراما أو حرَّم حلالا ، ومن أدعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه ، فإن بينه اعطيته بحقه وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فإن ذلك هو أبلغ في العذر واجلى للعماء ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا في حدّ أو ظنينا في ولاء أو قرابة فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والإيمان ، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق ، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه ، ما بينه وبين الناس ومن تزّين مما ليس في نفسه شأنه الله ، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصا »[٦]

كما أنه لولي الأمر ولمن ينوب عنه التأكد من سلامة عمل القاضي ومدى كفاءة القاضي عن طريق النظر في أقضيته وأحكامه التي يصدرها ، ويراقب سلوكه ويراعي أمره ويكون ذلك بسؤال العدول من الناس عنه ، حتى يستطيع ولي الأمر أن يصحح المعوج ويحسن للمحسن :

يقول **ابن فرحون** :

« وينبغي للإمام أن يتفقد أحوال القضاة فأنهم قوام أمره ورأس سلطانه ، وكذلك قاضي الجماعة [أي قاضي القضاة] فينبغي له أن يتفقد قضاته ونوابه فيتصفح أقضيتهم ويراعي أمورهم وسيرتهم في الناس ، وعلى الإمام والقاضي الجامع لأحكام القضاء أن يسأل الثقاة عنهم »[٧]

كذا من حق ولي الأمر أو من ينوب عنه التأكد من سرعة وصول الحق إلى أصحابه بأسرع وقت ممكن وأيسر الطرق السهلة ، وجعل الفقهاء التفريط فيه سبب كاف لعزل القاضي وتعزيره .

من ذلك قولهم :

« **لا يجوز للقاضي تأخير الحكم بعد وجود شرائطه** » وكذا قولهم :

« **القاضي بتأخير الحكم يأثم ويعزر ويعزل** »[٨]

وبذلك تكون شريعة الله خير الشرائع قاطبة في إقامة العدل والحق الذي قامت عليه السموات والأرض

وبالله التوفيق



الهوامش

(١) المغني لابن قدامة جـ ٩ ص ٢٣٧ ، تبصرة الحكام لابن فرحون جـ ٢ ص ٣٠ .
(٢) أدب القاضي للماوردي جـ ٧ ص ٢٣١ .
(٣) المغني لابن قدامة جـ ٩ ص ٢٣٧ .
(٤) شرح خليل الحطاب جـ ٦ ص ١١٥ ، حاشية الدسوقي جـ ٤ ص ١٣٨ .
(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود جـ ٧ ص ٤١٧ .
(٦) انظر نص هذه الرسالة في إعلام الموقعين لابن القيم ط ١ ص ٧١ ، ٧٢ .
(٧) تبصرة الحكام لابن فرحون جـ ١ ص ٧٧ .
(٨) رد المحتار جـ ٥ ص ٤٢٣ .

اللغة والتطور في الدراسات اللسانية

بقلم: د. منذر عياشي

لقد تناول عدد من علماء اللسانية هذا الموضوع ، ولهم فيه وجهات نظر مختلفة باختلاف النظريات التي انطلقوا منها والفرضيات التي اعتمدوا عليها في شرح هذه النظريات . ونريد هنا أن نعرض إحدى هذه الفرضيات لأن صاحبها قد عممها حتى على اللغة العربية ، ثم سنأتي بعد ذلك بنقيض لها كي نتمكن من مناقشتها ونقف على تحديد معنى التطور اللغوي عموماً وتطور العربية خصوصاً . فهناك فرضيتان في التطور اللغوي :

●● **الفرضية الأولى** : لقد تكلم العالم اللغوي **A. Meillet** عن التطور اللغوي . وبنى رأيه على فرضية مفادها أن الخطوط العامة للتطور تتماثل في كل الحضارات . واعتماداً على هذه الفرضية عقد مقارنة بين تطور اللاتينية والعربية ، ورأى أن التطور متماثل في اللغتين . واستنتج من هذا أن كل واحدة قد أدت إلى ميلاد لغات متعددة ومنفصلة بعضها عن بعض . إنه يقول : « **تعتبر بعض اللغات بديلة للغة واحدة وجدت سابقاً . تعتبر الفرنسية والإيطالية مثلاً كبديلين للاتينية ، واللغة العربية السورية ، والعربية المصرية ، والعربية المغربية ـ وهي لغات تختلف اليوم فيما بينها اختلافاً كبيراً عند الكلام ـ تعتبر هي الأخرى بديلة للغة الفاتحين العرب** »[1]

●● **الفرضية الثانية** : تقول القاعدة المنطقية : إن نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج مالم تختلف الظروف عليها . وهذا يعني ، بالنسبة للحالة التي بين أيدينا ، أنه لكي تتماثل الخطوط العامة للتطور في حضارة من الحضارات مع الخطوط العامة للتطور في حضارة أخرى يجب أن يتوفر شرطان على الأقل :

★ **أولا** : يجب أن تتماثل الخطوط العامة التي انبنت عليها كل واحدة من الحضارتين .

★ **ثانيا** : يجب أن تمر الحضارتان بظروف متقاربة ، إن لم نقل بنفس الظروف .

ومما تقدم يتبين لنا أنه ليس صحيحاً عقد وجه شبه بين الحضارتين ، وذلك لسببين : لاختلاف البنى المكونة لكل من الحضارتين أولاً ، ولاختلاف ظروف التطور التي تعاقبت عليهما ثانياً .

ولقد رأى كثير من العلماء أن بين التطور الحضاري والتطور اللغوي علاقة وثيقة تربطهما . يقول **Bertil Malmberg** : « تتطور اللغة والحضارة بشكل متساوي . ولذا فإن التطورات الثقافية والاجتماعية تحتاج إلى تأقلم اللغة مع الحاجات الجديدة المبتدعة »[2] .

وفي الواقع ، لا يوجد تطور لغوي واحد بل يوجد عدة تطورات تتعلق بعدة

ميادين ومستويات لغوية . ودراسة التطور اللغوي تفترض تحديد ميدان التطور والمستوى الذي حدث فيه . وإذا كان يطلب من دارس التطور معرفة أسبابه فمن البديهي أيضا أن يطلب منه معرفة التطور نفسه ومعرفة ميادينه . وقد أشار Malmberg إلى الأسباب ، وبقي علينا أن نعرف شيئاً عن التطور وميادينه . وسنرى فيما سيأتي أن **A. Meillet** لم يتحر الصواب فيما قال .

التطـور حـدث منظم

إن التطور حدث منظم وله قوانينه التي تنتجه . وهو دائب ، دائم ، هام وضروري فلولاه لانقطعت الحياة وتوقف جريانها .

ولقد تواضع علماء اللسانية على تعريف اللغة بأنها نظام . كما تواضعوا على تعريف هذا النظام بأنه جملة من القواعد (القوانين) المحددة العدد في كل لغة ، والقادرة على إنتاج عدد من الجمل غير محدود[٣] . وهذا يعني أن الكلام حدث منظم وله قوانينه التي تنتجه .

فإذا كان التطور حدث منظم وله قوانينه التي تنتجه فإن اللغة كحدث إنساني إنما هي تطور مستمر ، بديل أنها نظام ، وأن هذا النظام يتكون من جملة من القوانين المحدودة العدد والتي تنتج جملاً ، جديدة ، وغير محدودة العدد . وإذا كان ذلك كذلك فإن التطور ، هنا ، هو نفس الحدث اللساني على اعتبار أنه نظام يقوم على قوانين دائمة الإنتاج .

ولكن يجب أن نلاحظ ـ وهنا مكمن خلافنا مع Meillet ـ **أن التطور إذا كان حدثاً لسانياً فهو خاص وفريد** . وهذا يعني أن لكل لغة تطورها الخاص . وهو لا يتم إلا وفق قوانين معينة وأسباب معينة تتعلق بالظروف الحضارية للناطقين بهذه اللغة أو تلك . وإن اختلاف تطور الحضارات يؤدي إلى اختلاف تطور اللغات . وبما أن اللغات متعددة فإن صور التطور متعددة هي الأخرى بتعدد اللغات .

ورداً على Meillet نقول إنه قد تلتقي أسباب التطور وقد لا تلتقي . قد تلتقي إذا كانت عدة لغات تعيش في ظل حضارة واحدة . وقد لا تلتقي إذا كانت كل واحدة تعيش في ظل حضارة مختلفة عن الأخرى . وهذا يفسر ، بالنسبة لنا اختلاف تطور العربية عن تطور اللاتينية .

ولكن السؤال الذي بقي علينا أن نجيب عليه هو **كيف يمكن تفسير تباعد اللغات الأوربية عن بعضها من جهة أولى ، وتقارب اللهجات العربية من بعضها من جهة أخرى ؟** وللإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى شرح مفهوم آخر غير مفهوم التطور ، ألا وهو مفهوم **القطيعة** . ولعل المقارنة بين هذين المفهومين تنتهي بنا إلى إجابة دقيقة .

القطيعــة والتطــور

لقد قلنا في الفترة السابقة إن التطور هو نفس الحدث اللساني . ويمكن أن نضيف أيضاً بأنه لا توجد لغة واحدة في العالم محجوبة عن حركة التطور . وأن اللغة التي لا تتطور لتلبي حاجات الإنسان المتجددة تحسب في تعداد الأموات . ولكن حين نتكلم عن التطور يجب أن لا نخلط بينه وبين مفهوم آخر نستطيع أن نسميه القطيعة .

(أ) القطيعة : إذا أردنا أن نعرّف هذا المفهوم فيمكن أن نقول : **إن القطيعة مسافة لسانية تفصل بين لغة محدثة وأصلها التاريخي المنسلخة عنه** . وهي تتجسد في شكل انقسام حاد وكلي بين اللغة الأم واللغات التي تولدت عنها .

ولقد اتجه **علم النحو المقارن** منذ القرن التاسع عشر إلى دراسة الأسر اللغوية وشملت دراساته كل الظواهر المتعلقة باللغة : الأصوات ، وتركيب الكلمة ، نحو الجملة وتركيبها ، والقواميس . وقد رأى العلماء من خلال دراساتهم أن بعض اللغات تتقارب من بعض ، وأن بعضها يتمايز . ووصلوا إلى هذه النتيجة لأنهم لاحظوا وجود روابط تاريخية بين اللغات المتقاربة . وصعوداً مع الزمن في أعماق الماضي ، تبين لهم أن اللغات المتقاربة تعود إلى لغة (أم) . ولقد قادتهم هذه الملاحظة إلى إقامة تصنيف للغات بينوا فيه انتماء كل لغة إلى أسرة معينة .

نستطيع على ضوء هذه الدراسات ، أن نقف على ثلاثة أمور في معنى القطيعة :

١ ـ تعني القطيعة المسافة التي تفصل لغة ما عن أصلها .

٢ ـ إن اللغة العربية والعبرية والآكادية والآرامية والحبشية تعد من أسر اللغات السامية . ونتيجة مقارنة هذه الفروع فيما بينها ، ومقارنتها مع اللغة الأم ، يتبين أن القطيعة كمسافة لسانية فاصلة تكاد تكون شبه تامة . ويبدو أن مسافة البعد اللساني مضافاً إليها مسافة البعد الزماني ، لم تترك بين هذه اللغات أي عامل مشترك .

٣ ـ ونستطيع أخيراً أن نمثل القطيعة بانفجار أصاب اللغة الأم . فإذا عدنا إلى هذه اللغات فسنرى أن ميلادها ما هو إلا نتيجة من نتائج هذا الانفجار . ولذا فقد اختلفت هذه اللغات في تكوينها عن اللغة الأم ، واختلفت فيما بينها بنيوياً اختلافاً كبيراً ، وأن بعضها ما زال حياً مستمراً ، وبعضها الآخر أصبح أثراً للغة منقرضة .

(ب) التطور اللغوي : لقد قام علم اللغة التاريخي وعلم اللغة الوصفي بدراسة اللغات . فكان مجال الأول واختصاصه البحث في تطور لغة من اللغات عبر الزمن ، وتسمى هذه الدراسة العامودية **(Diachronique)** ، وكان المجال الثاني واختصاصه دراسة لغة واحدة أيضاً ، ولكن ضمن سطح زمني معين ومحدد ، وتسمى هذه الدراسة الأفقية **(Synchronique)** . وموضوع الدرس ومادته في الفرعين لا يختلف في كثير عن موضوع الدرس ومادته في النحو المقارن . غير أن الفوارق تظهر في المنهجية وفيما اختص به كل علم من خصائص يتناول بها المادة المدروسة .

نستطيع ، هنا أيضاً ، أن نوجز على ضوء هذه الدراسات أموراً ثلاثة :

١ ـ أن التطور ، بالمعنى الذي نقصده ، هو عكس القطيعة ، إنه يحدث على مستوى السطح اللغوي ، ولا يكون بإحلال لغة مكان لغة . ومع هذا المفهوم يصير موضوع الدرس هو اللغة نفسها . وإننا حين ندرس العربية مثلاً ندرس اللغة باللغة وليس بأداة غيرها أو بلغة ثانية بديلة عنها . ولذا تبدو العربية في درسنا لها ، من منطق التصور ، أصلاً لذاتها ، وأمّاً لنفسها ، تتحكم فينا قواعدها فنستخدمها لما جعلت له من توليد جمل غير نهائية تشهد على استمرار التراث القاعدي فيها .

٢ ـ أن التطور اللغوي يشهد على تطور سابق عليه ومؤثر فيه . وهو لا

يمكن أن يحدث في اللغة مالم يحدث في التصور أولاً ، أي في مجموع العقائد والمفاهيم التي تربط الإنسان بالمجتمع وبالكون من حوله . وفي هذا يقول **ابن فارس** : « فلما جاء الله تعالى جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع أخر ، بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول »(٤)

٣ ـ أن استمرار اللغة رهن بتطورها ، وأن التطور لا يكون إلا بحضارة تؤدي إليه . فإذا زالت الحضارة انقطعت اللغة عن تطورها وتوقفت عن استمرارها . ويأخذ التطور ، في ظل الحضارة التي نما فيها ، عدة أشكال ، ويظهر في عدة مواضع .

اللهجـات والتطـور اللغـوي

لكي تعتبر اللهجات حالة من حالات التطور يجب أن تكون لألفاظها نفس البنى التي تقوم عليها ألفاظ اللغة ، كما يجب أن تكون لجملها نفس التراكيب التي تتشكل بها جمل اللغة . وبهذا ترتبط اللهجات مع اللغة برباط يجمع بين الخاص والعام ، ويجعلها مظهراً من مظاهر التطور .

●● **الأصوات** : تمثل اللهجات على هذا الصعيد تطوراً صوتياً للغة واحدة موزعة على مناطق جغرافية متعددة . وهي تتعلق بنطق الألفاظ ، مما يجعل لكل متكلم جغرافي طريقة ينفرد بها عن سواه . ولقد لاحظ **ابن جني** هذا الأمر من قبل فتكلم عن : « **عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء** »(٥) .

ويعني انفراد اللهجة بمنطق معين أن كل لغة ثبتت بنى ألفاظها ، واستقرت تراكيب جملها ـ كما العربية ـ تملك القدرة أن تكون منطوقة بعدة طرق تتمثلها اللهجات . وقد تختلف هذه ، زيادة ونقصاً ، من عصر إلى عصر ، غير أنه لابد من وجودها في كل العصور ، ومع كل اللغات الواسعة الانتشار . ويلاحظ هذا على **اللغة الإنجليزية** حيث يختلف نطقها بين انجلترا وأمريكا ، كما يلاحظ هذا على **الفرنسية** حيث توجد فوارق في النطق بين الفرنسيين والكنديين والبلجيكيين . وقد أكد الدارسون أن النطق يختلف ضمن الدولة الواحدة أيضاً ، وبين أبناء المدينة الواحدة ، أي بين حي وحي ، كما أكدوا أيضاً على اختلافها عند أبناء الحي الواحد **وذلك لارتباط النطق بمستويات لغوية هي حصيلة مستويات ثقافية متنوعة** .

ومن المعروف أيضاً أن النطق يختلف عند الشخص الواحد وذلك حسب تدرج عمره من الطفولة إلى الشباب ثم إلى الشيخوخة . وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن الإنسان لا يلفظ كلمة واحدة مرتين بنفس الطريقة ، وأكدوا مخبريا بأن طريقة النطق الطبيعية في تغير دائم(٦) .

يمكننا أن نقول أخيراً إن مجموع هذه الخلافات في النطق لا تجعل من اللهجات لغات مستقلة بذاتها ومنفصلة عن بعضها كما أراد أن يوهم بذلك (A. Meillet) .

●● **المفردات** : لقد عرف العلماء اللغة بأنها رموز صوتية ، واعتبروا الكلمة أصغر وحدة صوتية فيها وذات معنى .

إن لهذا التعريف أهميته ، إذ ما كل منطوق لغة ، وما كل مفهوم كلام ، أي

اللغةُ والتطورُ في الدراساتِ اللسانيّة



★ شومسكي ★

أن الأصوات لا تكفي وحدها لتشكيل الكلمة وإعطائها دلالاتها ، ولا الدلالة وحدها تكفي لتقوم بهذا الدور . إن الذي يعطي للكلمة دلالتها هو إجماع المتكلمين واتفاقهم على إعطائها معنى معيناً ، هذا المعنى يشار إليه بصيغة صوتية معينة ذات قوانين محددة تسمح للكلمة أن تدخل في جمل اللغة وفق قواعد خاصة(٧) .

واللغة تواضع المجتمع واصطلاحه . وإذا كان المجتمع عبر تطوره يدفع ، في عصر من العصور ، ببعض المفردات للظهور ، فإنه يغيب أخرى أيضاً . ولذا ، فقد يكون لكلمة ما في زمن ما معنى معيناً ، ثم يأتي زمن آخر يتطور فيه المجتمع ، فنرى نفس الكلمة تأخذ معنى جديداً . وقد أشار **السيوطي** إلى هذه الظاهرة فقال : « فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن ، والمسلم ، والكافر ، والمنافق ، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمن والإيمان ، وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن مؤمناً . وكذلك الإسلام والمسلم [...] ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء ، والستر .. »(٨)

ثم إن اللغة لا تقف عند هذا الحد . **إنها تولد المفردات والألفاظ أيضاً ، اشتقاقاً ونحتاً وتركيباً ، تلبية لحاجات التطور الاجتماعي** ، وقد تستعير بعض الألفاظ الأجنبية ، وخاصة المصطلحات . وهذا ما حدث لبعض اللغات الأوروبية والشرقية حين استعارت من العربية كثيراً من مصطلحات الطب والزراعة والهندسة وغيرها ، وهذا ما يحدث للعربية اليوم في أخذها عن اللغات الأخرى كثيراً من مصطلحاتها . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حيوية اللغة وقدرتها على مواكبة الحياة والسير معها في تطورها .

غير أن ما يشد الانتباه إليه اليوم هو أن الفصحى ـ على مستوى المفردات ـ قد أخذت تغزو اللهجات ، فتُقِر ما كان منها في أصله فصيح ، وتفصح ما هو قابل للتفصيح ، وتغيب ألفاظاً أخرى . وهي ، كما أشرنا ، ظاهرة فريدة في تاريخ تطور اللغات ، ولكنها موجودة يشهد عليها كلام العرب في كل أقطارهم ، منذ الخمسينات من هذا القرن وإلى أيامنا هذه .

●● **الاقتصاد في الكلام والنطق** : يظهر عند المتكلمين ميل إلى الاقتصاد في الكلام والنطق ، بمعنى أن المتكلم ينزع إلى الاختصار . ويبرز هذا الميل تحت أشكال مختلفة . إلا أن هذه الظاهرة على أهميتها لا يمكن اعتبارها تحولاً جذرياً في البنى الأساس التي تقوم عليها اللغة . إنها ظاهرة تلون السطح اللغوي ، باعتماد بنية اللغة وتراكيبها ، بألوان من الاستعمال تحتاجه مقتضيات التعبير . **ويمكننا أن نحصر بعض مجالات هذه الظاهرة فيما يلي :**

★ **الإسقاط** : ويكون في نطق حرفين من الكلمة المؤلفة من ثلاثة أحرف ، أو في نطق ثلاثة أحرف من الكلمة المؤلفة من أربعة أحرف . وقد انتشرت هذه الظاهرة في اللغات الأوربية اليوم بشكل خاص ، وفي العربية بشكل أقل .

★ **التسكين** : ويكون بالوقوف بالسكون على حرف من حروف الكلمة ، وخاصة الحرف الأخير . وقد لا يكون السكون وقفاً فعلياً بقدر ما يكون خفضا للصوت فلا يسمع الحرف الأخير في هذه الحالة .

★ **الإدغام** : ويكون في إدخال حرف بحرف . وقد يأتي من طبيعة اللغة نفسها ، وهو من الظواهر الموجودة بكثرة في اللغة العربية .

★ **الإبدال** : ويكون في إبدال حرف بحرف تسهيلاً للنطق ، إضافة إلى غايات أخرى تدخل في دلالة الكلمة .

★ **الدمج والتركيب** : ويكون في دمج كلمة بأخرى . وقد ظهر هذا الاتجاه مؤخراً في عدد كبير من اللغات تلبية لحاجات تعبيرية كاستخراج المصطلحات المركبة ، خاصة عندما يشترك علمان أو أكثر في معالجة قضية واحدة .

وقد فسر اللسانيون هذه الظواهر بميل الإنسان ، طبيعياً ، إلى بذل أقل جهد ممكن . يقول **أندريه مارتينيه** : « يخضع السلوك الإنساني إلى قانون الجهد الأقل والذي بموجبه لا يجهد الإنسان إلا ضمن النطاق الذي يستطيع أن يبلغ فيه الأهداف التي حددها لنفسه »[٩] .

إن هذه الظواهر موجودة في كل اللغات الحية ، وأن وجودها في العربية بشكل متفاوت بين لهجة وأخرى ، لا يعني أن هذه اللهجات قد انقطعت عن اللغة الأم ، بل على العكس من ذلك ، إن وجودها يعني أنها مازالت تعيش ، كما كانت في الماضي ، ضمن النظام اللغوي للعربية وتخضع لنظامها .

التمكن والأداء

ما من متكلم يقول ما يقول إلا وهو يعتمد على مخزون لغوي ، أي على مجموعة من الطرق (القواعد) في تركيب الجملة تجعل من قوله خلقاً جديداً يلبي حاجته في التعبير وبغيته في الإيصال والإفهام . **وقد عالجت اللسانية هذا الأمر وأرجعته إلى أصلين بهما تنهض اللغة لتشهد على نفسها في كلام كل متكلم :**

١ ـ **التمكن** (La Compétence) : تتألف اللغة من مجموعة من النظم يتحدد بموجبها الشكل الصوتي والتركيبي لهذه اللغة . والطفل حين يتلقى لغة أبويه ، أو لغة المحيط الذي يعيش فيه يقوم بعملية تخزين لكل هذه النظم عن طريق استعداداته الفطرية ، وذلك لأنه كائن خلق ليتكلم ويسر لهذا بماله من هذه الاستعدادات .

وإذا كانت اللغة تتألف من « مجموعة من القواعد المحدودة العدد »[١٠] فإن الطفل لا يتعلم هذه القواعد تعلماً ، ولكنه يكتسبها اكتسابا تنطبق فيه قوانين الفطرة على قوانين اللغة . وهذا الاكتساب الفطري هو ما يسمى بالتمكن ، وفيه تكون البنية التحتية للغة قدرة كامنة عند المتكلم . ويتساوى في هذا المستوى كل الناطقين بلغة واحدة .

٢ ـ **الأداء** (La Performance) : الأداء هو الإنجاز الفعلي للغة وهو وجهها الخلاق أيضاً . ويظهر ممثلاً في البنية الفوقية ، أي في مجموع الجمل التي تم إنجازها عبر الكلام . فإذا كان التمكن يعني قدرة الإنسان على احتواء القواعد المحددة العدد ، فإن الأداء يعني قدرة هذا الإنسان على استخدام هذه القواعد في « إنشاء جمل غير متناهية ولا يحدها عدد »[١١] . ونرى أن العلاقة بين التمكن والأداء إنما هي علاقة نظام يكون في الحالة الأولى مضمراً ، ويعمل في الحالة الثانية على توليد الجمل ، ولذا فإن **شومسكي** يقول : « إن الأداء يعكس التمكن »[١٢] . غير أن الناس لا يتساوون في الأداء كما هم متساوون في التمكن . وإذا أردنا أن نعالج قضية الفصحى والعامية بموجب مبدأ التمكن والأداء ، فسنجد أنهما يتمثلان في أدائين لتمكن واحد . ودليل هذا هو أن السامع العربي يستطيع عبر تمكنه الفطري أن يفهم ما يتلقاه من جمل وإن كانت من حيث الأداء تنتمي إلى الفصحى ، أي إلى الأداء الذي لا يقوم بإنجازه فعلاً في حياته اليومية . وماكان ذلك ليتم لولا أن الفصحى والعامية كأدائين يرتكزان على تمكن واحد . وهذا ما يفسر حصول التواصل (الذي هو هدف كل رسالة لسانية) بين المتكلمين العرب على اختلاف مستوياتهم في الأداء . **ونستخلص من هذا :**

١ ـ أن الخلاف بين العربية والفصحى والعامية إنما هو خلاف في الأداء يفسره اختلاف المستويات الثقافية لكل متكلم . وهذا أمر موجود في كل اللغات الطبيعية .

٢ ـ وأن هذا الخلاف لا يعني وجود ازدواجية لغوية ، لأن الازدواجية تعني وجود لغتين متمايزتين كالألمانية والفرنسية مثلاً ، وهذا لا ينطبق على الفصحى والعامية .

يمكننا أن نقول أخيراً : إن التطور الذي تمر به اللغة العربية اليوم هو تطور فريد من نوعه بالنسبة لتاريخ تطور اللغات . اللغات تتطور ضمن احتمالية قد تقودها للقطيعة مع اللغة الأم ، على حين أن العربية تعيش تطوراً عكسياً يعود بها من آنيتها في شكل لغة عامية إلى ما كانت عليه في شكل لغة فصحى . والسبب الوحيد الذي يمكن أن نفسر به هذه الظاهرة الفريدة فعلاً ، هو ارتباط المتكلمين العرب بأصول حضارية في الإسلام ، محورها الرئيسي لغة يعكسها القرآن والحديث في الحياة الاجتماعية ، فيغتني بهذا تمكن المتكلم ومخزونه ، ويتجه أداؤه نحو الفصحى .

المراجع

(١) Linguistique Historique et Linguistique Générale. P. 161.
(٢) Le Langage Signe de L'Humain. P. 155.
(٣) انظر كتاب شومسكي Structures Syntaxiques .
(٤) الصاحبي . ص (٧٨) . تحقيق السيد أحمد صقر .
(٥) الخصائص . ج ٢ ص (١١) .
(٦) Marcel Cohen: Matérieux Pour une Sociolagie du Langage. Tom 1. P. 80.
(٧) Joseph Vendryes: Le Langage. P. 176.
(٨) المزهر في علوم اللغة . ج ١ ص (٢٩٥) .
(٩) André Martinet: Éléments de Linguistique générale. P. 176.
(١٠ ، ١١) N. Chomsky: Linguistique Cartésienne. P. 125.
(١٢) Aspects de la Théarie Syntaxique. P. 13.

ينابيع البراءة في الأدب العالمي

بقلم: د. نبيل راغب

حرص الأدباء على مر العصور على التركيز على الجوهر الإنساني في مواجهة المتغيرات المحيطة به ، ورأوا في البراءة خير معبر عن أصالة هذا الجوهر . لكن المأساة أن هذه البراءة أصبحت مهددة تحت الضغوط السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بل تحولت ـ في أحيان كثيرة ـ إلى عقبة في سبيل تحقيق الإنسان لأغراضه المادية ، وتحتم عليه التخلي عن هذه البراءة التي تسلبه كل الأسلحة التي يمكن أن يحارب بها معركته . وتضاعفت المأساة مع وصول حياتنا المعاصرة إلى درجة من التعقيد والتشابك والالتواء جعلت من البراءة نوعاً من السذاجة التي يستهجنها الكثيرون .

لكن الأدب كان بالمرصاد دائماً لكل الحركات الاجتماعية التي حاولت طمس عنصر البراءة في الإنسان . ولذلك تصدى لها من خلال **التيارات الرومانسية والاتجاهات المثالية** التي كانت تظهر وتختفي بدرجات مختلفة ، وفي مراحل متنوعة . وقد أكدت كل هذه الاتجاهات على أن **فقدان الإنسان لبرأته ، لا يعني سوى ضياع جوهره كإنسان .**

عصر النهضة

وفي عصور **هوميروس وثيوكريتاس وفيرجيل ودانتي وبوكاتشيو وشكسبير** لم تكن البراءة قضية ملحة من قضايا الأدب العالمي . ذلك أن الحياة في تلك العصور لم تكن بالتعقيد الذي يمكن أن يهدد براءة الإنسان . ومع ذلك يمكن تتبعها منذ عصر النهضة . ففي مسرحيات **شكسبير** الأخيرة والأشعار الرعوية بصفة عامة نجد بدايات الخوف من زحف التعقيد الحضاري على الطبيعة البريئة التي هي ملاذ الإنسان من كل ما يكدر صفو حياته ، فيها يجد النقاء والطهارة والصفاء والبراءة والمثالية في أجلى صورها .

سرت هذه النغمة الوليدة الكامنة في أحشاء الأدب العالمي حتى انفجرت مع عصر **الثورة الصناعية** على شكل الحركة الرومانسية التي نادت بالعودة إلى الطبيعة ونبذ كل مظاهر التعقيد التي لوثت وجهها الجميل .

أغاني البراءة

ولعل ديوان «**أغاني البراءة والتجربة**» الذي أصدره الشاعر الإنجليزي **وليم بليك** عام ١٧٩٤م ، كان بمثابة الإعلان الرسمي لهذه الحركة . فقد قسم ديوانه إلى قسمين : **أغاني البراءة وأغاني التجربة** ، أي عنصران متضادان في نسق واحد ، فالقسم الأول يطلق لحالة البراءة رؤيا الخيال في حين يظهر القسم الثاني كيف تتحدى الحياة المعقدة تلك الحالة



★ شكسبير ★



★ وليم بليك ★

وتفسدها وتحطمها . ذلك أن **بليك** يرى أن الحياة النشطة للخيال الخلاق عنده هي الحقيقة الأولى ، والأمر الوحيد الجدير بالعناية ، ولذلك احتقر الفلاسفة التجريبيين الذين يقيمون مناهجهم على المدركات الحسية المادية التي تحطم عنصر البراءة ، والتي تدفع الإنسان إلى الوقوع في براثن النفاق والأنانية والالتواء .

يصور **بليك** البراءة في رموز مستمدة من حياة الرعاة تشبه تلك الرموز الواردة في المزمور الثالث والعشرين من **مزامير داود** . وهي تبدو متطابقة لأول وهلة مع مفهوم **فون ، وتراهيرن ، ووردزروث** للطفولة التي تضيع في الحياة كلما كبر الإنسان وفقد براءته . . لكن الضياع الذي يقصده **بليك** ، أوسع من مجرد ضياع الطفولة بين تيارات الواقع الآخذ في التعقيد . فالطفولة عنده مقصودة لذاتها ، باعتبارها رمزاً لحالة من حالات القيمة التي تواكب ، أو يجب أن تواكب ، حياة الإنسان بطولها . **فهو يرى أن كل الكائنات البشرية قد ولدت من نبع البراءة ، لكن التجربة الحياتية تحطم فيهم براءتهم ، وتجعلهم يضلون الطريق في متاهات جانبية .**

وعندما تحطم التجربة حالة البراءة التي تشبه الطفولة فإنها تحل مكانها قوى تحطيم عدة . ولكي يبرز **بليك** مدى هذا التحطيم ، يضع في **« أغاني التجربة »** قصائد معينة تحمل تناقضات حادة لقصائد أخرى تظهر في **« أغاني البراءة »** . ففي قصيدة **« أغنية الحاضنة »** من القسم الأول مثلاً ، يخبرنا كيف يلعب الطفل وكيف يسمح له باللهو حتى تغرب الشمس ويحين موعد النوم . والشاعر يرمز بذلك إلى اللهو البريء الطليق قبل أن تحطمه القيود الجامدة . لكننا نسمع في قصيدة **« أغنية الحاضنة »** في القسم الثاني ، الجانب الآخر من المشكلة عندما أخذت التجربة طريقها ، ونسمع الصوت الآمر للأطفال بالعودة إلى البيت بعد أن ضاع في اللهو ربيعهم ونهارهم وشتاؤهم وليلهم . إنه لم يعد صوت الراعية الودود ، إنما صوت العمر الحاسد لسعادة لا مكان له للمشاركة فيها . إنه يرى اللعب مضيعة للوقت ويخبر الأطفال بقسوة أن حياتهم زيف انقضى في البرودة والظلام .

وفقدان البراءة لا بد أن يؤدي إلى ضياع الحب والتعاطف والحنان وغير ذلك من الأحاسيس الإنسانية الراقية التي تتحول إلى مجرد قناع للأغراض الدنيئة . فالحب في عالم البراءة لا يبحث عن متعته الذاتية ولا يحرص عليها ، ولكن القلب في عالم التجربة يغدو مثل حصاة في جدول ، ويتحول الحب إلى رغبة أنانية في التملك والسيطرة ، ويعيش الأطفال تعساء في أرض تبدو — ظاهرياً — غنية مثمرة . وبهذا كان إدراك بليك المأسوي للقيود التي تقتل البراءة في مهدها ، نابعاً من نقده للمجتمع ، ولكل اتجاه للحضارة المعاصرة له . وهو النهج الذي سار عليه معظم أدباء العالم الباحثين عن البراءة والرافضين لحضارة العصر المادي المعقد .

البراءة .. والدهشة

وكما يقول **موريس باورا** في كتابه **« الخيال الرومانسي » :** « إن الحركة



★ ورد زورث ★



★ شيللي ★

الرومانسية قد دعت نفسها بحق **« باعثة الدهشة »** . ذلك أن كل شعر يعيش على ما يثير من دهشة ومن متعة الكشف التي تعيد الإنسان إلى عالم البراءة » . وقد اقتنع الرومانسيون بأن هذا أمر يمكن أن يتم من خلال إيقاظ الدهشة الفرحة حتى بإزاء الأشياء الأليفة . وهذا يعني أن يعود الشاعر إلى براءته الأولى وبساطته الطبيعية ، التي شبهها **وردزورث وكولردج** ببساطة الطفولة . وما يقوله **وردزورث** ببلاغة شعرية فائقة في **« أغنية الأبدية »** إنما يفصح عنه **كولردج** في إحدى محاضراته : **« الشاعر هو الإنسان الذي يحمل بساطة الطفولة إلى قوة الرجولة ، هو الذي يتأمل الأشياء جميعها بدهشة الطفل ونضارته ، بروح لا تطمسها العادة ولا تغلها »** .

ولم يستخدم **شيللي** تلك المقابلة بالطفولة ، لكنه يقول في كتابه **« دفاع عن الشعر » : « إن الشعر يصفي من خلال رؤيانا الداخلية صورة المألوف ، الذي يحجب عنا ما في وجودنا من إعجاز . إنه يجبرنا على الإحساس بهذا الذي ندركه ، وعلى تخيل ذلك الذي نعرف . إنه يعيد بناء الكون بعد أن دمرته في عقولنا الآثار التي بلدها التكرار »** .

وفي عام ١٨٣٠ م ، كتب **جيته** يؤكد إعجابه **باستندال وميريميه** فقال : **« إن المبالغة والتطرف سوف يختفيان بالتدريج ، ولكن ستبقى في آخر الأمر هذه الميزة الكبرى : فقد وصلنا إلى جانب الشكل المتحرر إلى مضامين أكثر غنى وتنوعاً . ولن يستبعد بعد اليوم موضوع في هذا العالم كله ، وفي هذه الحياة المتشعبة المعقدة ، باعتباره موضوعاً غير شعري »** .

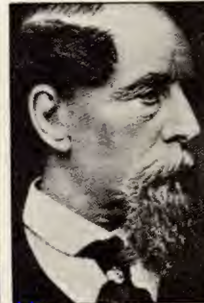
وبرغم أن **نوفاليس** يعارض كل ما يدافع عن **جيته** ، فإنه يرى أيضاً أن الرومانسية شجعت على المعالجة الشعرية للموضوعات والمضامين التي كانت محرمة من قبل . فهو يرى أن الرومانسية تعني إضفاء مغزى رفيع على الأشياء المألوفة ، وإلقاء مظهر باهر على الأشياء المعتادة ، وإسباغ روعة المجهول على ما نصادفه في كل يوم .

الفردوس .. والأطفال

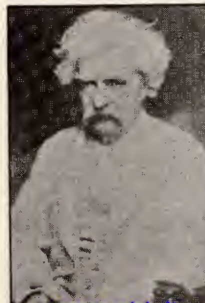
ومن التجارب التي حرصت الرومانسية على تصويرها ، تجربة الإنسان وهو يفقد براءته يوماً بعد يوم ، وذلك في وقفته وحيداً في مواجهة العالم الذي أحال تقسيم العمل والتخصص إلى جحيم من التعقيد والتشابك والتفتت إلى أجزاء ضئيلة لا يبدو بينها رابط . فالإنسان لا يمكن أن يحتفظ ببراءته في مجتمع يجبره يومياً على بيع نفسه . **من هنا حاولت الرومانسية إزالة التناقض بين الإنسان والمجتمع ، بين الذات والموضوع عن طريق العودة إلى الفردوس المفقود ، أي إلى عهود البراءة الأولى .**

ويبدو أن هذا التركيز على عنصر البراءة قد أدى إلى ازدهار **أدب الأطفال** ، سواء الأدب الذي يدور حول أطفال مثلما فعل **تشارلز ديكنز** في **« أوليفر تويست »** أو **« ديفيد كوبرفيلد »** ، أو الأدب الذي يكتب خصيصاً

★ تشارلز ديكنز ★



★ مارك توين ★



ليـوجه إلى الأطفـال مثلما فعـل **آنـدرسون ، والأخوان جريم ، ولويس كارول** . ثم برز الأدب الأميركي في ساحة الأدب العالمي ليتغنى بالبراءة في الشعر والمسرح والـرواية مـن خـلال شخصيات الأطفال والصبية التي قل أن نجد لها نظيراً في الآداب الأخرى .

وكانت **قضـايا المراهقـين** مـن أبـرز القضايا الـتي أثـارت اهتمام الأدبـاء الأمـيركيين مثل **مارك توين** الذي جعل من الصبية أبطالا لرواياته ، **وهنري جيمس** الذي قـدم دراسـة وافية للفتاة المراهقـة في أمـيركا تحـت عنـوان « **السن الحرجة** » . وقـد أوضـح أن المراهـق الأميركي يختلف عـن المراهـق في البـلاد ذات الحضارة العريقة ، لأنه يتصرف بحـرية وتلقـائية أكبر .

دور الرواية الأميركية

والرواية الأميركية كانـت ضـمن الأنشـطة الأدبية التي سجلت هذه النزعة المغرقة في البراءة والعفوية : فإذا أخذنا رواية « **هكلبري فـن** » **لمارك تـوين وروايـة « حصـاد الهشـيم » للروائي الأميركي ج . د . سالينجر** الذي كتبها بعد « **هـكلبري فـن** » بحـوالي قـرن ، سنجد أن نزعة البراءة تسـود كلتـا الـروايتين :

فالبطل مراهق ، يتحـرك بحـرية أمـام بـانوراما عريضة من المجتمـع الأمـيركي ، يمـلأ الحيـاة بالسخرية والضحكات ونقد المجتمع . ويزخر كل منظر بـالجدة والانـطلاق ، والمنـاظر الـطبيعية البعيدة عن تعقيدات الحيـاة في المدن . بـل إن **مارك توين وسالينجر** ، حرصا على منح دور الراوي في الرواية لمراهق صغير يستطيع أن ينظر إلى المجتمع والعالم نظرة تخالف النـظرة التقليـدية التي كتبت بهـا الـروايات السـابقة وخـاصـة في أوروبا .

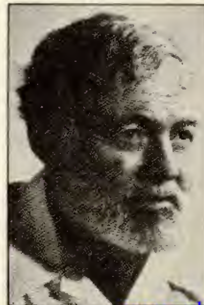
لقد أوضحت البراءة التي تمـيز بهـا البـطل مدى التعقيد الذي ينجرف إليـه المجتمـع بفعـل التيار العنيف للحضارة المعاصرة ، ولذلك يثـور **هـكلبري** ضـد كل شيء يمـكن وصـفه بالتحضر . كذلك يصف **هـولدن كولفيلـد** ـ بطل رواية **سالينجر** ـ بأن كل مـا رآه ، في عطلة نهاية الأسبوع ، في نيـويورك كان مـزيفاً . وليس من قبيـل الصـدفة أن يستعين روائيـان أميركيان بشخصية المراهق الصغير للقيام بـدور الراوي برغم أن قرناً من الزمان يفصـل بينهما . فلقد أصبح من معالم الأدب الأميركي استغلال التناقض بين تلقـائية المراهقـة وبـراءتها ، وبـين تعقيـد المجتمـع وسـطحيته ، وذلك على سـبيل النقد والسـخرية والفـكاهة الجـادة . ويـكتشـف القارئ في النهاية ، أن البطل برغم صـغر سـنه وبساطة خـبرته بـالحياة ، أكثر حـكمة ودرايـة بقوانين الطبيعة والحيـاة مـن آخـر النـظريات العلمية والاتجاهات الفـكرية الـتي وصـل إليهـا المجتمع .

وقـدم الروائـي الأمـيركي **جيمس فينيمور كوبر** في كل رواياته شـخصية بـطل الحدود الذي يعيش وحيـداً مـن أجـل إقـامة العدل بين الناس ، وحماية الضـعيف ، وإنقـاذ الملهوف . وقد استخدم **كوبـر** مقـومات هـذه الشخصية من روح الـبراءة والـرومانسية ، ومـن الحلم الأميركي الذي يسـعى إلى تقـديم البـطل القومي ، والذي وصـفه **النـاقد الأمـيركي ر . و . ب . لـويس** بـأنه « **آدم أمـيركي** » إيماء إلى العالم الجـديد الـذي تجـري ولادتـه في أمـيركا . وكان كلما مـر الـوقت بـكوبر ، كان بطله **ناتـي بامبو** يصغر في السن في الـروايات التالية ؛ ومن ثم كان يـزداد في الـبراءة والنقـاء والفضـيلة والمثـالية . وقـد وصـف **الروائـي الإنجليزي د . هـ . لورانس** هذا الاتجـاه في دراسـته عـن « **الأدب الأمـيركي الكلاسيكي** » بقوله : « **إنـه التحـرك مـن السن الهرم إلى الشباب الذهبـي . هذا هو الحلم الأمـيركي : إنـه يغـير الجلـد القـديم المتجعـد بحيـوية شـبابية جديدة** » .

★ هنري جيمس ★



★ هيمنجواي ★



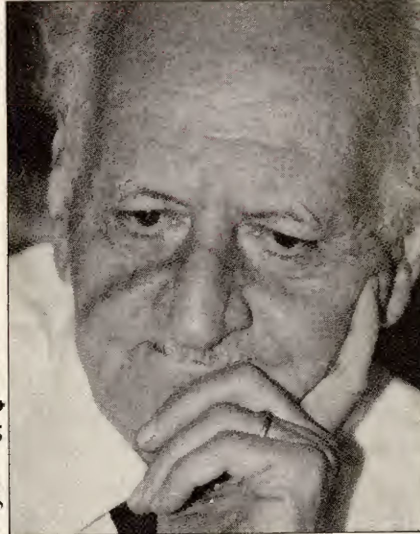
دعوة للبراءة النقية

وقد نـادى رائـدا الفلسـفة الأمـيركية **إيمرسون ، وثـورو** بـأن الإنسـان قـادر على استعادة براءته وخلاصه من الاضطراب والفساد عن طريق امتزاجه بنزعة الطبيعة النقيـة الـتي لم تتأثر بتعقيدات الحضارة البشرية . وقد منح هذا الاتجاه نغمة مميزة لـلأدب الأمـيركي تجلـت في معظم روايـات **إرنسـت هيمنجـواي** وبعض روايات **فوكنر** . فيتمـيز أبـطال **هيمنجـواي** بإثبات رجولتهم وبحثهم عن الخلاص في غابات الشمال العـظيمة ، والقيـام بـرحلات الصيـد ، والجري وراء المخاطر ، في حين تتمثل متعة **أيك ماكاسلين ـ بطل رواية « الـدب » لـوليم فوكنر ـ** في صيد الدببة في البراري .

لكن الحضـارة المعـاصرة لم تـرحم هـذه الطبيعة من الـزحف عليهـا وتلـويثها ؛ فلقـد تلاشت الحدود ، وأوشكت البراري أن تنـدثر .

ومن هنا كانت المحاولات المستميتة التي يقوم بهـا الأدباء المعاصرون في المحافظة على تـراث الماضي ونغمته النقية الـبريئة ، الـتي سرت في تجمعـات الشباب مـن **الهيبيـز ، وأنصـار البـوب ميـوزيك** ، وأفـلام الموجـة الجـديدة ، والمسلسلات التليفزيونية ، **فقد أدرك الجميع أن ما تمنحه الحضارة المعـاصرة بـاليمنى لا بـد أن تـأخذ أضـعافه بـاليسرى ، لذلك وجبت المحافظة على التـوازن بـين ضغط الحضارة المعقـدة ونـزعة الـبراءة النقية حتى لا تفقـد الحيـاة البشريـة خصائصها الإنسانية .**

رحلتي مع الأدب والنقد والتحقيق والتأليف


★ د. علي جواد الطاهر ★

بقلم : د. علي جواد الطاهر

الميلاد في مدينة الحلة (قرب بابل) سنة ١٩١٩ م/١٣٣٨ هـ في أسرة عربية متوسطة الحال لها أثرها بالطبع في السلوك وفي طريق الثقافة .

وطريق التعلم طويل من الكتاب والابتدائية والثانوية في الحلة ودار المعلمين العالية في بغداد وكلية الآداب في القاهرة والسوربون في باريس ... وهو أساس دون شك في التكوين ، ويزداد أثره لدن تهيؤ معلمين ومدرسين وأساتذة يشجعون على حسن تقدير الأدب ويمتلكون القدر العالي من العلم والأدب والمكانة الاجتماعية .

ولاشك في قيمة الدراسات في المدن العربية الثلاث .. ولكن الذي لا شك فيه كذلك قيمة الدراسة في باريس وأهم ما في باريس ـ غير منهج البحث ـ الوقوف على الأدب الفرنسي وعلى الحياة الأدبية والأفق الواسع في كل . ومن هنا تأتي أهميتها الأولى في التكوين الأخير التي أرست الصورة الأخيرة ، ولولاها لما كانت ، ولما كان استثمار للمراحل السابقة ..

أما استثمار المرحلة أو المراحل التالية فهي تلتقي تمام الالتقاء مع البدء والمسيرة وأكاد أقول مع البذرة التي كانت في النفس لدى الميلاد أو قبله ... أجل فالجهد الشخصي والمطالعة الخاصة والخروج دائماً خارج دائرة الدرس المنهجي ، والطموح الذي ولد مبكراً في التوجه الأدبي ، وكأن الأدب الوجود نفسه والطموح نفسه .

العمـــر الثـــانـــي

ومع الدراسة والطموح والكتابة المهنية ، وهي في صميم الطموح ، إنها التعليم بمراحله الابتدائية والثانوية والجامعية ، في **دار المعلمين العالية ببغداد** (١٩٥٣ م) **وكلية الآداب ببغداد** (١٩٥٩ م) **وكلية الآداب بالرياض** (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨ م) (١٣٨٣ ـ ١٣٨٨ هـ) فالعودة إلى جامعة بغداد حتى عام ١٩٨١ م حيث حل التقاعد فكان نعمة أخرى يقرأ فيها المرء مالم يقرأه أو أعده ولم يقرأه ، ويكتب مالم يكتبه ، ويكمل مشروعات كان بدأها ... فإذا هو في سعادة وسرور وكأنه يرى الباقي من عمره أكثر مما كان ينتظر ثم يتمنى عمراً ثانياً ليكمل ما اتسع من دائرة طموحه أو استيقظ من مطامع أدبية قديمة فيؤلف جديداً ويعيد طبع ما كان طبعه ويتهيأ لطبع جديد ، يشجعه على ذلك ما يرى من حسن الرأي في آثاره لدى القراء والنقاد والأصدقاء المخلصين من الأدباء والناشرين أنفسهم .

مـــع الأدب

وللمؤلفات تاريخ صار طويلاً وإذا كان عدد المطبوع منها يزيد على العشرين ، فإن العدد لا يعني شيئاً وهو يذكر هنا لبيان تعدد الميادين ضمن الميدان الأوسع الذي هو الأدب ، فهذه العشرون تتوزع على أبواب **تاريخ الأدب والسيرة والتحقيق والترجمة والنقد الأدبي** نظرياً وعملياً **والمقالة** ...

وتاريخ الأدب لا يخلو من نقد أدبي ولكنه تاريخ أولاً وإن كان صاحبه ـ هنا ـ قد استطاع أن يضع فيه قدماً للنقد في الحد المعقول ، ولا غرو فهو دارس شعر أو دارس قصة ولابد من أن يكون له رأي وحكم وكل مافي أمر الرأي أو الحكم أن يقوم على أساس في الاستقصاء والتأمل دون أن يطغى على روح

البحث وروح التاريخ . وللمرء أن ينظر في « **الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي** » ليرى هذه الآثار بالقدر المقدر ، أما « **لامية الطغرائي** » فهي النقد نفسه ولكن ضمن ما للقصيدة من تاريخ وفيها من تاريخ ، ولا مفر من عد كتاب « **محمود أحمد السيد ـ رائد القصة الحديثة في العراق** » نقداً بقدر ما هو سيرة حياة وتاريخ خلال هذه السيرة .

مـــع النقـــد

والحاسة الناقدة حاضرة في كتب توجيهية في الدرس أو التأليف ، في كتاب « **أصول تدريس اللغة العربية** » وفي « **منهج البحث الأدبي** » والكتاب الأول يستنهض شخصية مدرس اللغة ليستنهض شخصيات طلابه ، ويؤكد الكتاب الثاني شخصية الباحث وما تقنيات فصول الكتاب إلا خدم لهذه الشخصية التي يجب أن تعلن عن نفسها في حق وحكمة خلال التأمل والنتائج والجدة ... وحسن لغة الأداء ـ ولا غرو إن لقي الكتاب تقديراً خاصاً من لدن الجامعات العربية بين المحيط والخليج وهو الآن مقبل على طبعته السابعة ـ ولن تكون الأخيرة .

وتأخذ الحاسة الناقدة مسيرة أخرى ، عملية إن شئت ولكنه العلم الذي يقوم على حرص صاحبه في خدمة الحقيقة والدعوة إلى الدقة لدى القول والتثبت لدى الحديث والضمير لدى الجمع والنشر ولدى بيان مواقع الخطأ وتقبل هذا البيان ...

تقرأ كتاباً ، أي كتاب تأليفاً أو ترجمةً أو تحقيقاً ، ومع الكتاب الجريدة والمجلة فيستوقفك خطأ هنا وخطأ هناك ، لدى الناشئين وهذا منتظر ولدى البالغين وهذا غير منتظر ، ولكنه يقع سهواً إن لم يقع عمداً ... فتهتز للخطأ أن يقع ، وتمسك بالقلم تعلم عليه وتسعى للتأكد والتأكيد ثم لابد من نشر هذا الذي وصلت إليه قليلاً كان أم كثيراً خدمة للقارئ والمؤلف والحقيقة ... ويخطئ من يقصر في هذا الواجب على أن يقوم الحال في هدوء ووضوح بعيداً عن الإدعاء والمهاجمة . وهذا ما شرعت أزاوله منذ مدة غير قصيرة على صفحات مجلة « **المكتبة** » و« **الأديب** » و« **عالم الكتب** » و« **المنهل** » .. وغيرها مرة بعنوان « **تحقيقات عرضية** » ومرة بعنوان « **كتب .. وملاحظات** » ويقرب من هذا الباب ما نشرته في جريدة « **الجمهورية** » في باب « **في المكتبة** » وفي مجلة « **الفيصل** » في باب « وأنت تقرأ » .

وتألف من مجموع هذا كتاب صدر بعنوان « **تحقيقات .. وتعليقات** » وكتاب يصدر بعنوان « **كتب .. وملاحظات** » وفي الرصيد ما يملأ كتابين آخرين .

التحقيـق .. ومنهـج البحـث

إذا كنت قد تعلمت « **منهج البحث** » على وجهه العلمي في **السوربون** ، فإني قد أخذت من السوربون كذلك المنهج العلمي في التحقيق ـ والفضل في هذا وهذا إلى **المسيو بلاشير** .. ويحرص المنهج الفرنسي في التحقيق ـ وهو ثمرة تجارب طويلة متضافرة ـ على خدمة النص وتقديمه على الصورة التي تركه عليها مؤلفه مع زيادات وفوائد للقارئ المعاصر ، وينصح المنهج ويكرر النصح ألاّ يثقّل المحقق النص بالهوامش غير ما يجب أن يتحلى به من أمانة ونكران ذات وعلم ويقظة . **ليس التحقيق عملاً سهلاً ، وليس التحقيق عملاً بليداً .. يلج بابه من هبّ ودب ، وإنما هو استعداد ودربة وعلم وذكاء ونباهة .. وحب للعمل** ... أما « البليد » فمكانه خارج هذه الدائرة حتى إذا دخلها اختلط عليه الأمر وخلط في الأمور لأنه لا يميز الأهم من المهم ويرى العملية تطويلاً في النقل من المعجمات وتطويلاً في النقل عن كتب التراجم ...



★ حمد الجاسر ★

رحلتي مع الأدب والنقد والتحقيق والتأليف



★ الجواهري ★

وقد دخل هؤلاء ـ مع الأسف ـ دائرة التحقيق ، وربما زاد عددهم لدينا على المخلصين اللائقين المؤهلين ، ومن هنا كثر النتاج وقلت الجودة وغلبت التجارة وشاهت الحقيقة ...

وفي الأمة عدد فاضل من المحققين ، ولكنهم قلة ، ويسرنا أن يزدادوا ، وكان لابد من التوجيه ، وقد أُلّفت كتب جيدة ، ولكن الكتب وحدها لا تنفع ، **ويسرني أن أسهمت في تدريس مادة التحقيق ، وابتكرت مادة نقد التحقيق** ، وقد زاولت التحقيق نفسه كذلك ، وإن كنت فضلت الاشتراك في الجهد كما في « **ديوان الطغرائي** » و« **ديوان الخريمي** » وزاولت عملية نقد التحقيق كما بدا في مجلة « **المجمع العراقي الواقي** » ومجلة « **العرب** » ... ولي في حصيلة ذلك كتاب مخطوطة بعنوان « **فوات المحققين** » .

ويتصل بهذا وذاك من بيان الخطأ في التأليف وبيان التقصير في التحقيق كتابان لي هما : « **ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة** » و« **ملاحظات على وفيات الأعيان** » ـ ط . بيروت وكلاهما نشرا في الأصل حلقات في « **مجلة مجمع اللغة العربية** » **بدمشق** .

وننهي الكلام في « التراث » بكتابين واحد مطبوع هو « **منهج البحث في المثل السائر** » **لابن الأثير** » وواحد مخطوط هو « **محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء** » ـ إذا لم نذكر مخطوطة أخرى هي تحقيق « **درة التاج من شعر ابن الحجاج** » . ولم نذكر تحقيقين لديواني شاعرين معاصرين تمتد جذورهما عميقاً في التراث هما « **ديوان الجواهري** » ، و« **ديوان الجعفري** » (وقد جرى التحقيق بالاشتراك) ...

فـي مدينـة الـريـاض

وإذا كانت **باريس وبغداد** قد اسهمتا في هذه المؤلفات .. **فللرياض** إسهامها كذلك ، وهو ليس بالقليل فيما وفرت جامعتها من فرص الدرس والبحث فمن **الرياض** شرعت أنشر في مجلتي « **الأديب** » و« **الآداب** » البيروتيتين ، ومنها أرسلت إلى مجلة مجمع دمشق حلقات الملاحظات على الموسوعة الميسرة حتى اتممتها . وفي الرياض بحثت موضوع « الخريمي » ونشرت خلاصة البحث في حلقتين بمجلة مجمع دمشق ، وفي الرياض أنجزت سنة ١٩٦٥ م (١٣٩٥ هـ) تأليف « محمد بن سلام وطبقات الشعراء » ونشرت منه حلقات في بيروت ودمشق .

وفي الرياض اسند لي تدريس **أصول تدريس اللغة العربية** لطلبة الدبلوم



★ الزيات ★ ★ طه حسين ★ ★ المازني ★

فكانت مادة الدرس الأساسي في الكتاب فيما بعد . كما كان دفتر الطالب (**عبد العزيز الشريف** ـ وهو على الغاية من الدقة والذكاء وحسن الخط) نواة كتابي ـ فيما بعد ـ منهج البحث الأدبي .

وفوائد أخرى تمتد إلى كتب أخرى ... وقد شرعت في السنة الأخيرة من وجودي هناك في تأليف كتاب نافع بعنوان « **ملتقى المصادر** » يقدم لطلبة السنوات الأولى من الجامعة ولأي مثقف عربي صفحات مختارة من أمهات مصادر المعرفة العربية في الأدب واللغة والتاريخ والجغرافية والفلسفة .. مع تعريف بالمؤلف وبالكتاب . وكنت حريصاً جداً على مثل هذا الكتاب ولكن ظروفاً مختلفة عدت على المادة المجموعة ، وظروفاً أخرى شغلت عن الإكمال أو الاستئناف .

ولكن الأثر الأهم والأكبر والأشد صلة بالرياض هو كتاب « **معجم المطبوعات العربية السعودية** » ولهذا الكتاب قصة طويلة طريفة تبدأ بهواية مكتبية لي لا تقف عند حد ، إني أحب الكتاب ، وأحب الكتب كلها ، ولي معها تاريخ طويل هو خلاصة حياتي وقد نزلت الرياض عام ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م فوجدت كتباً ، ووجدتني أجهلها ، ووجدت أهل البلاد أنفسهم لا يقدرونها قدرها ... وحين أسند لي درس الأدب الحديث **وجدت من النقص الكبير ألاّ يدرس في السعودية الأدب السعودي وعتبت على الأساتذة السابقين على إهمالهم هذا الجانب ـ سهواً أو عمداً ـ ولكن كيف لي بتدريس أدب أواجهه للمرة الأولى ، وأشهد أن فيه وفي الحركة التي قام عليها ما يدعو إلى الدرس والتدريس** ؟ كيف ؟ لابد من البحث عن الكتاب السعودي ، وليس البحث عنه سهلاً ، ومع هذا شرعت ، ولكن المهمة تتضاعف مع الأيام ، ويظهر أن المادة أوسع من المجازفة في تدريسها بالقليل الذي حصل ..

وهكذا سار العمل قدماً في تقصي الكتاب السعودي .. وتبين ملامح الأدب السعودي ، والأدب لا ينفصل عن الدين والتاريخ والسياسة والاجتماع .

ومضيت أجمع وأجمع .. وأنشر مادته الأساسية حلقات في مجلة الشيخ **حمد الجاسر** (العرب) ، وسرني وصف المعجم بالعمل الموسوعي .. ولا أطيل فقد صدر « المعجم » ببغداد في جزءين وفي نحو (١٤٠٠) صفحة وفي مقدماته وخلال مادته وفي خاتمته ما يمكن أن يغني عن الإعادة ، وهذه فرصة جديدة لشكر شيخنا الجاسر على رعايته وأفضاله .

ولقد عملته راضياً مسروراً ـ ومازلت راضياً مسروراً أفخر ـ مع نفسي ـ بالجهد المبذول وأسعد بالمتعة الحاصلة والخدمة المؤداة ـ وإذا أسفت بأني لم أستطع أن أدرّس الأدب السعودي فقد عوضت عن هذا الأسف بعض العوض بما بثثته ما بين دفتي المعجم من خلاصة ما تهيأ لي عن هذا الأدب ثم كان العوض أن تولى الأساتذة السعوديون التأليف في المادة ، وأرجو أن يكون التدريس كذلك .

الجمع بين النقد والمقالة

ولكن الجمع بين النقد الأدبي والمقالة هو الجديد وإني لأراه على غاية من الأهمية .

والاهتمام بالنقد الأدبي متصل تمام الاتصال بالاهتمام الأدبي الذي يكون وجود صاحبه ـ كما رأينا ـ ولا سيما في عصر يتفتح ومع رفاق متفتحين وخلال دراسات تولاها أساتذة كرام ...

وليس النقد اكتساباً فقط ـ ولا نطيل هنا .

وليس الاكتساب ما كان على مقاعد الدرس فقط . ومعلوم أن مقاعد الدرس قد تكون التلميذ المجتهد والمدرس المجتهد ـ فيما بعد ـ ولكنها لا تكون التلميذ الناقد أو الذي سيكون ناقداً . إن الأساس في تكوين هذا الذي كان أو سيكون هو الرغبة الشخصية ، هو المطالعة ، هو المتابعة ... يخرج عن دائرة مقرر الدرس إلى القديم والحديث ، إلى الشعر والقصة ، إلى تاريخ الأدب والنقد ، إلى المكتبة والكتاب والمجلة والمجلس ...

ولو اختصرت الطريق وقلت لك إننا تلاميذ مجلة « **الرسالة** » المصرية لعرفت معنى اتصال المقالة بالنقد واتصال المقالة بالشعر والقصة .. إن مجلة « الرسالة » جامعة أكثر منها مجلة ، ولعلها من أخطر ما رأى العصر العربي الحديث من جامعات .

ثم كانت بغداد والقاهرة وباريس ... والمراحل تتكامل ولكن فرنسا هي التي توسع الأفق وتفتح الطريق وتقف طالب الأدب ـ طالب النقد على التيارات وعلى النظريات وعلى العمليات . وأشهد أن التناقض حاصل خلال القرون من تاريخها الأدبي وخلال المدارس من مذاهبها الفنية ناهيك عن الرأي وعن التشبث بالقاعدة عند هذا لدرجة الفخر ، وتحلل من القيد عند ذاك لدرجة المباهاة . ولكن الجدوى حاصلة هنا وهناك ـ والجوهر الأدبي واحد وإنما يتجلى يوماً بعد يوم وتجربة بعد تجربة وشاعراً بعد شاعر وناقداً بعد ناقد .

ويبقى على المرء الذي يحترم نفسه أو يريد أن يكوّن نفسه .. يبقى عليه ـ بتصميم ووعي ، وبغير تصميم ووعي ـ أن يكون أقوى شخصية من أن يجرفه هذا التيار أو ذاك ، وأثبت قريحة من أن يضيع فيفقد نفسه . إن الجو الجديد الذي هو الكيان كله مجسماً فرصة يمتحن بها نفسه ، ويجد ذاته . وإذا بالمناسب لمكونات هذا النفس يدلف إلى ما يناسبه منها ويتحد ، ويتعاون ... ويستثمر .. والمهم المهم بقاصد الدراسة في فرنسا ـ وبكل قاصد للدراسة في أي مكان ـ ألاّ يجعل « الورقة » همه الأول والأخير . فالورقة مهما تكن ومهما تبلغ هي ورقة أما الذي هو غير الورقة فهو الطموح العلمي وهو الروح وهو الفكر والثقافة والورقة تأتي على أي حال والخير كل الخير في ألاّ يعود المرء بها وحدها ، ولا يحصر همه بالحصول على « المنصب » عن طريقها . **الأدب أكبر من الورقة ، وأكبر من أي منصب** ... وهذا التكوين وحده ـ مع ما أدّى إليه بالطبع ـ السند الأساسي للمستقبل الأدبي المطلوب ما تحقق منه ومالم يتحقق .

والذي تحقق لا بأس به . أما يكفي أن تكون أستاذاً (مدرساً) في معهد جامعي عال ، (دار المعلمين العالية) وأستاذاً (مدرساً) لمادة النقد الأدبي ومواد أدبية أخرى . ليكن النقد الأدبي صميمها ، ولكنها تسهم في بنائه هي تاريخ **الأدب العباسي ، المعلقات ، الأدب الأندلسي** ، المطالعة (كتاب قديم) ،

رحلتي مع الأدب والنقد والتحقيق والتأليف


★ زكي مبارك ★


★ الرافعي ★

الإنشاء .. المكتبة ، البحث .. مواد كثير قد تجور على التخصص في النقد ولكن النقد ليس تخصصاً بدونها .. وبدون فرصة الخروج عن « كرسي الدرس » .. ومن لم يخرج عن الكرسي يبقى مدرساً (أستاذاً) طول عمره ولو تعلم من أمور النقد الكثير الكثير . فالنقد الأدبي للأستاذ جو يشيعه في طلابه فكراً وذوقاً وعلماً وتطبيقاً في درس النقد الأدبي وخلال الدروس الأخرى . ثم هو اهتمام بما هو خارج الكلية من شعر وقصص وفكر ونقد ، من شعراء وقصاصين ، من كتب ومجلات ، من قيل وقال ...

وتتهيأ أول فرصة من هذا تزدوج مع الدرس العمل المجدي في لجنة للنهضة بمجلة « **المعلم الجديد** » ... وهنا نعود مرة أخرى إلى الموضوع .. أي إلى **ربط النقد بالمقالة أو المقالة بالنقد** .. وأقل المقصود من المقالة هنا الأداء الجميل أو القدر المناسب ، الأداء الذي يجعل الكلام أكثر من توصيل مباشر لمادة علمية أو فكرية أو ذوقية أو نقدية .. تقرأ هذه القطعة المنثورة فترتاح لإخراجها ارتياحك للرأي فيها ، تأنس بها انسك بروية جميل أو سماع جميل - ولا نطيل والمقالة في هذا النوع المبدع يعرفها جيداً تلاميذ جامعة « الرسالة» على أسلات أقلام **الزيات وطه حسين والمازني وزكي مبارك والرافعي** ... قلت « مجلة الرسالة » وأقصد أدباء مصر المبدعين مقالياً في جرائدهم ومجلاتهم ومع « الرسالة » « **الهلال** » و« **الثقافة** » ... ومع الرافعي **المنفلوطي** ... وحين يعيش المرء جو المقالة على يد هؤلاء الأساتذة يتنفس هواءً نقياً ويتمثل غذاءً صحياً .. فإذا المفهوم يتسرب إلى نفسه ويظل كامناً يتنامى بانتظار أول فرصة .

وهاهي ذي فرصة « المعلم الجديد » وهاهو ذا صاحبنا يكتب فيها مقالات تجمع بين المقالة والنقد : النقد سهل . ألف شرط وشرط . أريد أن أكون قصاصاً . أنا ناقد مسرحي ... وتجد هذه المقالات صدى حسناً لدى القراء يظل حياً في نفوسهم على مدى الزمن ويبلغونه أقساطاً لصاحبها لدى أية مناسبة تجد . ومع الجانب النظري جانب عملي : كانت لنا أيام . وأنت تقرأ هواجس نفس اللوحة في **الشوقيات** ...

ويؤكد في دروسه كلها ، وفي درس النقد الأدبي خصوصاً على الشخصية على الأصالة ، على أن تكون أنت أنت حين تنشئ ، وحين تنقد ، وحقل موضوع « **الأسلوب** » والأسلوب بالمعنى الذي أريد له أن من أنه الأديب نفسه ... المكان الأول بين موضوعات درس النقد الأدبي من ماهية الفن والأدب وعائيتهما ، الأنواع الأدبية ، مؤهلات الناقد ، عملية الخلق الأدبي ، عملية الخلق النقدي ... مدارس الأدب الغربي ... وسبحات طويلة خارج بحر الدرس فيما هو كائن ويكون خارجه من شعر ونثر ، قديم وجديد ، في الكتب والمجلات ...

ويمضي الزمن حميداً - وغير حميد - ويبقى الاهتمام الأدبي هو هو وزيادة بغض النظر عن الوجه الذي مأخذه هذا الاهتمام في الدرس والتأليف والتعليم والتشجيع والنشاط الاجتماعي في داخل « الدار » كما في « **جماعة الإنشاء الأدبي** » ، وفي خارج « الدار » كما في **الإذاعة واتحاد الأدباء العراقيين** ..

وتغلب الدراسة على الإنشاء ، ويسبق البحث المقالة وتميل المقالة إلى النقد من حيث هو نقد دون منح الشكل قصداً من زيادة نسبة جمالية ، ويميل النقد خصوصاً إلى القصة ، وإذا كان أوائل الاهتمام منصبة كلها أو أكثرها على الشعر والشعراء فإن فرنسا غلّبت عنصر القصة تدريجاً بحكم ما لأعلامها من روائع خالدة وبحكم غلبة النتاج القصصي على الأدب العالمي ، وهكذا كانت سلسلة المقالات التي تناولت بالنقد مجموعات قصصية عراقية ، ونشر أكثر المقالات في مجلة « **الأديب العراقي** » ثم جمعت في كتاب « **في القصص العراقي المعاصر - نقد ومختارات** » والمختارات - فيما أرى - شرط في أي

كتاب نقدي لما لها من توضيح للرأي وتقريب للفن وقرن التحليل بالنص . ثم كانت التفاتة إلى الماضي القريب أثمرت كتاب « محمود أحمد السيد - رائد القصة الحديثة في العراق » .

واتسمت الإقامة في الرياض بالبحث والتعليق والجمع ...

وبد أن القصد الإنشائي (وقل المقالة الإنشائية) تضاءل ... وغاب عن الأفق ... ولازم هذا الغياب قليلاً بعد العودة إلى بغداد ... ثم شرع التوزع في الخطوط يزداد بحكم تنوع الدروس مع العزم على لم شتات التجربة التي صارت طويلة في درس النقد الأدبي خصوصاً لحفظها في كتاب ...

ثم بالنافذة الجديدة وقل الأفق الجديد الذي استثار فن المقالة من مكامنه لدن مفاتحة صفحة « **آفاق** » في جريدة « **الجمهورية** » إياه للكتابة الأسبوعية ، فاستجاب ومضت المقالة تتقدم وتتوطد وتجد المعجبين من القراء والنقاد وكان لمقالة « **مواهب صغيرة** » ومقالة « **شيء في الجو** » صداهما المتميز .

وهكذا يكون العود إلى البدء وتلتقي مقالات « آفاق » هذه بمقالات « المعلم الجديد » مدارها العام التجربة النقدية وطابعها العام الطراوة مع زيادة في القصد وتمكن في الأداة وربما انطلت المقالة ذات الطابع من النقد الأدبي من مادة اجتماعية أو سياسية ولكنها تبقى دائماً عند الظاهر إلاّ لدى من استطاع استكناه همومها من النقاد . وقد ظهر هذا الاستكناه على قلم تحدث عن تلك المقالات عندما جمعت في كتاب باسم « **وراء الأفق الأدبي** » وهو أعز كتب المؤلف لديه لما فيه من نفسه ولما حقق به من خطوة مقالية . ولا غرو أن خطى هذا الكتاب بأكبر قدر من اهتمام النقاد وبقدر لما ينته من القرّاء .

وحين أحس بمنبه من النضوب كف عن الكتابة في الجريدة ... دون أن تتقلص الطاقة ، فهي وكأنها تتحول ولا تعني ... وإزاءه من الأعمال ما يجب أن يخرجه للناس في كتب ، وقد فعل ... وكان لتجربة درس النقد الأدبي مكانها البارز حين انطوت عليها دفتا كتاب « **مقدمة في النقد الأدبي** » ، وكان من سرور صاحبه أن يجد عناية ظاهرة في تقدير قيمة الكتاب في جدواه المدرسي والثقافي وفي تلخيص معارف واسعة تعرض في تمكن ووضوح وشيء من طراوة دون وقوع في الثرثرة أو خضوع للكزازة - ولقى الكتاب ترحيباً خاصاً من لدن أساتذة المادة داخل العراق وخارجه وهو الآن على أبواب طبعته الثالثة - دون أن تكون الثالثة الأخيرة ...

وتمر أعوام على بعد من مزاولة المقالة ... حتى إذا تجددت مياه النبع ودعي ثانية إلى « آفاق » الجمهورية وحانت مناسبة لابد له من الكتابة فيها لما لها من مكان خاص من نفسه واحترام وتقدير وتكريم ، تلك مناسبة مرور عشر سنوات على وفاة أستاذ جليل تخرجت عليه في تاريخ الأدب العربي خاصة أجيال من طلبة دار المعلمين العالية ذلكم أستاذي **الدكتور محمد مهدي البصير** . وقد كتبت المقالة ولقيت التقدير وأذكت في كاتبها ما كان كامناً وأشعرته بزيادة


★ المنفلوطي ★ ★ أحمد شوقي ★ ★ د. البصير ★

من التمكن وبوضوح من التوطد ، وإذا كان يقول إن « النقد الأدبي » بديل لديه من الشعر الذي رامه يوماً فلم يستجب كما يجب ، فإنه صار يقول إن البديل عن الشعر لديه : المقالة ...

السخرية في المقالة

وكان الذين يدرسون المقالة العالمية يؤكدون **عنصر السخرية** فيها ، وهو تأكيد في مكانه ، ولصاحبنا للسخرية من مقالاته قدر محسوس يزيدها حياة ويفسح لها صدراً من القارئ ...

أجل وصحيح ، ولكنك تستطيع أن تكتب مقالة ، ومقالة يستجيدها الناس ويعجبون بها ويثنون عليها ويستعيدون قراءتها دون أن تكون السخرية عنصراً بارزاً - أو عنصراً - فيها أجل ، فليست الحياة من الضيق بحيث تقف عند عوامل السخرية ، وليس الإنسان اشمئزازاً في الحياة فقط . وربما كان الموت - وهو أقسى مايلاقيه الإنسان - داعياً إلى غير السخرية . وهاهي ذي مقالة « **أستاذي البصير** ... » فيها الحب والتقدير ، فيها ذكر الرجل بمحامده التي لا تنتهي ، بذكائه وجهاده وأخلاقه ، فيها عاطفة ابن لأب روحي ... فيها باختصار جلال الذكرى ولا نصيب للسخرية لدى الجلال ...

مع أساتذتي

ولي مع أستاذي البصير أساتذة راحلون أجلاء كرام لهم مقامهم العالي في المجتمع وأثرهم الروحي في النفوس ... وذكرى العظيم تؤدي إلى ذكر العظيم وهكذا كانت مقالة « **أستاذي طه الراوي** » ولا يعلم غيري مدى أستاذي طه الراوي وأسباب نجاح هذه المقالة عند القراء ممن عرف أستاذي الراوي وممن لم يعرفه : إني - باختصار - أحبه وقد مضت على وفاته أربعون عاماً تقريباً - وأنا أهم بالكتابة وأقدم فلا أجد ما يليق حتى أتت هذه الساعة فأوحت بما أوحت أو أرضت قبل أن يفارق التلميذ الحياة ويلاقي أستاذه وما بيمينه كتاب ...

ثم « **أستاذي المهنا** » وقد بلغت من إعجاب الناس المدى البعيد ... وما كتبتها أو كتبت سابقاتها للناس وإنما لواجب أحس به وأخشى التقصير فيه عاطفة وفكرة وضميراً وخيالاً واستذكاراً ولغة - أجل ولغة وهل الأدب إلاّ اللغة .

ولي أساتذة لم أتتلمذ عليهم هممت مرات بذكرهم فلم أقبل ما يأتيني .. أما وقد حان مرور نصف قرن على وفاة « **طه أحمد إبراهيم** » مبدع « **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** » فلا مناص ، ولابد من ورق وقلم وسال القلم تمجيداً وتقديراً .

أقول كان القلم يسيل حباً واعترافاً أداءً لواجب .. دون منٍّ ، ودون أن يدّعي صاحبه لنفسه صفة « الوفاء » ... ولكن الناس لم يلبثوا أن كرروا الصفة وعدّوا المقالات في باب أدب الوفاء . فأهلاً وسهلاً ولا أقول : إنه الوفاء فعلاً ، ولكني حين كتبت ما كتبت لم أفكر بالوفاء ولا بالأجر ولا بالثناء .

وتوالت مقالات من هذا النوع ومن غيره ... هي صلة بمقالات « وراء الأفق الأدبي » مع زيادة في التوطد والتمكن ... وإني لجامعها - مع غيرها - في كتاب أعده للطبع بعنوان « **آفاق أدبية** » ولا أشك في أن المقالات التي وسمها القراء الكرام بصفة الوفاء ستكون أعز ما فيه عليَّ ...

ولا تُنسى المقالات النقد عملياً ونظرياً ، وفي المقالات ما هي منه وإليه لكن النفس تريد أن توفق بين المقالة والنقد وقل أن تذيب النقد في المقالة ، أي أنها تريد أن تعرض المادة النقدية نظرية كانت أم عملية معرض المقالة الإنشائية ذات العناية بالجمال ...

تريد إذا كتبت عن كتاب من قصة أو شعر .. أن تخرج الكتابة في الناس مقالة أدبية مبدعة (أو ذات سمة من الإبداع في الأداء) ليستمتع بها هؤلاء الناس كما يستفيدون ، ليقرءوها مرة لذاتها ومرة للأثر المنقود . والأثر المنقود من رواية أو ديوان عرضة للفناء ، وقد يكون لفئة قليلة ، فما ذنب المقالة تموت معه ، وما ذنب صاحبها (إن صرحنا بقليل من الأنانية) . أما إذا خلدت القصيدة وخلدت القصة فخير على خير .

هذه خلاصة الرأي الذي بدأ معي في أوائل السبعينيات وكاد يتمكن من النفس بحيث يمنعها عن مزاولة العملية النقدية وكأنه يقول لها إما أن تكتبي نقدك مقالة تقرأ لذاتها أبقي المنقود أم لم يبق وإلاّ فلا تكتبي . واستجابت طويلاً ثم استأنفت بشيء من الاستجابة للطلب وهي تشهد أنه مطلب صعب ، وإذا كانت قد حققت منه شيئاً وبلغت أوج هذا التحقيق في « **حسين مردان .. مقالياً** » فهي تطمح بما أحسن ، وأنها إذ تعلن الرأي تنتظر أن يدرك العادة الآخرون ، وأن يجربوا قدراتهم في تطبيقه ولا شك في حصول من يبرع فيه ويجسمه على جوهره . ولي مما لفي النقد - المقالة كما تلقاه القراء في « حسين مردان » من تقدير وإعجاب سند في الدعوة .

هكذا ترى ما أشرت إليه مما تحقق من الطموح الذي لم يخرج لحظة عن دائرة الأدب وقد رأيت جوانب مما انطوت عليه دائرة المتحقق من الطموح بدءاً بتذوق **الشعر** وانتهاء **بالنقد - المقالة** ومروراً **بالبحث والتأليف والترجمة والتحقيق والدرس والتدرس ومرتبة المدرس والأستاذ ... والمقالة التعليمية ... والتعليق والنقد الأدبي ، ونقد التحقيق ، ونقد التأليف ...**

مالم يتحقق

وإني أعدد محتويات دائرة المتحقق لأصل إلى نقطة مالم يتحقق ، والذي لم يتحقق نقطة واحدة ولكنها تعدل دائرة ، وتخصص واحد ولكنه - لدى الطموح أو لدى ما يطلبه الناس منك - تعدل تلك التخصصات الموسوعية كليها ...

أريد أن أقول إني هويت النقد الأدبي مبكراً وعملت جاهداً على تغذية هذه الهواية وعملت جاهداً كذلك - بقصد أو بغير قصد - على أن يستحيل القول فعلاً فكان ما كان مما كتبته على أنه نقد أدبي أو عده الناس نقداً أدبياً ... ولكن الناس - على حسن عال من ظنهم - أرادوني للنقد الأدبي خالصاً ... وهم يقولون لو أني اتجهت متخصصاً فقط لما أرادوه لكان خيراً وأجدى ورأيتني أرى رأيهم ، ولكن بعد فوات الأوان فلقد تمكنت الموسوعية الأدبية من النفس غاية التمكن وأنها تكاد تبلغ أحياناً في فروعها المختلفة مبلغ التخصص .. ومن بدأ متشعباً ... وسار متشعباً .. مات متشعباً وفي نفسه « شيء لم يتحقق » .

كلمات قبل الرحيل

شعر: يس الفيل

بَرِئْتُ من المحبةِ .. فاستريحي
وبوحي .. مابدا لكِ أَنْ تبوحي

فمن رَقَصَتْ على مهجِ الضحايا
ومن سكرت على النورِ الجريحِ

ومن شَرِبَتْ دمَ الأكبادِ خمراً
وما ارتعدت لأنات الذبيحِ

فليس لها بروضِ العمر مأوى
إذا انحدرت لأعماقِ السفوح

وأنتِ نقضت ميثاقاً تغنت
به الأيام في الزمن المليح

وأنتِ سخرتِ بالنظرات هامت
هيام الروح في الملأ الفسيح

وأنتِ جنحتِ عن أملٍ تسامى
ودرت مع المحرم والقبيح

وما أدركتِ أن فناءَ قلبي
على شفتيك بعض من وضوحي

فكيف إذن .. وقد نفذ اصطباري
يكون الشوق للنغم الكسيح ؟

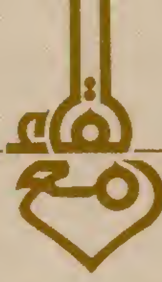
وكيف إذن أكون ؟ وكيف تشدو
زهور محبتي حول الضريح

معاذ الحب ، أن ينهار صرح
تألق عطره بين الصروح

وأن يرتاع فوق يدي سراجي
وأن يرتد منكسراً طموحي

معاذ الحب يادنياي .. إني
سئمت محبتي لك .. فاستريحي





د. عبد الله شريّط

الفكر السياسي والتراث

إعداد : المجلة


★ د. عبد الله شريط ★

بالرغم مما يزخر به تراثنا العربي الإسلامي من كنوز المعارف العلمية والأدبية فقد تميز بالقصور والضعف في مجال العلوم الإنسانية . وهذا القصور والضعف يقتضي من كل باحث يسعى لإغناء التراث وإثرائه أن يقف عنده وقفة موضوعية من أجل أن يبقى تراثنا قاعدة صلبة للانطلاق نحو التطور الحضاري . ولعل مشكلة قصور تراثنا في مجال الفكر السياسي والاجتماعي تقع في مقدمة العوامل التي أخلَت بمعادلة التطور الحضاري للعرب .

حول هذه القضية تحاور « الفيصل » في هذا اللقاء واحداً من أبرز المتخصصين والباحثين الجزائريين في قضايا علوم الاجتماع والفلسفة السياسية .. إنه الدكتور عبد الله شريط .

ضعف الفكر السياسي

●● تمحورت الكثير من دراساتكم الاجتماعية والحضارية حول مشكلة القصور والضعف الذي طبع المجتمع العربي في مجال الفكر السياسي كعلم قائم بذاته . فما أسباب المشكلة وكيف تقيّمون نتائجها ، وما علاقتها بالوضع الراهن الذي يعيشه العرب .. ؟

● إن الحديث عن الفكر السياسي في العالم العربي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبحث في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . ومشكلة الفكر السياسي بالنسبة للأمة العربية تكمن في أننا لم نقم بجهد يذكر لإثراء هذا العلم فيما عدا القليل النادر مما احتواه تراثنا القديم في هذا الصدد بالرغم من أن الفلسفة السياسية الأولى التي بعثت في العالم العربي وهي مستوحاة من القرآن كانت كلها أو أكثرها تحوم حول الفكر السياسي بمعناه الحديث ، وأقصد بالمعنى الحديث للفكر السياسي كل ما يهم الإنسان في حياته العامة والخاصة ، بمعنى أن التعليم سياسة والقوانين سياسة والاقتصاد سياسة ، كل هذه القطاعات التي يتكون منها المحيط العام لكل مجتمع من المجتمعات يسمى سياسة . على أن الفكر السياسي هو الارتفاع بمنهج الكلام من الحديث عن السياسة العادية أو الدولية إلى الخوض في المشكلات الفكرية أو السياسية العامة والخاصة .

وهنا نجد أن **القرآن** قد طرح مسألة الفكر السياسي بالمعنى الحديث ، لأنه نظّم الحياة بمختلف مناحيها . ولكن وقعت قطيعة بعد ذلك بين الفكر السياسي كما طرحه القرآن وبين مسألة البحث في الفكر السياسي عند العرب والمسلمين بحيث نجد أن المحاولات التي قام بها المترجمون للفلسفة اليونانية عند العرب قد بذلوا الكثير من الجهد لنقل **العلوم والفلسفة الماورائية** من التراث اليوناني ، ولكنهم استغنوا عن كل ما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي والسياسي ، والسبب في ذلك هو أن المسلمين كانوا يظنون أنهم في غنى عن الاطلاع على الفكر السياسي والاجتماعي عند **اليونان** لأن من شأن القرآن أن يغنيهم عن هذا الاطلاع . **إذن فمصدر الضعف في الفكر السياسي عند**

الباحثين العرب والمسلمين نتج عن عدم اهتمامهم ببحث ما جاء في القرآن الكريم على أنه فكر سياسي من ناحية ، ولم يهتموا بالاطلاع على التراث السياسي الأممي بما فيه التراث اليوناني من ناحية أخرى . حتى أن كتاب (**السياسة**) **لأرسطو** يشك فيما إذا كان العرب قد اطلعوا عليه أم لا ، وإن كنا نجد في النصوص الفلسفية الإسلامية بعض الإشارات لهذا الكتاب فإننا لا نجد له ترجمة كاملة أو بحثاً يتعلق به أو حتى مجرد محاولة الاستفادة منه . وآخر من أشار إلى هذا الكتاب هو **ابن خلدون** الذي اكتفى بالإشارة إليه فقط دون أن يستوفي منه أشياء مهمة ، مع العلم أن كتاب (السياسة) هو المنبع الأساسي للفكر السياسي الحديث في أوروبا .

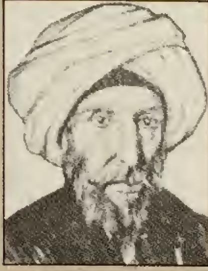
إن التراث العربي الإسلامي غني في الفلسفة الماورائية والمنطق والفلسفة الحقيقية التي تعني بها علم الكلام ولكن فيما يتعلق بالفلسفة الاجتماعية أو ما يتعلق بالإنسان من نظم اجتماعية أساسية ، وخاصة منها ما يتعلق بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، فإنها مفقودة في الفكر العربي الإسلامي . وهذه العناصر مفقودة من وجهتين ، من الوجهة الفكرية أو وجهة البحث والتعمق ، ومن الوجهة العملية أو من وجهة تكوين المؤسسات السياسية التي تنظم المجتمع العربي . ولهذا فإن **علينا أن نحصر مشكلة الفكر السياسي في العالم العربي في هذه النقطة التي تتمثل بفقر التراث العربي في مجال الفكر السياسي من حيث البحث ، ومن حيث المشاريع العملية أو الدساتير** .

ومن أجل هذه الأسباب بقي الحاكم أو الخليفة أو السلطان يحكم بدون دستور ، وشعبه أو مجتمعه يصلح بصلاحه ويفسد بفساده . أما المنظمات والمؤسسات الدستورية التي من شأنها أن تحافظ على مستوى الحياة السياسية بقطع النظر عن قيمة الحاكم فلم تكن موجودة إلا في السنوات الثلاثين الأولى من وفاة الرسول **صلى الله عليه وسلم** .

القرآن .. دستور

●● ولكن ألا يعد القرآن دستوراً كاملاً .. ؟

● ربما من الأفضل أن نقول إنه توجيه لتكوين دستور لأنه يتضمن أخلاقيات الدستور أو أخلاقيات الأنظمة السياسية للمجتمع الإسلامي . ومن حيث هو توجيه فإنه يعد كاملاً ، فالقرآن وجهنا إلى تنظيم القانون والعدالة الاجتماعية والاقتصاد وتنظيم الأسرة والعلاقات البشرية بين كل الناس في مختلف الميادين . ونظرا لكون القرآن الكريم رسالة عالمية فإنه وضع قضية الاختلاف بين المجتمعات الإسلامية بعين الاعتبار ، وأوحى لكل مجتمع من المجتمعات الإسلامية بأن يضع دستوره وفقا لتقاليده وعاداته وبحيث تبنى هذه الدساتير ضمن أطر أساسية مستوحاة من توجيهات القرآن الكريم . أما فيما يتعلق بالحياة السياسية فقد كان من الطبيعي أن يكتفي القرآن بفرض توجيهات عامة تتعلق بالحياة الاجتماعية ، ومن ذلك أنه فرض أن يكون الحاكم ذا مبادىء وملتزم بما جاء في القرآن الكريم . ولكن الكثيرين من الحكام والسياسيين العرب لم يلتزموا بهذه المبادىء ، كما لم يقم أي مفكر عربي بمجرد محاولة تنظيم دستور للأمة الإسلامية ، وهذا ما أسميه أنا بالتراث السلبي للحياة السياسية للمجتمع العربي خاصة ، والإسلامي بشكل عام . وهو تراث سلبي لأن المفكرين أهملوا استلهام الأنظمة السياسية من القرآن ، . وبقي هناك فراغ مهول في الحياة السياسية والفكر السياسي في المجتمعات الإسلامية إلى وقتنا الراهن . ومنذ احتكاكنا بالأنظمة الغربية رحنا نحاول تقليدها في الشكليات فقط ، أما روح هذه الأنظمة التي



★ ابن خلدون ★



★ أرسطو ★

تكمن في الديموقراطية فقد بقيت مفقودة في عالمنا العربي .

الطريق السليم

●● نتوقف عند إشارتكم إلى أن الفراغ السياسي والدستوري الذي يعاني منه العرب نتج عن التقليد الشكلي للغرب وإهمال النظر إلى روح الأنظمة الغربية المتمثلة بالديموقراطية . فما الطرق التي تقترحونها لسد هذا الفراغ .. ؟

● إن الكثيرين من الناس يطرحون مسألة الديموقراطية وفي أذهانهم نقطة واحدة ترتبط بمسألة الحكم وحده ، وينتهي مفهوم هذه الكلمة عند هذه النقطة المتمثلة بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم . والواقع هو أن هذه النقطة لا تمثل إلا جزء من مفهوم الديموقراطية ، لأن **الديموقراطية هي مناخ اجتماعي وفكري يعيشه كل أفراد المجتمع ، الأب مع أبنائه ، الزوجة مع زوجها ، الأستاذ مع طلابه ، الضابط مع جنوده** . وإذا شئنا أن نعرف الديموقراطية بأنها حرية التعبير عن رأيك واحترام آراء الآخرين ولو كانت آراءهم مخالفة لرأيك .. إذا كان هذا هو مفهوم الديموقراطية فينبغي أن يكون هذا المفهوم عاما ، **فأنا لا يمكنني أن أطالب بالديموقراطية بين الحاكم والمحكوم في الوقت الذي أمارس فيه الديكتاتورية في بيتي**

أو مع زملائي أو طلابي ، **لأن الديموقراطية يجب أن تكون مناخاً عاماً** ، ولا معنى لها إذا كانت موجودة بين **عمر بن الخطاب** ومحكوميه ثم تنتهي بنهايته . والذي نلاحظه اليوم هو أن **أحزاب المعارضة** ترفع لواء الديموقراطية طالما هي خارج الحكم ، ولكنها تمارس نفس الأساليب الديكتاتورية التي كانت تمارسها الحكومة السابقة عندما تصل إلى سدة الحكم ، فالأحزاب نفسها تطالب جهاز الحكم بالديموقراطية دون أن تمارسها هي بذاتها ممارسة عملية . ونأخذ من الأحزاب الشيوعية مثلا عن ذلك ، فالأحزاب الشيوعية تتكلم عن الديموقراطية كلما كانت في المعارضة ولكنها إذا ما انتهت إلى الحكم فإنها تمارس الطريقة الاستبدادية . ويبدو أننا قلدنا الشيوعيين في هذا الأسلوب لأن معظم الأحزاب العربية وربما كلها تنادي بالديموقراطية مادامت خارج الحكم ولكنها عندما تصل هي إلى الحكم تكرر نفس الأسلوب الاستبدادي الديكتاتوري .

وإذا أردنا أن نجري مقارنة بين الأنظمة الحزبية في المشرق والمغرب العربيين فسوف نجد أن الفرق الأساسي بينها يكمن في أن الأحزاب المشرقية تكاد تكون نواد تجمع بين شخصيات تتآلف فيما بينها عند المعارضة ، ولكنها عندما تصل إلى الحكم تتوزع ويصبح بعضها ضد بعض . أما الجمهور فهو لا يكاد يعرف شيئا عن نظام هذه الأحزاب بالرغم من أنها تجنده أيام الانتخابات وتقيم له الأفراح ، ثم تنساه تماما بعد ذلك . **أما الأحزاب المغربية فيمكن القول بشأنها أنها ذات بعد جماهيري أفضل بكثير مما للأحزاب المشرقية** ، وينطبق هذا على الخصوص خلال الفترة الاستعمارية عندما اعتمد التنظيم الجماهيري على الخلايا والأقسام الحزبية التي تبنّت نوعاً من الديموقراطية وعوّدت الجماهير على روح الانتخاب . ولكن هذه الأحزاب تخلّت عن الكثير من هذه الروح فيما بعد ، وأصبحت تنتهج أسلوب الأحزاب المشرقية من حيث النزوع إلى التكتلات المصلحية وفقدان الروح النضالية التي كانت تجمعها بالجماهير حتى بدأت تتجمد على الطريقة المشرقية .

الخطط المنهجية

●● هذا معناه أن الخطط المنهجية لترقية المجتمع العربي تكاد تكون مفقودة تماما في هذه الصيغة ... ؟

● تماما .. فليست هناك أي منهجية بل هناك مناورات سياسية تجري بين الأشخاص .

والعلاقات الموجودة بين هذه الأحزاب هي علاقات أشخاص وليست علاقات اتجاهات . وبالرغم من أن الإسلام قد جاء ليغيّر الواقع القبلي والعشائري الذي كان سائداً أيام الجاهلية لتصبح العلاقة بين المسلم والمسلم علاقة فكرية أساسها التآخي في العقيدة ، فإن هذه الروح فقدت منذ قيام **الدولة الأموية** وعادت العلاقات من جديد لتصبح علاقات أساسها القرابة أو **الانتماء للقبيلة أو العشيرة** . ومازال هذه الروح قائمة عندنا حتى الآن بالرغم من أننا نعيش في أنظمة القرن العشرين . وإذا كنا نجد اليوم الكثيرين ممن يتحدثون عن الديموقراطية دون بحث ولا تمحيص فإنني اعتقد بأن هذا الوضع ليس نتاجاً لإنحرافات الحكام الذين يحكمون اليوم أو الذين حكموا من قبلهم أو الذين سيأتون من بعدهم ولكنه نتاج لمناخ عشناه طيلة ١٤ قرناً ومازلنا نعيشه إلى اليوم وربما نعيشه في المستقبل مالم تنشأ لدينا روح الديموقراطية التي تصعد بالجماهير الواعية شيئا فشيئا إلى الحكم . وهنا يكمن واجب المفكرين والمثقفين والمتعلمين في المجتمع الذين يتعيّن عليهم أن يركّزوا على زرع بذور الديموقراطية في محيطهم بهدف تكوين نشء ومجتمع وجمهور تربّى على الديموقراطية ولديه القدرة الحقيقية لممارستها والدفاع عنها . ولابد من الإشارة هنا إلى أن الشعوب التي لا تدافع عن الديموقراطية ولا تتمسك بها لابد أن تنتهي إلى حاكم طاغ يقضي على آمالها .

أسباب الخلل

●● لو نظرنا بموضوعية إلى الأصول الحضارية وإلى التراث الثقافي والعلمي للمجتمع العربي فلعلنا نجدها أجدر بأن تفرز مجتمعاً أكثر صحة وتطوراً مما نرى عليه مجتمعنا اليوم ، فما هي العوامل التي وقفت وراء اختلال هذه المعادلة .. ؟

● سؤال مهم جدا ، ونجيب عليه باقتضاب من أن **التراث العربي اهتم بالعلوم والفلسفة ولكنه أهمل الفكر السياسي والفكر الاجتماعي** . صحيح أن الفكر الاجتماعي قد ولد في القرن السادس عشر ولكن البحوث الاجتماعية كانت موجودة دائما ماعدا في الفكر العربي وهذا في رأيي أهم سبب لاختلال المعادلة . ولا شك أن تراثنا العربي أغنى من التراث اليوناني أو الغربي من الناحية الأدبية ولكنه فقير في مجال الفكر السياسي والاجتماعي ، فأنت عندما تبحث في الأدب العربي ، وعندما تبحث في الشعر بصفة خاصة تجد أن أكثره يتعلق بالمديح حتى أصبح الشعر العربي في الكثير من الأحوال تافهاً من حيث مضامينه ومراميه . والشيء الجديد الذي نلمسه اليوم هو أن بعض الصحف ووسائل الإعلام أصبحت تقوم مقام الشعراء في هذا الصدد . وحدث أننا أخذنا في العصر الحديث من صحافة الغرب شكلها ولكن صحافتنا بقيت في معظم الأحوال ناطقة باسم الحكّام ، وأصبح الكثيرون من كتّاب الصحف يحدثونك عن حقيقة الأشياء ولكنهم يكتبون غير الذي يقولونه . وإذا أضفنا إلى كل ذلك ضعف الانتماء القومي عند المواطن العربي نكون قد جمعنا أهم العناصر التي تقف وراء اختلال



المعادلة الحضارية عند العرب .

الصراع الحضاري

●● مادور الصراع الحضاري في التاثير على البنية الاجتماعية العربية .. ؟

● الصراع الحضاري ليس مشكلة عربية بحتة ، بل هو مشكلة عالمية . والحضارات تولد وتموت وتنتقل من مجتمع لآخر ، وكل مجتمع يحملها لفترة معيّنة ثم يدركه العياء فيقعد بها ليصعد بها مجتمع آخر ، وهكذا كانت الحضارات تنتقل من شعب لآخر ، وفي هذا الانتقال هناك صراع دائم . والصراع الحضاري الراهن قائم بين العالم الثالث من جهة والعالم المتطور من جهة ثانية ، ولكن المشكلة لا تنحصر في مشكلة الصراع بحد ذاته ولكنها تكمن في أن العرب لا يتصوّرون بأنهم يقعون خارج العالم الثالث وأن مشاكلهم ليست مشاكل العالم الثالث وطموحاتهم ليست هي طموحات العالم الثالث ، لذا تجد الآن أن الكثير من الدول قد أدركت غايات لم يتمكّن العالم العربي من إدراكها ، والسبب في ذلك هو أن العرب لا يضعون أنفسهم في الإطار الطبيعي .

ففي **أميريكا اللاتينية** نجد الكثير من الدول قد أدركت درجة متقدمة من الرقي لم يدركها العرب ، وينطبق ذلك أيضا على **الهند والصين** بالرغم من أن هذه الدول جميعا تنتمي إلى العالم الثالث . **والعرب يتصورون أن القضية الأساسية بالنسبة إليهم تكمن في بلوغ ما وصل إليه الغرب من تطور ، ولكن مع غياب كافة أسس الدراسة والتشخيص ، فكلنا ندعو إلى الوحدة والتطور دون أن نفعل شيئا ملموساً في هذا السبيل** ، والمفكرون ودعاة الإصلاح الفكري يقومون أيضا بالدعوة إلى ذلك ويتوقفون عند هذه النقطة . ولكن دور المثقف الحقيقي ليس الدعوة فقط لأننا انتهينا من مسألة الدعوة بانتهاء **جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وابن باديس** وبقيت مسألة دراسة منهجية بلوغ هذا الهدف ، وعلينا أن ندرس ذلك دراسة مبنية على العلم والتخطيط .

العرب .. والعالم

●● إن هذا التحليل يدفعنا إلى التساؤل عن العوامل التي تقف وراء التطور الحضاري الذي تشهده الهند في هذه الآونة بالرغم من وجود آلاف الطوائف واللغات والثقافات هناك ، وما وجه المقارنة بين ما يحدث في الهند وما يحدث في بلاد العرب .. ؟

● في رأيي أن للهند حضارة قديمة أكثر تطوراً من حضارة العرب ، والعرب استوحوا جزء كبيراً من حضارتهم من حضارة الهند ، وللهند تراث سياسي حقق نوعاً من التماسك بالرغم من كل المشاكل الاقتصادية واللغوية والطائفية التي تعاني منها . وهذا التراث السياسي تجده أيضا في الصين ولكنه مفقود تماما في العالم العربي ، وأظن أن الاختلال الكبير يكمن في هذه النقطة .

الحضارة .. والثقافة

●● كيف تنظرون إلى العلاقة بين الثقافة والتطور الحضاري .. ؟

● لقد سبق لي أن تطرقت لهذه المسألة بإسهاب ، ومن ذلك أنني قلت في كتابي **(من واقع الثقافة الجزائرية)** بأن المجتمع المتطور يفرز ثقافة متطورة ، وأرى أن العكس صحيح أيضا لأن المسألة جدلية ، أي أن **الثقافة المتطورة تفرز أيضا مجتمعا متطورا** والسبب في ذلك هو أن الأديب أو الشاعر يستوحي إنتاجه من محيطه الحضاري فإذا كان هذا المحيط متخلفاً فلابد أن يكون الإنتاج الفكري متدنياً أيضا .



د . عبد الله شريّط .. في سطور

- ولد عام ١٩٢١ م .
- درس بجامع الزيتونة في تونس ثم أكمل دراسته العالية في سورية فحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة .
- شغل عدة مناصب علمية وشارك في مؤتمرات علماء الاجتماع العرب .
- يعمل حاليا أستاذاً محاضراً في علم الاجتماع ورئيسا لمجلس البحث العلمي في معهد الفلسفة التابع لجامعة الجزائر .
- له العديد من المؤلفات الهامة ، من بينها :

★ (الجزائر في مرآة التاريخ) طبع عام ١٩٦٥م.
★ (الرماد) ديوان شعري طبع عام ١٩٦٩ م .
★ (من واقع الثقافة الجزائرية) طبع عام ١٩٧٥م.
★ (الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون) طبع عام ١٩٧٦ م .
★ (أخلاقيات غربية في الجزائر) طبع عام ١٩٧٥م .
★ (المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية) طبع عام ١٩٨٢ م .
★ (الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر) طبع عام ١٩٨٠ م .
★ (تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب) ط ٣ عام ١٩٨٣ م .

الصورة الشعرية في إبداع ابن الخطيب

بقلم: قاسم الحسيني

الصورة الشعرية مصطلح نقدي حديث ، بدأ يطبق مؤخراً على شعرنا قديمه وحديثه ، وصار يؤثر في الدراسات النقدية والأدبية على السواء .

والتعبير بالصورة مظهر فني قديم ، فمنذ كان الشعر كانت الصورة أبرز وسائله الفنية الجوهرية لنقل التجربة ، وكانت القصيدة صورة كبيرة تحمل في ثناياها مجموعة من الصور الجزئية[1] .

وبالرغم من أن « مصطلح الصورة » كان غائباً في شعرنا القديم ، إلا أن مقاييسه كانت موجودة في النقد لا تخرج في مجملها عن مقاييس عمود الشعر[2] . كما يذكر الجاحظ بأن الشعر جنس من التصوير[3] دون أن يرصد الصورة في الشعر العربي . ونجد كذلك بعض فلاسفة المسلمين حاولوا الاقتراب من إعطاء تعريف للصورة من خلال استعمالهم للمحاكاة بمعنى القدرة على التصوير ، وتشبيههم الشعر بالرسم[4] . ومع ذلك ينبغي الاعتراف بأن نظرة النقاد العرب القدامى تخلو من تعريف للصورة ، وإن كانوا تناولوها مجزأة عبر تلك المقاييس التي توافرت لديهم .

ولم يَنْجَح النقد الأسلوبي العربي من هذا التناول الجزئي للصورة ، إذ حدد الشكل الشعري في عنصرين أساسيين هما **الصنعة اللفظية والصنعة المعنوية** ، يقصد بالأولى **الزخرفة** التي يحدثها الشعراء في قصائدهم من جناس وطباق وترصيع ومقابلة ، أما الصنعة المعنوية فيراد بها عند أصحاب هذا الاتجاه . **الصورة الشعرية ومرتكزاتها الأساسية** من تشبيه وتمثيل واستعارة[5] . ومثل هذه النظرة الجزئية لا تسمو بالصورة إلى المركز الذي يجعلها تخدم المسافة بين الكلمة ومدلولها ، أو يجعلها الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته ، ويتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام[6] .

الريادة والإبداع

فحين نبحث عن الصورة الشعرية في ابداع **ابن الخطيب** ، إنما نبحث عنها في شموليتها مجتمعة في ذلك الشكل الشعري بعنصريه ، وفي منأى عن تناول القدامى المجزّأ لها . وانطلاقاً من ذلك قد نتوصل إلى إظهار حياة القصيدة وروحها وأهم أركانها في **مرحلة القرن الثامن الهجري بالأندلس** من خلال قصيدة ابن الخطيب باعتباره أحد روادها وقطب رحى الإبداع فيها . ومن ثمة ـ دون شك ـ ستكون لهذه الصورة الشعرية أهميتها في تجلية الصور الشعرية للعصر ، وتأتي هذه الأهمية من كون صاحبها :

١ ـ « كان نابغة المائة الثامنة وأشهر أدبائها »[7]

٢ ـ « كان ممن انتهت إليه زعامة العلم والقلم والأدب في الأندلس »[8] .

٣ ـ « كان فارس النظم والنثر في عصره »[9] .

٤ ـ ولكونه أخيراً « شاعر الدنيا » كما وصفه **ابن الأحمر** في « نثير فرائد الجمان » .[10]

إن مثل هذا الإجماع في استحسان شاعرية ابن الخطيب لا يمكن إلا أن يتولد عنه بالطبع إجماع في الإعجاب بالصور الشعرية الثاوية في إبداع تلك الشاعرية . فكيف كانت أو كيف هي هذه الصور إذن ؟ ما طبيعتها ؟ ما مصدرها ؟

هل صنع ابن الخطيب صوراً شعرية لم ترد عند الأوائل ؟ أم أنه اتكأ على ما عندهم فجمع وركّب ؟ ثم هل يمكن انطلاقاً مما أبدع حصر أنواع وأنماط هذه الصورة ؟ ما العناصر المكونة لها ؟ ...

إن الإجابة على هذه التساؤلات قادت هذا البحث المقتضب إلى ما يلي :

مصادر الصورة

إن صور ابن الخطيب تستقى من مصدرين اثنين :

الأول : قديم ، يكمن في ذلك الإرث الجاهلي والإسلامي أو ما يمكن أن يعبر عنه « **بالشعرية الشفوية** »[11] . هذا المذهب أو الاتجاه كان له فن خاص في القول الشعري لا يقوم في المعبر عنه وإنما في طريقة التعبير إذ كان أصحابه يقولون إجمالاً ما يعرفه السامع مسبقا[12] . **وتبعا لذلك اقتضت طريقة التعبير عند من يريد لفت الانتباه وكسب الإعجاب اختيار الحسية في التعبير والإيقاع المطرب عن طريق ركوب التسجيع أو التجنيس داخل البيت أو التوشيح الذي يولد القوافي الداخلية بالإضافة إلى القافية الواحدة ، مع**

مراعاة جمال الابتداء والانتهاء في القصيدة ، ومن ثمة فإن اختيار **التشبيه** كأداة لتوزيع **الموسيقية داخل البيت الواحد أو أبيات عدة** ، كان استجابة لإعجاب السامع ونهجاً للطريقة التي ترضيه ، هذا السامع الذي كان يعي الكلام ويستلذه بوساطة ذلك التشبيه المتكافىء الأطراف وكان الإخلال البسيط بهذا التكافؤ يعتبر إساءة إلى الصورة ، ومن ثمة الإساءة إلى قيمة التشبيه نفسه .

وابن الخطيب حين كان يستقي لبناء صوره من هذا المعين إنما كان يظهر اعتناقه الأساليب العربية القديمة ، فالصور الحسية القائمة على التشبيه وبعض ألوان المجاز في شعره مظهر دال على ذلك الاعتناق والارتباط ، من هذه الصور قوله[١٣] :

كأنما الطل إذا طل الشقيق به	خد بصفحته رشح من العرق
همت ثغور الأقاحي أن تقبله	فللبنفسج وجه الواجم الحنق
كأن أوراقه والريح تعطفها	سواعد رفعت خضراً من الدرق
كأنما الآس آذان الجياد وقد	شعرن بالروع في قفر من الطرق
كأنما النهر في أثنائه أفق	والورد في الشط منه حمرة الشفق

الصورة كما نلحظ قائمة على معادلات تشبيهية كثرت فيها المشاهد ، فهناك مشهد الطل وقد انبثق منه الشقيق ، يماثل مشهد الخد الذي يتصبب من فوقه العرق ، ومشهد الأقاحي وهي تستعد لتقبيل ذلك الخد ، يقابله مشهد البنفسج الواجم الحنق ، ومشهد النهر والورد في الشط .. إلخ ...

وبالنظر إلى كل هذه المشاهد نجد أنها تقوم على أساس من الحسية والتجسيم ، وهي طريقة عرفت عند القدامى وتبناها الشاعر في التصوير ليس في هذا المقطع فقط ، وإنما في كثير من شعره إدراكاً منه بأن « التصوير الحسي طريقة في التوضيح الذي هو الأصل في الصورة »[١٤] التي من أهم عناصرها هنا أدوات بلاغية لم تخرج عن التشبيه والمجاز ، كما يبدو عند تأمل كل مشهد من المشاهد السابقة . وتمتاز هذه الصورة أيضا بالدقة المتجلية في تتبع حركة الموصوف في **الزمان والمكان** ، فالبنفسج واجم في الوقت الذي تستعد فيه الأقاحي للتعبير عن سرورها ، والورد الأحمر في الشط انعكس لونه في ماء النهر فأحدث بذلك لون الشفق مقلباً حركة الزمن من الصباح إلى العشي ... كل هذه الحركة في الصورة تمت عبر جمل شعرية طويلة بعض الشيء ، والطول هنا اقتضته طبيعة التشبيه المستعمل (التمثيل) فتعددت الجملة وكبرت تبعا لذلك التشبيه .

إن الصورة الشعرية في هذه الأبيات كما تبدو كثيرة الظلال والألوان والإيحاءات ، مطربة إيقاعياً من خلال ما اشتملت عليه من تساوٍ في الجمل يتبعه تنظيم في كلماتها ، ومعلوم أن « تنظيم الكلمات ذو أثر في حسن المجاز »[١٥] ، كما أنه « عنصر هام في جماليات الاستعارة وفي توضيح ما نسميه عمود الشعر العربي على الإجمال »[١٦] فالروابط النحوية والبلاغية محكمة متساوية في عناصر تكوينها ، فمثلا في المشهد الأخير :

كأنما النهر في أثنائه أفق	والورد في الشط منه حمرة الشفق

النهر اسم مفرد — في أثنائه اسم مفرد مع أداة جر — أفق اسم مفرد

الورد اسم مفرد — في الشط اسم مفرد مع أداة جر
حمرة الشفق اسم مفرد

فالصلة بين الشطرين حميمة قائمة على التساوي في التشبيه : المتكافىء الأطراف بحيث الاسم يقابل الاسم والمركب الاسمي في الجار والمجرور في الشطر الأول يقابل بمثيله في الشطر الثاني .

اسم + مركب اسمي + اسم — اسم + مركب اسمي + اسم

وبطبيعة الحال فإن هذا الانتظام في البيت جعل عملية الوصل بين شطريه تأتي غاية في التناسب إذ تم عطف جملة اسمية على أخرى اسمية : (مبتدأ وخبر) (مبتدأ وخبر)[١٧] .

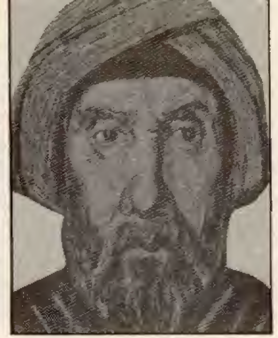
أما المصدر الثاني لصوره ـ صور ابن الخطيب **ـ فهو مذهب المحدثين أو جيل الشعرية الكتابية**[١٨] الذي أصبحت الجمالية الشعرية عنده في النص الغامض ذي البعد الفكري الواسع ، « فلم يعد الوضوح الشفوي الجاهلي معياراً للجمال والتأثير »[١٩] ولم يعد إرضاء السامع الشغل الشاغل للمبدع ، الذي صار بعيداً عن جمهوره بابتعاده عن التأثير المطرب ، وقولة ابن الإعرابي المشهورة في شعر أبي تمام بعد أن سمعه أقوى دليل على ذلك : « إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل »[٢٠] . لقد وجد المحدثون نشوة كبيرة في الاستعارة امتطوها فتجاوزت بهم صور القدامى البسيطة[٢١] .

وحين نتأمل شعر ابن الخطيب نجد فيه شيئاً من تأثير هذا المذهب في صوره خصوصا المركبة منها أو التي يتداخل فيها الحسي بالمعنوي ، من ذلك قوله :[٢٢]

دعوتك للود الذي جنباته	تداعت مبانيها وهمت بأن تهي
وقلت لعهد الوصل والقرب بعدما	تناءى أألسلو عن حياتي وأنتهي
ومن شام مِنْ جَوِّ الشبيبةِ بارقاً	ولم تنهه عنه النهي كيف ينتهي ؟

الذي نلحظه في هذه الصورة هو صعوبة الفصل بين ما هو حسي ومعنوي فيها ، لقد تجاوز الشاعر فيها ما يرى إلى ما يتراءى ، لكن دون أن يتجاوز الحسي الذي ظل أساساً في الوصول إلى المجرد (المعنوي) . الود : عنصر معنوي . له جنبات تتداعى وتنهار : تمثل حسي ، مبانيها : عنصر حسي ، ففي هذه الصورة نجد نقيض ما سبق أن رأينا في الصورة الحسية التي لها طرفان متكافئان ، بحيث إن حاولنا في هذه الصورة المركبة فصل ما هو معنوي عن ما هو حسي انهارت الصورة وتداعت ! ففي الصورة ـ في اعتقادي ـ نفس من ثقافة المحدثين . كما نلحظ فيها بعض الغموض الناتج عن سمو في الخيال الذي صنع للود « جنبات فارتفعت بذلك اللغة في الصورة عن واقعها إلى لغة المجاز أو اللغة الانفعالية[٢٣] ، كما يسميها **رتشاردز** . وفيها أيضا انعطاف نحو تحقيق المتعة الشكلية الخالصة ، بعيداً عن توجيه سلوك المتلقي ، وإثارة انفعالاته[٢٤] ، كما هو الشأن في الصورة الحسية ، يقول **ابن سينا** : « **إن العرب كانت تقول الشعر لوجهين : أحدهما ليؤثر في النفس أمراً من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال ، والثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه** » .[٢٥]

نكتفي بهذين النموذجين في معرض الاستدلال على طبيعة الصورة والعناصر المكونة لها عند ابن الخطيب ، على أننا ذاكرون كثيراً من مثيلاتها عند الحديث عن الأنواع .


★ أبو تمام ★


★ ابن سينا ★

أنماط الصورة

إن استقصاء شعر ابن الخطيب ، يقود إلى معرفة أنماط من الصور فيه ، بعضها **جاهز** ، وبعضها الآخر **تقليدي** تنشط فيه الذاكرة الشعرية عنده أما النمط الثالث ، فيمكن أن يوصف بأنه **مبتكر وطريف** .. وفيما يلي بعض النماذج الدالة على هذه الأنماط الثلاثة :

(١) **الصورة الجاهزة** : يعتبر هذا النوع من الصور أكثر الأنواع انتشاراً في شعر ابن الخطيب ، يكوّن رصيداً هائلاً ، قابلاً للاستغلال في كل القصائد خصوصا المدحية منها ، لا يكلف الشاعر نفسه فيها عناء التغيير إلا حين يحس – وما أقل ما يحس ازاءها – بأنه كرر استعمالها أكثر مما ينبغي . ومع ذلك فقد لا يحدث التغيير أي جديد في الصورة ، واعتقد أن هذا النوع من الصور يكون له وجود سابق لوجود القصيدة ، وما يفعله الشاعر عند النظم هو العودة إلى المخزون ، إلى ذاته فيسرق منها[٢٦] ، ويتناص معها لانتقاء المناسب للموضوع المناسب .

ولا نستطيع حصر جميع هذه الأنماط من الصور في شعر ابن الخطيب خصوصا في تلك التي يصور فيها مختلف صفات الممدوح وخصاله النفسية منها والجسمية[٢٧] ، غير أننا ذاكرون نماذج دالة وناطقة تنوب عن كثير من مثيلاتها الجاهزة .... من هذه الصور ، صورة القصائد الحسان التي لا تكاد تختلف عن بعضها مبنى ومعنى ، أما فضاؤها المكاني في القصيدة فخواتمها غالبا ، يقول ابن الخطيب في خاتمة قصيدة يمدح بها **الغني بالله**[٢٨] :

ودونكها من بحر فكري جواهراً ... تقلد في نحر وتنظم في عقد
ركضت بها خيل البديهة جاهداً ... واسمعت آذان المعاني على بعد

فالقصيدة عبارة عن جواهر ثمينة تقلد في نحر وتنظم في عقد صادرة عن واسع الاطلاع ، وعميق التفكير .

ويكرر نفس الصورة في خاتمة قصيدة يمدح بها **أبا الحجاج** ، بلغ به الغرور فيها إلى حد أن جعل شعره يجوب البلاد مشرقاً ومغرباً ، يتغنى به المنشدون ، ويرويه الرواة معجبين متسائلين : أيوجد على وجه هذا الكون من يصنع مثله ؟ فيقول :[٢٩]

ودونكها من بحر فكري جواهراً ... تقلد في نحر وتنظم في عقد

نفس الصورة تتكرر في خاتمة قصيدة يمدح بها أبا الحجاج فيقول :[٣٠]

ودونكها من بحر فكري لآلئاً ... تقلد في نحر وتنظم في عقد
يسير ركب النسيم إذا سرت ... سراع المطايا في ذميل وفي خد

فالفرق بين هذه والتي سبقتها هو وجود « لآلئاً » في البيت الأول ، بدل « جواهر » التي في البيت الأول عند الأخرى .

ومع تغيير بسيط تتكرر نفس الصورة ، لا يشعر المتلقي لها بجدة ذات أهمية ، يوردها في متم قصيدة بعد أن يثني فيها على بلاء أبي الحجاج يوسف في **معركة طريف** الواقعة عام ٧٤١ هـ . يصف قصيدته فيها بالفتاة الساحرة الهيفاء المتبخترة تيهاً واعجاباً بروعة جمالها وفتنتها ، ولا ينسى وهو يعطي هذه الصورة أن يخص نفسه بكونه صاحب هذه الفتاة الساحرة ، مفتخراً بقدرته ليس فقط على قول الشعر ، وإنما هو روض والعلوم له غيث ، فكل جني تريد قطفه تجده يسر الذوق والعين معاً[٣١]

وهاكها من بنات العرب ساحرة ... هيفاء تختال بين الدل والغيد
ولست يوماً على شعرٍ بمقتصر ... ولا بأبيات منظوم بمنفرد
وإنما أنا روض والعلوم له ... غيث فأي جني إن شئته تجد

وكذلك في قوله :[٣٢]

خذها أمير المسلمين بديعة ... سحبت بدائعها على سحبان
تطوي البلاد مشارقاً ومغارباً ... قسيمة تثني بكل لسان

ونفسها تقريبا تتكرر في قوله :[٣٣]

خذها كما شاء الخلوص بديعة ... تزهى بشارتها على بشار
ما ضرني إن لم أجيء متقدماً ... بالسبق يعرف آخر المضمار

وبتأمل هذه الأنماط من الصور الجاهزة تجد أن الشاعر تبنى فيها الطريقة الحسية في التصوير ، واختارها مذهباً فنياً للتعبير في شعره . وقد كان وهو يصوغ ذلك مدركاً أهمية تلك الطريقة في إيصال الصور وتوضيحها .

واعتقد أن الشاعر حين كان ينساق وراء هذا الاختيار ، إنما كان يؤكد ارتباطه بأقوى مظهر من مظاهر الأساليب العربية القديمة ، أو ما تم التعبير عنه عند الحديث عن مصادر الصورة عنده بالشعرية الشفوية ، التي يعتبر السمع فيها الأصل في وعي الكلام وفي الطرب .[٣٤]

وكأني بابن الخطيب وهو يركب الطريقة الحسية في التصوير إنما كان يضع يده كذلك في أيدي الفلاسفة المسلمين الذين ألحوا على حسية الصورة في الشعر لأنها تقوم بمهمة تقريب الأشياء المجردة والأمور المعنوية وتوضيحها ، أي تقريب ما هو غائب عن الحس بما هو حسي وعيني للعوام والجمهور الذين يعجزون عن إدراك الأفكار المجردة إلا عن طريق الحس والتخيل[٣٥] .

(٢) **الصورة النموذجية** : يبدو ابن الخطيب في هذا النمط من الصورة متمسكاً بالنموذج القديم ، مؤكداً به ولاءه للماضي ، يستثير هذا بذكر ذاك ، يشعر سامعيه بقوة الشبه بين ما يسمعون منه ، وما سمعه أجدادهم ، فيضفي بذلك على شعره شيئاً من الماضي ، مظهراً في نفس الآن قدرته الفائقة على صبغه بصبغة شخصية وإدخاله في نسيج إبداعه ، سواء تعلق الأمر بصورة المطالع أو الخواتم أو بغيرها من الصور[٣٦] ، في أي جزء من القصيدة .

ولم يكن – حسب ظني – هذا التعلق بالقديم من ابن الخطيب مجرد شغف وكفى وإنما هو استغلال ذكي له في زمن ازداد فيه التطلع والإعجاب بكل روائع القديم ، سواء كانت فنية أو دينية تتجلى في قوة الإسلام وعزته ، أو عسكرية في الانتصارات على النصارى وقهر الخصوم إلخ ..... وهذا عندي هو البعد النفسي والحضاري والتاريخي لهذه الصورة في إبداع ابن الخطيب .

من هذه الصور قوله في مناسبة هنأ بها أمير المسلمين **أبا عبد الله بن المولى أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف** يوم عقد بيعته :[٣٧]

قفا فاسألا في ساحة الأجدع الفرد ... معالم محتها الغمائم من بعد
وجرت عليها الراسيات ذيولها ... على أنها تزداد طيباً على البعد

وعوجا عليها فاسألا عن أنيسها ... وإن كان تسآل المعالم لا يجدي
ولكنها نفس تجيش ونفثة ... تروّح من بث وتطفيء من وجد
مرابع ألأ في وعهد أحبتي ... سقى الله ذاك العهد منسكب العهد

إن الشاعر في هذه الصورة وإن تشبه بالقدامى ، فذكر الديار وصورها مثلما كان القدامى يصورون ، إلا أنه يختلف عنهم إذ وهو يرسم الصورة كان يعي أن تسآل المعالم ومحاورتها لا يجدي(*) ، أو بمعنى آخر كان في وعيه أنه يرسم صورة لا قيمة لها حضارياً في عصره ، ومن ثمة فهي ترتبط بزمان قديم لا بزمانه ... إن نفسية الشاعر في هذه الصورة تبدو موزعة بين القبول والرفض : قبول المطلع الطللي ورفضه ، وهي حالة تدلنا على توزع ثان : ارتباط بمذهب القدامى من جهة ، ومغازلة مذهب المحدثين من جهة ثانية ، فالاتجاهان معا يتقاسمانه ،[٣٨] إلا أن البدء بوقفة الطلل عنده يبقى أمراً مفضلاً يعكس الوفاء للعروبة والغيرة عليها والتطلع إلى العيش في كنف عزتها في نفس الوقت .

وهذه صورة تقليدية أخرى ـ يبدو فيها الشاعر مقتفياً أثر **امرىء القيس** في لاميته المشهورة ـ يقول فيها ،[٣٩]

ادارهم بني الأجارع فالسدر ... سقتك الغوادي كل منسكب القطر
أجيبي تجافت عن رباك يد الردى ... ولا نضبت أمواه موردك الغمر
ولا زال ظل البان فيك منعماً ... يميس من الأوراق في حلل خضر
متى ظعن الحي الجميع وأصبحوا ... كما افترق الحجاج في ليلة النفر
واين استقلوا هل بهضب تهامة ... محلين أم حلوا على قبة الحجر
وإذ زجروها معرقين فهل سروا ... بشط دجيل أم أجازوا على الجسر
أم الشام أموا أم على رمل عالج ... حدوا عابرين النيل قصداً إلى مصر
فقالت سروا والليل مرخ سدوله ... وجنح الليالي في اقتبال من العمر

فهذه الصورة وغيرها ليس بالقليل مشاهد بدوية بأصولها الدلالية ، يعيد الشاعر إحياءها فنياً في عصر اكتسحت فيه أفانين الحضارة كل بيوتات **غرناطة** وساكنيها ، وحين يحييها ـ كما لاحظنا ـ يتملكها بعد أن يولد معناها توليداً يوهمنا أنه السباق إليه ، وهذا شأن المقلد الناجح « يرتبط المعنى باسمه من غير أن يكون هو مخترعه »[٤٠] إلى جانب ذلك ، فورود مثل هذه الصور في إبداع ابن الخطيب اختيار فني ، ومنهاج في التصوير ، ـ كما أشرت إلى ذلك سابقا ـ له أكثر من دلالة ، قد تكون رامزة[٤١] أو مرتبطة بحالة نفسية معينة ومن المستبعد جداً أن يكون لهذا الاتجاه علاقة بما يمكن أن يسمى « **بالبدائية في التعبير** »[٤٢] ، أو طبيعة في عقلية الشاعر انطلاقاً مما نعرفه عن ثقافة الشاعر **لسان الدين ابن الخطيب** الموسوعية .

(٣) الصورة الطريفة : لا أستطيع أن أدعي بأن أصل طرافة هذه الصورة سببه سبق الشاعر إليها واختراعه لها ، فتلك مسألة يصعب تحديد مكوناتها ، لما يتطلبه هذا التحديد من استقصاء دقيق لكافة شعر الشاعر ، لا أملك أن أدعيه ، ولكن الطرافة تأتي من كون هذه الصور حقق فيها الشاعر جمالاً شعرياً كان الباعث عندي على تسميتها بالطرفة الجميلة ، وغالبا ما تحقق هذه الصور في موضوعات النسيب ووصف الطبيعة والخمرة ...

من نماذج هذه الصور قوله يعبر عن شدة تعلقه وهيامه :[٤٣]

ياهلالاً ياقضيباً يارشا ... إن تبدى أو تثنى أو مشى
ياغزالا ورده في أدمعي ... كلما شاء ومرعاه الحشا
قد فشا فيك هيامي في الورى ... وهو لولا دمع عيني ما فشا
ولكم آثرت كتمان الهوى ... غير أن الدمع بالسر وشى
كيف بالكتمان يوما لامرىء ... سره في خده قد نقشا

الصورة منذ البداية تقوم على خيال ينطلق في غير فواصل تجاوز به الشاعر ما يرى إلى ما يتراءى ، وفي هذا التجاوز تتحقق الرؤيا ، وبه تزدان الصور فتبدو طريفة ، جميلة . فمصدر جمال الصورة الجزئية في البيت الثاني أعلاه مثلا سمو الخيال فيها سواء في المشهد الذي يحتويه صدر البيت (ورده في أدمعي) أو ذلك الذي في عجزه (مرعاه الحشا) . إنها صورة الخلق : خلق عالم مجازي فيه كثير من الإيحاءات تجاوز بها الشاعر ذلك الرفض الذي تبدى له في الواقع .. ومن الصور الطريفة أيضا قوله :[٤٤]

ألحظك أم سيف عمرو أعيدا ... لقد جند الحسن فيك الجنودا
تبدي محياك تحت الدجى ... فخر العواذل طراء سجودا
أناشدك الله في مغرم ... أحلت عليه الجفا والصدودا
إذا هطلت سحب أجفانه ... نثرن على الخد درا فريدا
فلو كنت تقبل مني الرشا ... لحليت جيدك منه عقودا

ففي الصورة مشهدان طريفان : **الأول** يحكي حسن المحبوب ، **والثاني** يعكس تأثير هذا الحسن على المحب ، فهما متداخلان ، الأول علة الثاني وسببه ، لكن الطريف في هذه الصورة هو أن اللحظ والمحيا ، وغيرهما من مظاهر الجمال في المحبوب صارت دلالات مخالفة للمتعارف عليها ، أصبحت جنوداً مدججين بالسلاح ، لقد نفذ الشاعر عبر هذه الصورة من ما يرى إلى ما يتراءى ، والذي تراءى أوْحَتْ به لحظة الكشف عنده ، ومن ثمة تخطى الواقع وتجاوزه .

ونختم هذه النماذج الطريفة بذكر هذه التي يقول فيها :[٤٥]

زارت وقد صرف العنان الغيهب ... والصبح ينشر منه بند مذهب
والزهر في نهر المجرة بعضها ... يطفو بصفحتها وبعض يرسب
وكأنما الفلك المكوكب غادة ... زفت وحل لها الحلي المغرب
والدوح صلى بالتحيات التي ... ألقى بمسمعه النسيم الطيب
والطير قد نفض الجناح مؤذناً ... والورق تتلو والبلابل تخطب

تكتسب الصورة العامة في هذه الأبيات طرافتها من كون المشاهد الجزئية التي بداخلها ، كثيرة الألوان والأصباغ ، وأسهمت في خلق بعضها لغة المجاز أو اللغة الانفعالية[٤٦] فتعاقب الاستعارات في البناء العام للصورة جعلها تطل على عالم ليس بالمألوف ، عالم يصلي فيه الدوح اعتماداً على تحيات النسيم ، عالم يؤذن فيه الطير ، وتخطب فيه البلابل ، وتتلو فيه الورق ... إلخ ، عالم مليء بالحركة وظيفتها شرح ووصف **الحيز الزماني** الذي وصلت فيه الزائرة ...

النتائج

نستطيع انطلاقا من هذا الرصد المختصر لنماذج الصور في شعر ابن


★ رتشاردز ★


★ امرؤ القيس ★

الخطيب أن نخلص إلى النتائج التالية :

(١) إن صور ابن الخطيب باعتبار عناصرها لا تختلف عن صور غيره من شعراء العربية ، إما بسيطة أو مركبة : بسيطة تقوم على التشبيه المتكافيء الأطراف ومركبة تعتمد على الاستعارات وما يرتبط بها[٤٧] من تعقيدات نتيجة التداخل بين الحسي والمعنوي فيها . أما مصادرها فموزعة بين مذهب القدامى والمحدثين .

(٢) لقد تم حصر الصور في إبداع ابن الخطيب في ثلاثة أنواع :

- الصورة الجاهزة .
- الصورة التقليدية أو الصورة النموذج .
- الصورة الرؤيا أو الصورة الطريفة .

(٣) تدل هذه الأنواع من الصور على تعدد مستويات شعر ابن الخطيب ، كما تدل على أن صوره ليست متفردة في الجمال والإبداع كما أنها ليست مغرقة في التقليد والاتباع ، وإنما هي طريفة مبتدعة حينا ، وتقليدية جاهزة في أحيان أخرى ، كما يبدو فيها طغيان الحسية على التجريد ، مما يجعل الشاعر ينتمي فنياً إلى مرحلة قديمة ، قد تمتد زمنياً إلى ما وراء عصر الخلافة بالأندلس ، والجاهلي بالشرق .[٤٨]

(٤) لقد تم الاعتماد في عملية رصد الصور الشعرية في إبداع الشاعر على عنصرين اثنين : التصور الذهني والزخرف اللغوي ، أو ما تم التعبير عنهما بالشكل الشعري[٤٩] . ومن ثمة وقع استبعاد ما يمكن أن تعنيه هذه اللفظة في علوم أخرى كالفيزياء ، والرياضيات وعلم النفس وغيرها .[٥٠]

الحواشي

(١) الالتزام في الشعر العربي ص ٣٧٨ ـ د . أبو حاقة ـ ط ١ . دار العلم للملايين ـ ١٩٧٩ م .
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٣ .
(٣) الحيوان ١٣١/٣ . ط مصر ١٩٣٨ م ـ مصطفى البابي الحلبي
(٤) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ـ ألفت كمال الروبي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣ م . دار التنوير للطباعة والنشر ص ٨٣ .
(٥) مجلة كلمات . العدد الخامس والسادس ١٩٨٥ م ص ١٨١ .
(٦) الصورة الفنية . د . جابر عصفور . ص ٤٢٣ .
(٧) آداب العرب ٣١٠/٣ مصطفى صادق الرافعي . د . محمد سعيد العريان ـ القاهرة ط (٢) ١٩٤٠ م .
(٨) تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ص ٩٤٤ ط ١٣ نهضة مصر ـ القاهرة .
(٩) نفح الطيب للمقري ٨٢/١ و٣٠٣/٩ .
(١٠) نثر فرائد الجمان ص ٣٤٣ ونقل المقري هذا الرأي في الأزهار ١٩١/١ .
(١١) الشعرية العربية ـ أدونيس ط (١) يونيو ١٩٨٥ م ص ٦ .
(١٢) نفسه ص ٦ .
(١٣) الصيب والجهام والماضي والكهام قصيدة ٣٣٥ دراسة وتحقيق د . محمد الشريف قاهر ط (١) ـ ١٩٧٣ م ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ كما تم الاعتماد في نقل أشعار ابن الخطيب على شعر ابن الخطيب دراسة للأستاذ الدكتور محمد مفتاح . وهي رسالة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ـ المغرب ، تقدم بها صاحبها لنيل دبلوم الدراسات العليا .
(١٤) الصورة الفنية ـ جابر عصفور ـ ص ٣٧٦ .
(١٥) نظرية المعنى في النقد العربي ص ١٦ . د . مصطفى ناصف ، الطبعة الثانية ١٩٨١ م ـ دار الأندلس .
(١٦) نفسه ص ١٥ .
(١٧) الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري ، قاسم الحسيني . رسالة مرقونة بكلية الآداب بفاس ، الفصل الخاص بالصورة .
(١٨) أقصد به الجيل الذي فتح عينيه فوجد النص القرآني الذي يمثل قطيعة مع الجاهلية على المستويين : المعرفي والشكل التعبيري . انظر الشعرية العربية ص ٣٥ .
(١٩) الشعرية العربية ص ٥٤ .
(٢٠) الشعر العربي بين الجمود والتطور . الكفراوي ص ٦٧ .
(٢١) وصف الصور بالبسيطة أو المركبة نعت وصفي وليس غير .
(٢٢) الديوان . قصيدة رقم ٣٤٩ .
(٢٣) مبادىء النقد الأدبي ـ رتشارد ـ ص ٣٠٨ .
(٢٤) الصورة الفنية ص ٣٦٧ .
(٢٥) فن الشعر ـ ابن سينا ـ ١٧٠ .
(٢٦) الكتابة والتناسخ ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية د . عبد الفتاح كليطو ـ ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ـ الطبعة الأولى ، دار التنوير للطباعة والنشر ١٩٨٥ م ص ٣٨ .
(٢٧) العمدة لابن رشيق . دار الجليل ط (٤) ـ ١٩٧٢ م ـ ١٣٥/٢ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق مصطفى السقا ط ٢ القاهرة ص ٩٦ .
(٢٨) الديوان ـ قصيدة رقم ١٧٣ .
(٢٩) نفسه : قصيدة رقم ١٧١ .
(٣٠) نفسه : قصيدة ١٧٢ .
(٣١) نفسه : قصيدة رقم ١٦١ .
(٣٢) نفسه : قصيدة رقم ٣١١ .
(٣٣) نفسه : قصيدة رقم ٢٤٢ .
(٣٤) الشعرية العربية ص ٧ .
(٣٥) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ص ٢٣٠ .
(٣٦) انظر الصورة الجاهزة أعلاه .
(٣٧) الديوان : قصيدة رقم ١٧٣ .
(٣٨) شأنه في ذلك شأن جل الشعراء الذين جاءوا بعد ثورة أبي نواس أو واكبوها .
(٣٩) نفسه : قصيدة رقم ٢٤٤ ـ وهناك صور طللية غيرها فمثلا في القصيدة رقم ١٧٢ و٣٢٦ ... إلخ .
(٤٠) الكتابة والتناسخ ص ٢٨ . ـ العمدة لابن رشيق ١٧٣/٢ .
(٤١) تاريخ الشعر العربي ، نجيب محمد البهبيتي ـ مكتبة الخانجي ١٩٦٧ م . وانظر كذلك : براعة الاستهلاك في فواتح القصائد والصور ، للدكتور محمد بدري عبد الجليل ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م ـ المكتب الإسلامي ، بيروت . إذ يرى أن جميع المقدمات الطللية والفركية ذات دلالات رمزية .
(٤٢) الشعر العربي بين المجود والتطور ـ عبد العزيز الكفراوي ص ١٩٣ دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة . ط ٢ .
(٤٣) الديوان : قصيدة رقم ٣٤٦ .
(٤٤) نفسه : قصيدة رقم ١٦٢ .
(٤٥) نفسه : قصيدة رقم ١٦ .
(٤٦) مبادىء النقد الأدبي ٣٠٩ .
(٤٧) الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري ـ قاسم الحسيني ـ الفصل الخاص بالصورة .
(٤٨) نفسه . الفصل الخاص بالصورة .
(٤٩) انظر مقدمة هذا البحث المتعلقة بمفهوم الصورة .
(٥٠) دليل الدراسات الإسلامية ص ٧٠ ، جوزيف ميشال شديم ط : ١٩٤٨ م ـ بيروت ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .



بدايات

السلَّم الكهربائي

● يقدم السلم الكهربائي **Escalator خدمة عالية الكفاءة لنقل مجموعات كبيرة من الناس من مستوى إلى آخر أعلى منه أو العكس . ويتكون السلم الكهربائي ، في أبسط أشكاله ، من مجموعة من الدرجات المتصلة من طرفيها بسلسلة تتحرك إلى أعلى وإلى أسفل داخل إطار جمالون Truss المصنوع من الفولاذ .**

● **يعد كلاً من جيس رينو** Jess Reno **وشارل سيبرجر** Charles Seeberger رائداً لصناعة السلم الكهربائي . ففيما بين العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد ظهرت تصميمات هذين الفرنسيين وقد نفذت في سلالم كهربائية عديدة في كل من **باريس ونيويورك** .

● **أول تنفيذ للسلم الكهربائي الحديث كان في عام ١٩٢١ م** ، على أساس تصميمات رينو وسيبرجر .. وفي الوقت الحاضر انتشر استعمال تلك السلالم في محطات السكك الحديدية ، والمطارات ، والمحلات التجارية الكبيرة في أغلب دول العالم .

● يتم تصنيع هذه السلالم في المصانع كقطع صغيرة ثم يجري نقلها إلى المواقع المحددة لها حيث يتم تركيبها .

● كان معدل ميل درجات السلم الكهربائي ، في سنواته الأولى لا يزيد عن ٢٥ درجة .

● أول مرة يستخدم فيها لفظ Escalator كانت في معرض باريس الذي أقيم في عام ١٩٠٠ م .

● أصبحت الكلمة بعد ذلك علامة تجارية لمنتجات **شركة أوتيس للمصاعد** ، حتى عام ١٩٤٩م عندما أصبحت Escalator كلمة شائعة .

● أصبحت درجة الميل في السلالم الكهربائية الحديثة ٣٠ درجة . وتستطيع الارتفاع إلى ١٨ متراً .

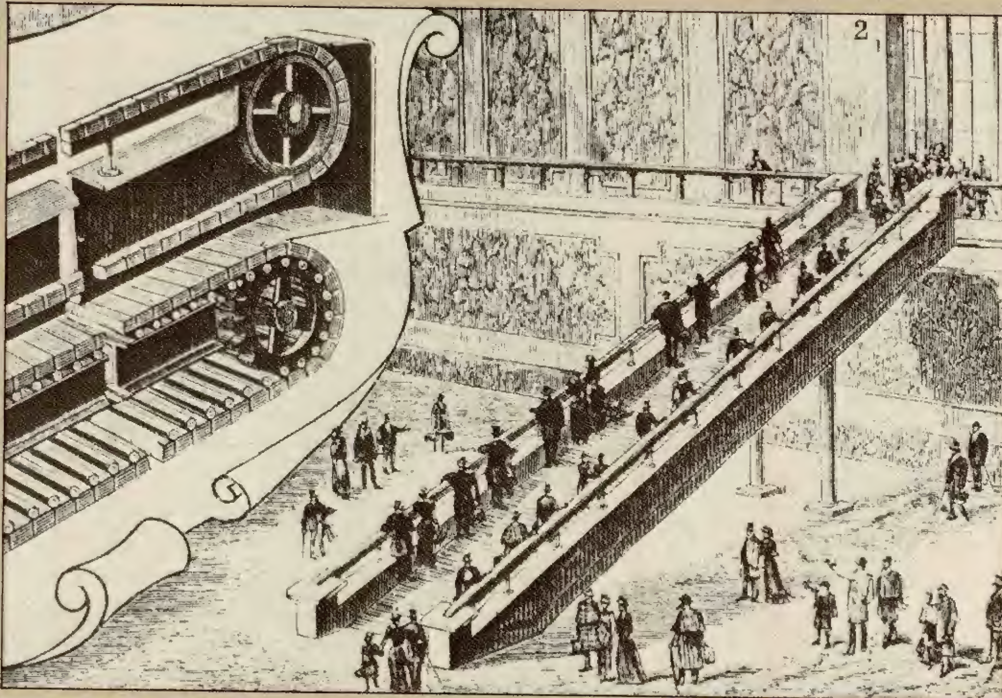
● تستطيع السلالم الكهربائية الحديثة الارتفاع إلى ٣٦ متراً في الدقيقة الواحدة ، وتستطيع الأنواع الكبيرة منها نقل ستة آلاف شخص في الساعة .

● السلالم الكهربائية مزودة بصمام أمان لإيقافها إذا حدث بها عطب كأن تنكسر السلسلة التي تربط الدرجات إحداها إلى الأخرى ، أو عندما تنزلق أو تتحرر إحدى الدرجات من مسارها .

● يدخل في إطار السلالم الكهربائية ، أحزمة المشاة التي تنقل المشاة أو البضائع — على مسار أفقي — من مكان إلى آخر ، كما تستطيع تلك الأحزمة التحرك على زوايا تتراوح بين صفر إلى ١٥ درجة ثم تعود إلى التحرك أفقياً .

● إذا دعت الحاجة إلى استخدام أحزمة المشاة على زوايا — ارتفاعاً وهبوطاً — فمن الأفضل استخدام السلالم الكهربائية في تلك الارتفاعات المنخفضة .

● السلم الكهربائي ، وكذلك أحزمة المشاة ، تعمل بالكهرباء .







★ حسين عبدالله باسلامة ★

• الكتاب : خلافة أبي بكر الصديق .
• المؤلف : حسين عبد الله باسلامة .
• الناشر : تهامة ـ جدة ـ ط (١) ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (٢٥٧ ص) .

يروي ابن المؤلف الدكتور عبد الله حسين باسلامة المكي ، في مقدمة الكتاب ، شيئاً عن اهتمامات والده التاريخية ، ومؤلفاته ، ومخطوطاته عن الخلفاء الراشدين، وضياعها، ثم العثور على مخطوطة أبي بكر. كما يروي المؤلف نفسه، وفي مقدمته أيضاً ، أسباب انشغاله بالتاريخ الإسلامي، حينما رأى أنه كاد يضمحل في المختصرات التي أصدرها المتأخرون من المؤرخين، فخشي إن تمادى الحال على ذلك أن يضيع التاريخ الإسلامي ، ويضمحل في تلك المختصرات ، كما ضاع واضمحل غيره من العلوم الإسلامية . ولذلك ـ فيما يبدو ـ فإن المؤلف حريص على أن يؤرخ للخلفاء الراشدين بكل إفاضة وتفصيل ، كما صنع في كتابه عن حياة محمد ﷺ ، الذي طبعه في جدة عام ١٣٥٣هـ . ولكنه توفي قبل أن يحقق حلمه ، وتطبع بقية مخطوطاته .

ولقد اطلع المؤلف على أغلب كتب التاريخ الإسلامي ، وعرف كل مصادر التاريخ ، وليبدو ذلك في أول موضوع يطالعنا في الكتاب وهو : [منشأ التاريخ في العالم] ؛ إذ أطلعنا على مسيرة كتابة التاريخ ـ بعشرين صفحة ـ منذ بداية كتابته على الصخور والأحجار التي توضع على المقابر حتى تأليف الموسوعات التاريخية ؛ واعتناء الأمة الإسلامية بتدوين التاريخ الإسلامي .. وقبيل أن يدخل بنا المؤلف عالم أبي بكر ، يعرج قليلاً على مفهوم أو أساس الخلافة في الإسلام .. ثم بعد ذلك تتضح معالم شخصية المؤلف وهو يؤرخ سيرة أبي بكر ، يقودنا إلى كل مواقف هذا الخليفة الفذ ، وليست سيرته تقوم على فن السيرة ذات الحوادث المتتالية المتطورة في شخصية أبي بكر ، وإنما كان المؤلف يلجأ إلى تقسيم سيرته إلى عناوين تاريخية قد تبعد بنا عن مجرى حياة أبي بكر .. وتكون قائمة على تتابع الأخبار حيال موضوعه الرئيسي وبعد أن يوردها كاملة ، أو مختصرة ، يرجح بعضها على الآخر ، أو قد يكتفي بذكر قسم من تلك الأخبار حول الموضوع الواحد فإذا كان مثلاً أمام موضوع : [البيعة بالخلافة لأبي بكر الصديق] فإنه يقول : « وللعلماء في ذلك أقوال كثيرة ، وآراء متباينة ، لا يسعني سردها هنا مع بيان الخلاف وتحقيق الأصح منها ، إذ في ذلك من المشقة والإطالة ما لا يسعه أكبر من هذا الكتاب وقد تتبعت كل ذلك ، ورأيت أن أحسن ما يستند عليه في ذلك هو الصحيحان وشرحاهما وتاريخ ابن جرير الطبري وابن كثير وابن الأثير وابن خلدون ... » وإن المؤلف ليعتمد على أكثر هؤلاء المؤرخين في تأريخ حياة أبي بكر ، ومواقفه والأحداث التي عاشها ؛ وقد يذكر لنا ـ من خلال عرضه للروايات المتعددة ـ شيئاً من مجهوده في التحقيق والتدقيق والتمحيص كي يصل بنا إلى الأوجه الصحيحة من رواياته .. فيقول مثلاً ـ بعد أن يعدد لنا أكثر الروايات التي قيلت في بيعة علي بن أبي طالب لأبي بكر ـ : « إن كثيراً من أهل الأهواء قد أدخل في بعض التاريخ الإسلامي من صنوف الشقاق وخلقوا من المشاكل مالم يكن له صحة ولا أثر ، وقد بذلت ما في وسعي في تتبع الصحيح من الخبر حتى وصلت إلى ما دونته هنا ، ولعلي أكون قد أصبت الحقيقة وبالله التوفيق ..

ومن مطالعة ما تقدم يظهر للقارئ ما جرى بين أبي بكر الصديق وبين الأنصار في سقيفة بني ساعدة...».

وكثيراً ما يسجل لنا المؤلف رؤاه أو انطباعاته إزاء أخبار أبي بكر وأحداثه المعاصرة .. فقد يفتتح بها موضوعه ثم تليها الأخبار والروايات ، أو قد يفتتح موضوعه بالأخبار والروايات ثم يتلوها بانطباعاته . فمثلاً في [أخبار الردة] نراه يستهل كلامه عن تلك الأخبار بوجهة نظره التالية : « كان أمر الردة من أشد ما فوجئ به الإسلام بعد وفاة النبي من الخطر على كيان الإسلام ، والجامعة الإسلامية ، بل والأمة العربية ، والمسلمين قاطبة ، وكان موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في وجه تيار الردة من أدهش المواقف التي لم يحدث التاريخ عن مثله » ، ثم تتوارد الأخبار . ففي حين نرى مثلاً في ذكر [خبر مسيلمة والقضاء عليه] يفيض في رواياته وأخباره حوالي عشر صفحات ، ليقول أخيراً : « هذا خلاصة ما رواه ابن جرير الطبري، وعنه أخذ المؤرخون » ويعددهم ، ليبدي لنا انطباعه بتلك الصورة التالية : « وحاصل ذلك أن يوم اليمامة كان يوماً عظيماً أزهقت فيه الأرواح ، وسفكت الدماء بغزارة ، وأبيدت النفوس بشراهة ، وأسرف في القتل إسرافاً . فمن تصفح التاريخ ، ودرس أيام العرب ، في جاهليتها وإسلامها ، يعلم أنه لم يسبق ذلك اليوم مثيل » .

وكثيراً ما كان المؤلف ـ في تحليله لمواقف أبي بكر المشرفة الرائعة ـ معلماً ، ومفيضاً بحكمه ، أو ما يجب أن يعلمنا إياه التاريخ .. أي كان يسقط تاريخ أبي بكر على غيره من الخلفاء والحكام على مر عصورنا العربية والإسلامية ، كان يتلمس بعض عيوب الخلفاء وما جرته على شعوبها وسياستها ، من خلال تجسيده صورة الخليفة أبي بكر المتألقة الفذة . فنراه يقول في آخر رواياته عن [مرتب أبي بكر الصديق السنوي] : « نعم إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يتربع على دست الخلافة لأجل أن يستغل بيت مال المسلمين لنفسه ولأقربائه وذويه ، كما وقع ذلك في العصور التي جاءت بعده مثل العصر الأموي والعباسي ، وما بعدهما من العصور ، وبسبب ذلك وقعت الفتن ، وخرجت الخوارج ، وساد





★ د. عمر الطيب الساسي ★

التحاسد ، واستفحل الشر ، وكثرت البغضاء ، واتسع الشقاق ، وإنما تنصب أبو بكر للخلافة لأجل أن يؤسس مركز الخلافة ، ويرسم شكلها لمن يأتي بعده ، ويعلمهم أنه لا يحق للخليفة أن يأخذ من بيت المال إلا ما تمس إليه حاجته الضرورية » .

وإذا كان تاريخ أبي بكر ـ كما سجله لنا باسلامة ـ حافلاً بالأحداث الخالدة ، والمواقف المشرفة ، فإنه في الآن ذاته ، حافل بالنصوص الشعرية التي تؤكد على دور الشعر في تجسيد الملاحم التاريخية .

من المكتبة السعودية

- الكتاب : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي .
- المؤلف : الدكتور عمر الطيب الساسي .
- الناشر : تهامة ـ جدة . ط (١) ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م (٢٩٥ ص) .

إن قارىء (الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي) يجد معلومات لا تحصى ومادة موجزة سواء في الآراء عنهم ، أو من نصوصهم المختارة .

وقد قدّم الدكتور الساسي أدباء المملكة العربية السعودية من خلال رؤية خاصة ، وتقسيم ـ وإن كان لا يتفق ومنهج تاريخ الأدب أو معجم الأدباء ـ تستقطب ظواهر وطنية وسياسية وفكرية . لذلك فقد أدرج أدباءه عبر محطات بارزة ، وإن كان بإمكانه دمج بعضها في بعض وهي :

• الإرهاصات الأولى في عهد الدولة السعودية الثانية ، أيام الإمام فيصل بن تركي ، لأنه في عهد الدولة السعودية الأولى لم تكن الأوضاع تسمح بظهور نشاط أدبي فعال . ومثل لهذه الارهاصات بثلاثة شعراء هم : ابن مشرف (؟ ـ ١٢٨٥ هـ) و(إبراهيم الأسكوبي ١٢٦٩ ـ ١٣٢٢ هـ) و(حسن بن خالد الحازمي ١١٨٨ ـ ١٢٣٤ هـ) .

• أما المحطة الثانية فكانت مع المخضرمين وفي فترة وحدة المملكة العربية السعودية ، ومثّل لهم بخمسة شعراء هم : (محمد بن عبد الله بن بليهد : ؟ ـ ١٣٧٧ هـ ، ومحمد بن عبد الله بن عثيمين : ١٢٧٠ ـ ١٣٦٣ هـ ، وأحمد بن إبراهيم الغزاوي : ١٣١٨ ـ ١٤٠١ هـ ، وعلي بن محمد السنوسي : ١٣١٥ ـ ١٣٦٣ هـ ، وخالد بن محمد الفرج : ١٣١٦ ـ ١٣٧٤ هـ) .

• وكانت المحطة الثالثة مع عصر النهضة ، وقد تكلم عنها كثيراً ـ ووقف عند سؤال (كيف كانت البداية ؟) طرحه عبد القدوس الأنصاري في عدد متأخر من المنهل عام ١٤٠٥ هـ ، فيه توضيح لنشأة الأدب السعودي بكل حقائقه ومعلوماته التي مازالت ترن في الآذان ، وقد نقلها نقلاً كاملاً « للأهمية التاريخية والموضوعية لذلك الحديث الوثائقي » حسب قوله في عشر صفحات بدون أن ينتهي لمفهوم مركز عن عصر النهضة كمرحلة جديدة تمخض عنها كوكبة شعرية جديدة . ويضعنا المؤلف بعد ذلك ـ فجأة ـ عند جريدة (القبلة) ودورها في تلك النهضة ، وعند أول وآخر رئيس تحرير سعودي لها ، هو : (الطيب الساسي) والد المؤلف ، المولود في المدينة المنورة : ١٣١٠ ـ ١٣٧٨ هـ .

• أما المحطة الرابعة فكانت في بداية عهد التوحيد ، واستتباب الأمن والاطمئنان ، عهد الدولة التي أسسها بجهاده الملك عبد العزيز ، وحصرها المؤلف ما بين : ١٣٤٤ ـ ١٣٥١ هـ . وبرز فيها شعراء وكتاب من شبيبة هذه البلاد ، هم : (محمد سرور الصبان : ١٣١٦ ـ ١٣٩٢ هـ ، ومحمد عمر حرب : ١٣١٨ ــ ١٣٧٥ هـ ، ومحمد حسن عواد : ١٣٢٤ ـ ١٤٠٠ هـ) . ويبدو أن أهمية هؤلاء الرواد ترجع إلى ريادتهم في عملية الإصدارات الأولى للبلاد . فقد أصدر آنذاك الصبان كتابه [أدب الحجاز] يحمل آثار خمسة عشر أديباً شاباً ، والإصدارالثاني له هو كتاب [المعرض] ويتضمن مجموعة أجوبة الأدباء عن سؤال في أساليب اللغة العربية الفصحى . وأبرزها إجابة العواد التي تمخض عنها كتابه [خواطر مصرحة] الذي أصدره أيضاً في تلك الفترة . ثم أضاف لهم شاعراً آخر هو : (عبد الوهاب آشي : ١٣٢٣ ـ ١٤٠٥ هـ)

• ثم وقف بنا عند المحطة الخامسة التي أطلق عليها : عهد التوحيد الشامل في المملكة العربية السعودية ، بدءاً من (١٧ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م) تاريخ إعلان اسم المملكة . وأورد الدوريات التي صدرت آنذاك كالمنهل في المدينة المنورة (ذو الحجة ١٣٥٥ هـ) وجريدة المدينة المنورة (محرم ١٣٥٦ هـ) والبلاد السعودية (ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ) ، وأصبحت تحمل اسم (البلاد) بعد أن انتقلت من مكة إلى جدة . كما ذكر ـ الإصدارات الأولى من الكتب :

الأول : [وحي الصحراء] جمعه : (محمد سعيد عبد المقصود ، وعبد الله بلخير) في عام ١٣٥٥ هـ ، والثاني : [نفثات من أقلام الشباب الحجازي] وجمعه : (هاشم يوسف الزواوي ، وعلي حسن فدعق ، وعبد السلام طاهر الساسي) . والأدباء الذين وقف عندهم في هذه المرحلة هم : ثلاثة وأربعون أديباً . ثم يقف عند قسم ثان ـ يبدأ تاريخ ميلادهم من أوائل الأربعينات من القرن الرابع عشر الهجري ،





★ حسن النعمي ★

وبلغوا ستة وعشرين أديباً ، ثم جيل آخر من مواليد الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري كنهاية لكتابه وهم خمسة أدباء .

وقبيل النهاية يورد من جيل الخمسين أديبات ، رغم أنه كان يجد استحالة الحصول على ترجمة وافية دقيقة لإحداهن . منهن : (ثريا قابل ، خيرية السقاف ، جهير المساعيد ، الدكتورة فاتنة شاكر ، الدكتورة مريم البغدادي ، الدكتورة أمل محمد شطا) . كما يذكر في الأسطر الأخيرة لكتابه أربعة أسماء من كتاب القصة ، ومن جيل ما بعد الخمسينات ، ولا يكتب عنهم أو عن غيرهم شيئاً .

إن المعلومات التي قدمها الدكتور الساسي في كتابه متفاوتة في كميتها ، فقد أسهب عن بعضهم ، وأوجز عن البعض الآخر ، كما أطال في نصوص استشهاداته للبعض واختصر للآخر ..

ولكن لم يغفل التعريف بأدبائه ، فقد منح القارىء فكرة لكل أديب كمكان وتاريخ الولادة ، ومراحل التعليم ، والثقافة التي حصل عليها ، وآثاره ، ونصوص منها والوظائف التي شغلها ، وآراء في ما قيل عنه ، ثم حكم مستقل عن المؤلف .

وإذا كان المثقف والمطلع على الأدب السعودي لا يجد جديداً في ترجمة وأدب أولئك الأعلام السعوديين ، فإن المثقف العربي سوف يجد أشياء لا يعرفها عن الأدب والأدباء السعوديين .

وأخيراً . كنا نتمنى من الدكتور الساسي لو بذل وأضاف مجهوداً آخر لمجهوده وتقصّي بعض الحقائق الأخرى لمادته وألحقها بها ، لجاء عمله مفيداً أكثر .

لذلك لنا أربع ملاحظات ، وسندرج لكل واحدة شاهداً ، على سبيل المثال لا الحصر :

★ الأولى : تناسي المؤلف بعض الشعراء والكتاب السعوديين الذين لهم وزنهم في عالم الإبداع والعطاء مثل الشاعر (أسامة عبد الرحمن) الذي له ثلاثة دواوين شعرية رائعة ، لا ديوانين .

★ الثانية : اكتفى المؤلف بالإشارة إلى أعمال عدد من الأدباء بدون تسميتها ، أو تسمية دار نشرها ، وإن سمّى الدار جانبه الصواب . مثل ديوان الشاعر عبد الله بن إدريس هو (زورقي) ، ولم يقم النادي الأدبي بطباعته ، وإنما طبعه الشاعر على نفقته الخاصة . كما ذكر الشاعر نفسه .

★ الثالثة : لم يلتزم المؤلف بدقة التعبير في إطلاق الأحكام ، فكان يطلق جملاً إنشائية عامة متشابهة وكيفما اتفق .. كقوله مثلاً عن كل شاعر من شعراء الإرهاصات الثلاثة - ابن مشرف ، الأسكوبي ، الحازمي - الجمل الثلاث التالية وحسب تسلسلهم : « ومضة مشرقة مضيئة ، ومضة مضيئة ، من الومضات الأدبية المشرقة » .

★ الرابعة : لم يشر المؤلف في مراجعه أو في متونه أو هوامشه إلى كتب كثيرة أخرى في الأدب السعودي . كان يمكن له أن يستفيد منها (معلومات وأحطاماً) وبخاصة الكتب التي ركزت على الأدباء الذين أرَّخ لهم .

• الكتاب : آخر ماجاء في التأويل القروي (مجموعة قصصية)
• المؤلف : حسن النعمي
• الناشر : نادي أبها الأدبي
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

للكاتب القصاص حسن النعمي طموح لاحدود له ، ووراء هذا الطموح موهبة حادت عن الجادّة بسبب ما ؛ فتردّى هذا الطموح في سلسلة من الإحالات جعلت قصصه التي يكتبها ملحمة قهر شاعري عجيب .

لقد كانت معقدةً تجربتي مع مجموعته القصصية الأولى « زمن العشق الصاخب » ولم أستطع أن أقول فيها أو عنها ما قاله السريحي والشنطي لسبب قويّ ، هو أنني عجزت عن فهم ما فهماه منها . ومن ناحية أخرى لست مدرّباً على أن أفرقع في الهواء العبارات المتألقة ؛ فأتحدث عن استلال الحقيقة من حنجرة الفن السابح في سديم الأوجاع ، أو عن تشريح الوجوه - في الأقبية المخملية - وهي تزحف نحو عالم المرأة الإرتوازي ، أو عن دم القضية المتدفق من نخاع الزمن ، أو - في القليل الأقل - عن الميلاد المعجزة للقصة القصيرة في المملكة !

وفي هذه المجموعة « آخر ما جاء في التأويل القروي » - وهي ثماني قصص وقد نعتبرها سبعاً - أحسست أن تجربتي الأولى تزداد تعقيداً . بل لقد دهشت ثم فجعت ، ورحت أسأل نفسي : هل من الضروري باسم التجديد أو باسم « العَصْرنة » أن نغلو في الرمز ونهوّم باللغة ونكثي ونقسم القصة القصيرة أقساماً نضع لها عناوين جانبية توضيحية ، بل كذلك ندمر التتابع الإيقاعي الذي تنتظم به





الأحداث وتبرز العواطف وفق قواعد سيكولوجية منضبطة ؟

ما الذي يحدث بأكتاب القصة القصيرة في المملكة ؟

بل ماذا يريد هذا الجيل الثالث من كتاب هذا الفنّ بعد ما قدّمه أقران إبراهيم الناصر إلى ما قبل السبعينات للميلاد ، وأقـران حسين علي حسين الذين سماهم منصور الحازمي بالغرباء (فن القصة في الأدب السعـودي الحديث ص ١٢٥) .

حقيقة كان ثمة غموض في بعض الأعمال التي سبـق ظهورَها إبداعاتِ النعمي ، غير أن هذا الغموض كان في معظمه شفافاً دالاً ، وما انحرف منه إلى التعمية ندّدت به حتى وإن وفّر النواحي الجمالية المطلوبة في أي أسلوب قصصي . وها نحن أولاء في مواجهة ضرب من الغموض - عند النعمي - لم يستطع أن يبرز ما أراده من صنعتـه البيانيـة المثقلـة بالتكلف ، وإلا فما معنى أن يقول قاصّ يفترض أن يكون واقعيـاً مصقولـة مادتـه الإنسانية :

« انطلقت تعدو قطعةً غيمية ناريَّة المزاج .. تتعامل مع الأشياء بقسوة.. سوطها الحديدي يزأر .. يكسر .. يدمّر قانون القرية .. آخر الحوادث فداحة عندما أوقدت أول الفتيل ، ثم امتطت غرامها المسحور نحو الندوب المستحيلة .. وخلفها تضاريس الولادة .. تحـتضن احتمـالات النهايـة ، وفـوق المسافات تمتد الشظايا ، ومئذنة القرية تشكو اندثار الليل قبل أوانه .. وصوت كالمدية يدخل خاصرة الليل : النار .. النار » ص ص ٣٧ ، ٣٨ .

وهذا دون تلك العبـارات الشاذة التي نختار منها « لابُدَّ أن أضرب إليته المتهدّلة بسخاء » ص ١٨ « أم عشق يتوضأ بدمك المتدفق » ص ٢٢ « تبصق العالـم بعينـيك » ص ٢٣ « بصقتها في وجهي النحيل » ص ٢٥ « لكني تقيأت خلاصة التجربة » ص ٢٦ « تبـوّل الصديد في أفواهها » ص ٣٨ « كلّ الأنوف أقعت في دُبُر الرائحة » ص ٤٧ وكلها حصاد فلسفة النعمي اللغوية .

فهل ذلك يعني أنَّ قصة الجيل الثالث لن تكون أكثر من هذا العطاء البياني الذي لا يسعف في تشكيل الدلالات المطلوبة ، وأنَّ دودة العفن والقبح المتقيّح ، والمتقيىء في عيون القراء ستكون بديلا عن النضارة التي تكتب فلسفتها الجمالية بطريقة طالما دفعتنا - نحن النقاد - إلى الفهم وتأمل مغزى الأحداث على مبدأ يحقق الجمع المتوازن بين البنيـة القصصيـة والدلالـة الاجتماعية ؟

حقيقة كان مِنَ القاصين مَنْ يعمد إلى حشد التفصيلات التي تبرز ذلك المغزى - بلا حاجة إلى تأمل - إلا أنهم نجحوا دائما في تقديم المواقف الفنية الدالّـة اجتماعياً ، حتى وإن اعتمـد بعضها أو معظمها على التداعي أو الـرؤى التـي ينسجهـا المونولوج الداخليّ .

وإذا كان ذلك كذلك فما عسى أن تكون قصة الجيل الثالث كما تمثلها مجموعة « آخر ما جاء في التأويل القروي »

بدايةً نفترض أن هذه القصة بديل قصة احتُضِرَتْ لتقليديتها - حتى عند الغرباء - فقد قُدِّر لهذه القصة التقليدية أن تتعرّض لأزمة طاحنة كُتب لهـا ألا تجتازها إطلاقا ، وبالتالي كُتب أن يُقْضَى على النقد الذي يوحد بين الحقيقة والجمال في صياغة متوازنة !

هذه واحدة ، وأما الأخرى ففيما قدّمه النعمي هي التي رزحـت - نـتيجـة تشابـك الأيديولوجيات في عصر التقنية الخارقة - تحت نير علل العصر من فُصام وذُهـان وعُصاب وهُلاس وعقد أخرى لم تَدُرْ في خلد « فرويد » قط .

والثالثة أنها القصة التي تصاغ على النحو الذي تصاغ به القصيدة الغنائية الجوفاء .. فإذا الشكل مبـرقش فضفـاض ، والعبارة مهشمـة مفتعلـة ، والصورة محمومة مبتذلـة ، والفكرة خرقاء أو براء من ادعاءات صائغها المتعالية .

وأما الرابعة فهي التي تبدو كما لو كانت نتيجة عدم الثبات في المادة التي يغترف منها النعمي ، وقد تنبّه إلى هذه النظرية - من قبل - الغرباء في المملكة وحملة الوجودية في العالم كله ؛ فحطّموا تقاليـد الحبكـة واستبدلـوا تداعيـات الوعي بالسرد المعروف . وقد استغلّ النعمي هذه الرُّخصة ليجعل القصة الوليدة تتابعاً غير مقيّـد لانطباعـات الغربـة ، وتوجُّسات القلق ، وتساقطات الفكر المشروط بفلسفة غير مستساغة على الإطلاق .

ومـن الخصيصـة نفسهـا اختـزلت ملامـح الشخصيـة القصصية ، وصار تصويرهـا الانفعالي عائقا أمام بلورة الفعل القصصي ، حتـى وإن دعـم بإحدى الأساطير المعروفة أو بحكاية شعبية مألوفة . والنتيجة الطبيعية أن القاصّ ظلّ عند مستوى السطح حتى وهو يعرّي بطله ، وكعملية تغطية لهذا النقص غرق في إحالات بيانية منها امتطاؤه الخـروج إلـى اللامعلـوم ، وركوبـه صهـوة التوحد أو سقوطه في قاع عدميّ الرؤية ، وضياعه في زمن يعبر خاصرة الطوفان وفي قريـة يتوجع خصرها من الحصار (لعلها راقصة !)

ثـم دعونـا مـن الأخطـاء النحوية التي لا يمكن أن تكون ملمحاً من ملامح قصة الجيل الثـالث ، كـذلك دعونـا مــن السيرياليات التي قد تكون وليدة

الفلسفة اللغوية الجديدة ، ولنسأل المؤلف السؤال التالي : ماذا أردت أن تقول في قصصك الثماني أو السبع ؟

والإجابة عن السؤال تعني مناقشة المضمون الاجتماعي ، وفقدانه ـ فيما يجب أن نعرف ـ إنما يشكل خصيصة خامسة للقصة القصيرة التي تحاول أن تكون نموذج كل قصص الثمانينات في المملكة .. فما مضمون كل قصة من قصص المجموعة ؟

أم عسى المؤلف يفترض أن دوره هو أن يقول فقط ، وأما الهدف وأما الغاية وأما المسؤولية فليست في الحسبان على طول الزمان !

إنني ـ على كل حال ـ اترك الإجابة للقارىء بعد أن يراجع بدقة ملامح قصة الثمانينات في هذه المجموعة . غير أن الأمر الذي ألح عليه نقدياً ، هو محاولة البحث عن الجانب الآخر من صياغة كلّ قصة ، أي تحديد الدلالة الاجتماعية وقيمتها بما تشكله من علاقات إنسانية واضحة ومحددة .



• الكتاب : رسمت قلبي (ديوان شعر)
• المؤلف : عبد الواحد الخنيزي
• الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ط (١) ١٩٧٣م (١٤٤ صفحة)

من عمق آهاتي
وأنات الجراح الداميه
ومدامع الثكلى وصيـ
ـحات اليتامى الباكيه
ومن الخريف تعيث في
زرعي مُداه القاسيه
ومن الربيع الخصب يز
رع سفحنا والرابيه

من كل هذه العناصر ، ومعها الحب والألم وجمال الطبيعة ، يستمد « عبد الواحد الخنيزي » مقومات شعره ، الذي يصفه بأنه « شبّابة الراعي ولحن البادية » .. وتظل العلاقة الخاصة بين الحب والشعر ، أبرز العناصر الحياتية تأثيراً في الشاعر .. ولا يشذ الخنيزي عن هذه القاعدة الأولية .. إنه يقرأ شعره في معالم وجه الحبيبة الملهمة :

أعطيتُها تقرأ ديواني
فانساب لحظاها يجولان
من صفحة تسعى إلى صفحة
مثل الفراشات ببستان
تعكس ما فيه انفعالاتها
كأنها مرآة ديواني

لكنه حب مضطهَد :

في مقلتيكِ تطلُّعٌ
هيمان مكبوت النداء

فلا عجب ـ إذن ـ في أن يبحث العشق عن منافذ يخرج خلالها إلى النور .. إنها نوافذ البوح ، مما يضطر شاعرنا إلى تلخيص المرأة في فمها معبّراً عن الحب بالحب أيضاً :

قالوا نحب نوالأ
فقلت أعشق فاها

ص ٩

وليس في ذلك من مبالغة في ظل العاطفة المذعورة المترددة (كما في قصيدته : قالت) :

دنا مني وفي فمه
تلفُّتُ قُبْلةٍ نشوى

وكقوله :

كنت اليقين يشع في
نفسي فغادرني يقيني

وللطبيعة مكانة بارزة في قلب عبد الواحد الخنيزي الذي رسمه قصائد وأشعاراً .. والطبيعة توأم الغزل ـ كما يقال ـ .. هاهو شاعرنا يعرّج على بهاء لبنان وطبيعته الفاتنة (كان هذا عام ١٣٨١هـ/١٩٦١ م) :

لبنان يقظة أحلامٍ مجنحة
وغفوة الحب في أجفان مسحور
ربيعه المبدع الفنان أغنية
طافت على فم شلاّلٍ وعصفور

ونلمح تناقض الفنان في تنقل الشاعر من كهوف التشاؤم (ص ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣) إلى آفاق الدعوة للابتهاج بالحياة والابتسام لها (ص ٩٩) .

كما أن ثمة اضطراباً في تصويره نفسه على أنه « شيءٌ » ، لأنه ليس نبعاً يسقي الحياة ولا ربيعاً تعشب الوديان من نداه ، مع أنه إحساس مرهف !! :

أنا شيءٌ لأنني أنا إحسـ
ـاسٌ رهيف وشاعر فنان

وفي موضع آخر يبلغ الخنيزي مرحلة الاعتداد بالذات (ص ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦) .

وينبغي أن نشير إلى أن الغزل المبثوث في ديوان « رسمت قلبي » ، لم يخْلُ دون

عناية الشاعر بالجانب الاجتماعي .. فهنالك مأساة الفتاة التي يحاول ذووها إرغامها على الاقتران بمن تمقت (قصيدة : المتمردة) .. وهي قصيدة طويلة (٦٥ بيتاً) في ديوان ليس فيه من القصائد الطوال سوى عدد ضئيل .

فنياً يمكن رصد النَّفَس القصير في البحور التي اختارها الشاعر ـ بوجه عام ـ ، كما نلاحظ انتقال الشاعر من قافية إلى أخرى في القصيدة الواحدة (كقصائده : حياة راقصة ـ قالت ـ نوال ـ المتمردة ـ مشاعل على الطريق ..) .

ونسجل على الديوان احتشاد الأخطاء اللغوية والإملائية فيه ، كالغلط المنتشر في أرجاء الديوان في كتابة الفعل الثلاثي الماضي المعتل الآخر (آخر مضارعه واوا) مثل (سلىٰ ، والصواب : سلا ـ جلىٰ ، والصواب : جلا ـ قسىٰ ، والصواب : قسا ...) .

ويبقى في ـ تقديرنا ـ أن ديوان « رسمت قلبي » خطوة متمكنة للخنيزي على طريق النضوج واستكمال الأدوات والشروط الفنية .. ويظل الديوان مطبوعاً بصدق عبد الواحد مع ذاته ..



لزومية جديدة

شعر: د. نور الدين صمود

حسبتُ أناساً أصدقاءَ على المدَى
بهمْ صِفَةُ الإخلاص في الناسِ تَشْرُفُ

وقلتُ : أراهمْ في الشدائد عُدّتي
وباسمهـمُ كل الـمصائبِ تُصَرفُ

يكونونَ لي المنديلَ في يوم شدتي
إذا ما رأوا دمعي من العين يُذْرَفُ

فلم أرَ منهمْ مَن يَهُبُّ لنجدتـي
ولكنهمْ في الهجرِ والغدرِ أسرفوا

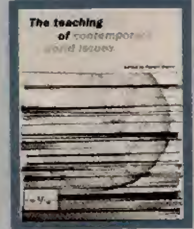
(وما ضرني إلا الذين عرفتهُـمْ
جَزَى اللهُ خيراً كلَّ مَن لستُ أعرفُ[1])!

(١) البيت الأخير للمعري صاحب لزوم ما لا يلزم وقد التزم الشاعر هنا الراء قبل فاء الروي في جميع الأبيات .



تعليم القضايا العالمية المعاصرة

رحلة في كتاب



تأليف :
مجموعة من
الخبراء العالميين
أعده للنشر :
روبرت هاريس
عرض وتحليل :
ياسر الفهد







على الرغم من أن كتاب (تعليم القضايا العالمية المعاصرة) Teaching Contemporary World Issues الذي صدر باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٦م في المملكة المتحدة عن اليونسكو ، يحمل عنواناً تربوياً ، إلا أن مضمونه يغطي جوانب أخرى ، اقتصادية واجتماعية وقانونية ، بالإضافة إلى الجانب التربوي . وهو يتناول العلاقة بين التربية وبين المشكلات العالمية الحساسة كالتنمية والسلام ونزع السلاح والحريات الأساسية وحقوق الإنسان .

وأهم مغزى له أنه يرشح التربية للقيام بدور مهم جداً في حل قضايا البشرية التي تزداد اتساعاً وخطورة . فعلى الرغم من أن وسائل الاتصال الحديثة قد جعلت عالمنا يبدو صغيراً ، لسهولة الاتصال والتنقل بين أجزائه المختلفة ، فإن مشكلاته السياسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية أصبحت أكثر تعقيداً . صحيح إن هذه المشكلات كانت قائمة في الماضي ، إلا أن ما تغير اليوم هو اكتسابها طبيعة عالمية ، فجميع دول الأرض مهددة الآن بالفناء الذري ، كما أن التنمية في أية دولة تتأثر بالعمليات الاقتصادية العالمية ونشاطات المنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات .

ويواجه الناس في الدول المتطورة والدول النامية ، على السواء ، معضلات مشتركة كالبطالة وغلاء الأسعار والتلوث والأمراض المستعصية .

وفي ضوء الواقع الجديد المتمثل بترابط المشكلات وشمولها مختلف أنحاء العالم ، يشعر مؤلفو الكتاب أن التعليم ، بوضعه الحالي ، لم يعد كافياً ، وأن الطلاب في جميع أنحاء العالم باتوا يحتاجون إلى إعداد خاص ، حتى يتمكنوا من مواجهة الحياة القادمة المضطربة . وفي الوقت الحاضر لا يستطيع المعلمون القيام بهذا الدور لأنهم ، هم أنفسهم ، لم يتلقوا تدريباً خاصاً في موضوع المشكلات العالمية الراهنة ، وكثير منهم ، ولاسيما في الدول النامية ، يعانون من الضيق المادي وضنك العيش ، كما أنهم يلقون دروسهم في صفوف محتشدة ، مما يجعل من الصعب عليهم تعليم المشكلات العالمية مالم يُخصص وقت كاف ضمن المناهج نفسها لتدريسها ، وإذا لم تُفتح الفرص أمامهم للانضمام إلى

تعليم القضايا العالمية المعاصرة

دورات قبل وفي أثناء الخدمة ، تكون خاصة بالمشكلات العالمية ، ناهيك عن ضرورة تحسين أوضاعهم المعاشية والمعنوية .

ولنستعرض الآن أهم المشكلات المعاصرة ، وعلاقتها بالتربية ، كما يراها ، الكتاب الذي نحن بصدده :

التنميــة

إن مفهوم التنمية في الكتاب واسع جداً ويتجاوز معناه الاقتصادي التقليدي ، فهو يتضمن الغذاء والطاقة والصحة وظروف المعيشة والتوظيف والتعليم ، ويطالب المؤلفون ، ولاسيما أدونجو بتوسيعه حتى يشمل الجوانب البيئية والثقافية والأدبية ، داعين إلى إدخال رعاية الموهوبين وتشجيع المبدعين ضمن هذا المفهوم . ويبين هؤلاء ، أنه على الرغم من أن لجميع المجتمعات احتياجاتها من التنمية ، فإن الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للدول النامية هي التي تحتل اليوم مركز الاهتمام العالمي . فمعظم **الدول الأفريقية والآسيوية والكاريبية** ، وإنْ نالت استقلالها السياسي بعد **الحرب العالمية الثانية** ، فإنها مازالت تعاني من التبعية الاقتصادية المستمرة للدول المتقدمة .

ويعيد الكتاب إلى الأذهان أن **الجمعية العمومية للأمم المتحدة** كانت قد أعلنت أن عقد الستينيات عقداً للتنمية وحددت له هدفاً يتجلى في تحقيق نسبة ٥٪ من النمو السنوي في الدول النامية ، وفي تخصيص ١٪ من الدخول القومية للدول الصناعية لصالح تمويل الدول النامية . ثم نودي بعقد السبعينيات ثانياً للتنمية وتضمن ذلك التزامات طوعية من الحكومات في مجالات الإنتاج والتجارة والمساعدة والتطوير الاجتماعي . ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ وماذا تحقّق من أهداف العقد الأول والعقد الثاني للتنمية ؟

يبدي المؤلفون خيبة أملهم ، لأن تداعي النظام العالمي ، وارتفاع أسعار النفط ، وبداية التضخم المالي في الدول الصناعية ثم في الدول النامية ، كل ذلك أدّى إلى نشوء مصاعب وتعذر تحقيق الأهداف ، فكان أن ارتفعت الأصوات تطالب بنظام اقتصادي جديد . ويلقي ادونجو أضواء هامة على أوضاع الدول النامية وعلاقتها بالدول الصناعية .

فهذه الدول تواجه اليوم مشكلات عديدة من بينها : نقص وسوء التغذية والتضخم والبطالة وتفشي الأمراض والنزوح من الريف إلى المدينة وغير ذلك .

وهذه المشكلات جسيمة ويحتاج حلها إلى بنية تحتية وإلى مؤسسات فعالة وأشخاص مدربين ، على المستوى المحلي . أما على المستوى العالمي ، فإن الدول النامية تحتاج إلى مساعدات للتنمية ، وإلى إصلاح النظام النقدي العالمي ، وتحديد أسعار جديدة للمواد الخام ، وإلى إلغاء الحماية التي تفرضها الدول الصناعية . **ويحلل المؤلفون مساوئ النظام الاقتصادي الدولي الحالي وأخطاره على الدول النامية ، فهذا النظام لا يؤدي إلى تخفيف الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة وإنما يزيدها اتساعاً** . والدليل العلمي الذي يسوقونه للبرهنة على ذلك ، أن المستوى المعيشي الوسطي للمواطن في الدول المتقدمة كان في الخمسينات يعادل عشرة أضعاف نظيره في الدول النامية . وفي نهاية السبعينات وصل ذلك إلى خمسة عشر ضعفاً . وتشير الإحصاءات الدقيقة إلى أن هذا الرقم قد أخذ يرتفع إلى أكثر من خمسة عشر ضعفاً ، منذ بداية الثمانينات . وأحد أسباب ذلك أن الدول النامية تصدر المواد الأولية وتستورد البضائع المصنوعة . وقد انخفضت أسعار المواد الأولية على مدى العقود السابقة انخفاضاً كبيراً بالنسبة لأسعار السلع المصنوعة ، مما جعل الميزان التجاري يميل لغير صالح الدول النامية .

ولم يغفل المؤلفون أيضاً عن خطورة الحماية التي تفرضها الدول الصناعية ، واضعة الحواجز التجارية في وجه المنتجات الصناعية والتجارية من الدول النامية ، وزاعمة أنها تفعل ذلك بهدف تخفيف حدة البطالة في أقطارها . ولكن ألا تعلم هذه الدول ـ كما يتساءل أدونجو ـ أنها بهذه الإجراءات التعسفية تسبب الشقاء للآخرين ؟ ألا تعلم أن الحواجز التجارية تؤدي إلى رفع الأسعار وإلى زيادة التضخم وإضافة أعباء جديدة تثقل كواهل المستهلكين في الدول النامية ؟

ويذكر أدونجو سبباً آخر لعجز الميزان التجاري في الدول النامية ، ويتجلى في الضغوط المالية والتجارية قصيرة المدى التي تفرضها الدول الصناعية بدوافع سياسية .

ومن المشكلات الأخرى الخطيرة التي تقض مضاجع الدول النامية الديون وعدم القدرة على سدادها . ومما يزيد الطين بلة ويؤدي إلى تراكم المزيد من الديون وإلى ارتفاع معدلات فوائد هذه الديون ، مما يجعل الدول النامية تحتاج إلى ديون جديدة من أجل دفع فوائد الديون القديمة !

هذه المسائل كلها ـ في نظر المؤلفين ـ تدخل في نطاق مفهوم التنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية . وتنطوي التنمية هنا على عملية مزدوجة ، فهي من جهة يجب أن تكون قادرة على العمل بشكل يؤدي إلى تلبية الحاجات الاجتماعية الأساسية للمواطنين ، كما أن تلبية هذه الحاجات يفترض أن يدعم قدرة الناس على الإسهام في تحسين التنمية من جهة ثانية . وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى العلاقة بين التربية والتنمية ، فالتعليم يؤدي دوراً مهماً ، ليس في تحسين عملية التنمية فحسب ، وإنما ، أيضا ، في تحديد أهدافها . وهو يرمي إلى تمكين كل شخص من تطوير كامل مقدراته بوصفه كائناً بشرياً وعضواً في المجتمع ، ومن ثم توظيف هذه المقدرات في عملية التنمية . والتعليم الفعال هو الذي يزود جميع الناس بالقدرة على القراءة والكتابة ، ويوفر لجميع الطلاب تعليماً أولياً وثانوياً ، ويحقق فرصاً متساوية في التعليم الفني والعالي . ولا شك أن التدريب يعد مكملاً للتعليم ، في تطوير المهارات اللازمة لمواجهة الحاجات المتعددة .

ويؤكد الكتاب تأكيداً خاصاً على دور التعليم في تطوير الاقتصاد ، وفي تحسين الإنتاجية الاقتصادية . ومن الأدلة التي يسوقها لإثبات هذا التأثير أن نتائج دراسات **البنك الدولي** ، قد برهنت بصورة قاطعة على أن **القضاء على الأمية بين المزارعين في كينيا** ، أدى إلى زيادة عظيمة في الإنتاجية الزراعية . ولا ينسى المؤلفون دور التعليم في تطوير الحياة الاجتماعية ، وفي تحقيق تماسك الأمة وحماية تراثها الثقافي . وهم يقترحون توسيع هذا الدور حتى يسهم التعليم في تزويد الشباب بالمعارف والمعلومات اللازمة حول قضايا التنمية ، محلياً وعالمياً .

الحريات الأساسية وحقوق الإنسان

والحقل الثاني الذي يهتم به الكتاب يتعلق بحقوق الإنسان ، فبعد أن انعتق عالمنا المعاصر من ربقة العصر الاستعماري ، وشهد مولد الدول المستقلة الجديدة ، أصبح هناك تأكيد دولي على أن لكل فرد في كل مجتمع وفي أي مكان في العالم حقاً شرعياً في صيانة كرامته وحريته وتلبية حاجاته الأساسية . وعلى المجتمع أن يصون هذا الحق ، كما أن على باقي الأفراد أن يحترموه . ويعود بنا المؤلفون عدة عقود إلى الوراء عندما تبنت **الأمم المتحدة** في عام ١٩٤٨م **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** . وفي ذلك الوقت لم يكن هناك سوى (٥٠) دولة منتسبة إلى المنظمة الدولية . وقد تم التأكيد مجدداً على الإعلان ، بعد أن **أصبحت الأمم المتحدة تضم (١٥٩) دولة** . وتكتسب عبارة « حقوق الإنسان » الآن مغزى عالمياً ، لأنها تعني الإنسان أينما كان ، بصرف النظر عن الجنس أو العرق أو المنزلة الاجتماعية أو أية صفة أخرى تميّز إنساناً عن الآخر .

وقد توسع مفهوم هذه الحقوق ليضم الحقوق الاقتصادية ، والحقوق الاجتماعية ، والحقوق التعليمية ، والحقوق الثقافية ، إلى جانب الحقوق السياسية ، والحقوق المدنية . وبتعبير آخر ، فبينما كانت حقوق الإنسان تعني بالدرجة الأولى حرياته الأساسية كالحرية الشخصية وحرية التعبير ، وحرية التصويت في الانتخابات وحرية المحاكمة النزيهة ، فإنها امتدت اليوم لتشمل مجالات أخرى كحقوق التعليم والسكن والمداواة ، واحترام الهوية الثقافية ، وغير ذلك .

ويأسف المؤلفون ، لأن حقوق الإنسان ليست مصانة في جميع المجتمعات . وهي تُنتهك في بعضها ، أكثر من انتهاكها في بعضها الآخر . كما أن أقطاراً معينة تهتم بحقوق أكثر من اهتمامها بحقوق أخرى . غير أن **معظم المجتمعات تؤكد حقوق العمل والحصول على المأكل والمسكن والعلاج الطبي** . أما **الحقوق السياسية** ، فإن أمرها أكثر صعوبة وتعقيداً . وتمثل أنظمة التمييز العنصري اليوم أكبر تحد مكشوف لحقوق الإنسان ، كما في **جنوبي أفريقيا** .

وينتقل الكتاب بعد ذلك إلى **دور التعليم** ، مبيناً أن حقوق الإنسان قابلة للتعليم في جميع المراحل الدراسية . وحتى في المرحلة قبل المدرسية ، فإن أدونجو يؤمن بإمكانية بث مشاعر الإنسانية المشتركة بين الأطفال . وفي المراحل الأعلى يصبح الأمر أسهل ، لأن الطالب في هذه المراحل يكون واعياً للمخاطر الناجمة عن الفقر وعدم المساواة وسلب الحريات والصراعات البشرية . وقد يتساءل هذا الطالب : كيف يمكن التغلب على هذه الأوضاع الشاذة وتغيير الأمور نحو الأفضل ؟ ويجيب الكتاب بأن ذلك ممكن فقط من خلال تعليم القيم التي تتبناها المؤسسات القانونية العالمية . **وقبل تعليم الطالب هذه القيم ولا سيما تلك التي يتضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، والمواثيق الأخرى ، فإن من الضروري أولاً تعليم المعلّم ، لأنه هو المفتاح الأساسي في العملية بأكملها** .

السلم ونزع السلاح

ويتناول الكتاب بعد ذلك موضوع السلم ونزع السلام ، مدعماً معالجته بتقديم إحصاءات توضيحية مهمة . فمنذ أن وضعت **الحرب العالمية الثانية** أوزارها وحتى اليوم **نشبت حوالي (١٠٥) حروب رئيسية في (٦٦) دولة** استمرت كل منها لفترة يبلغ معدلها الوسطي زهاء (٣) سنوات . **ويقدر أن هذه الحروب قد أزهقت أرواح قرابة (١٦) مليون شخص معظمهم مدنيون** . وتشير الإحصاءات إلى أن تواتر مثل هذه الحروب يزداد بالتدريج . ويقدم لنا أدونجو ملاحظة مهمة ذات مغزى ، وهي أن جميع الحروب المهمة وقعت في الدول النامية ، وإن كان للدول الكبرى ضلع مباشر أو غير مباشر فيها . **وتدل التقديرات على أن العالم ينفق على التسليح ما يعادل (٦٠٠٠٠٠) مليون دولار سنوياً تقريباً** ، أي بمعدل (١٣٦) دولار لكل فرد ، وأن **قرابة (٢٥) مليون شخص يخدمون في القوات المسلحة** ، ناهيك عن المدنيين الذين يعملون في إنتاج الأسلحة .

ويشعر أدونجو بالاستغراب والدهشة للمفارقة العجيبة التي تتمثل بالادعاء بأن النفقات العسكرية هي نفقات دفاعية في الوقت الذي لم تؤد فيه هذه النفقات إلاّ إلى زعزعة الاستقرار العالمي ، بدلاً من ترسيخه . **وتقدر منظمة العمل الدولية أنه إذا تم تخفيض المصروفات العسكرية في العالم بنسبة ١٠٪ ، فسوف يكون بالإمكان تلبية الحاجات الأساسية المتعلقة بالغذاء والمداواة والتعليم في جميع الأقطار النامية !**

وتشير إحصاءات أخرى إلى أن **زهاء (٥٠٠٠٠٠) عالم ومهندس ورياضي وخبير الكتروني عملوا خلال السبعينيات في حقل النشاط العسكري . وهذا يشكل هدراً مخيفاً في الموارد الإبداعية ، يضاف إلى الهدر المالي** ، فالانفاق على التسلح وتمويل الحروب يمتصان الموارد القومية ، المادية ، والعلمية ، في الوقت الذي يواجه فيه كثير من الناس أخطار مجاعة حقيقية . ويشعر المؤلف بأن كثيراً من الزعماء ، ولاسيما في العالم الثالث ، باتوا مقتنعين الآن بضرورة تحويل

تعليم القضايا العالمية المعاصرة

ما يُنفق على السلاح إلى مجالات أخرى ، حتى يصبح شعار الإنسانية « **المحراث بدلاً من البندقية** » .

ولاشك أن القرار في هذا المجال سياسي بالدرجة الأولى ، إلاّ أن للتربية دورها ، أيضا ، إذ أن المعلمين يستطيعون ، إذا دربوا على ذلك ، أن يغرسوا في نفوس التلاميذ ، منذ نشأتهم الأولى روح المسالمة ونبذ العنف .

ويرى أدونجو أن مشكلات التنمية وحقوق الإنسان والسلام ونزع السلاح مترابطة مع بعضها بعضاً ، بشكل وثيق ، فانتهاك حقوق الإنسان يترافق عادة مع انتهاك السلام العالمي ، كما أن الحروب تؤدي إلى تعطيل مشاريع التنمية .. وهكذا . وهذا يوحي لنا بأن على المعلمين أن يعلموا القضايا العالمية المعاصرة بوصفها موضوعاً واحداً متكاملاً .

وهذا التعليم ، في رأي الكتاب ، ينبغي أن يشجع التفكير النقدي وإدراك المصالح المشتركة للشعوب ، وأن يكافح الميل إلى الصراع والتحامل وسباق التسلح والاهتمام بالمصالح القطرية ، فمن شأن ذلك أن يساعد على نشوء جيل يتحلى بنظرة إنسانية وعالمية . ومثل هذا الجيل سيكون قادراً على صنع مستقبله بيديه ، بدلاً من أن يبقى تحت رحمة الأحداث .

ويؤكد الكتاب على ناحية مهمة وهي أن القضايا العالمية المعاصرة ينبغي إدخالها ضمن المناهج المدرسية الكاملة لتكون مكملة لباقي المقررات ، لا أن يتم تدريسها بطريقة هامشية أو إضافية .

آراء مختلفة

يرى **يوري بابانسكي** ، أحد مؤلفي الكتاب ، أن إيجاد حلول للمشكلات العالمية ، يجب أن يقع على عاتق المؤسسات الكبرى ، مع إسناد دور خاص للتعليم . **ومفهوم التعليم عند بابانسكي واسع بحيث يشمل بالإضافة إلى المدرسة والجامعة الأسرة ووسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ، والمؤسسات غير المدرسية كالنوادي الاجتماعية والثقافية والموسيقية والفنية والرياضية** . وهو يؤمن بأن المدرسة لا تستطيع أن تقوم بدورها على الشكل الأمثل إلاّ في ظل نظام تعليمي ديمقراطي يوفر مجانية التعليم ويفتح أبواب المدارس أمام الجميع ، ويقدم فرصاً متساوية للذكور والإناث ، ولا يميز بسبب الدين أو العرق أو الجنسية . ويعتقد **بابانسكي** أن على مثل هذه المدارس الديمقراطية أن تزود التلاميذ ، وفقاً لأعمارهم المختلفة ، بمعارف عملية تمكنهم من القيام بأدوار فعالة في نشاطات الحياة العملية ، وأكثر من ذلك ، أن تغرس في نفوسهم الشعور بإمكانية الحيلولة دون نشوب الحروب . كما يجب أن تعوّدهم على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية ، وكذلك على تبني مواقف فعالة تجاه حماية الطبيعة والبيئة .

هذه الأمور كلها يمكن أن يتعلمها الطالب من خلال الكتب والمحاضرات والأفلام . أما **(ر . داس) و(ن . جانجيرا)** وهما من المشاركين في تأليف الكتاب ، فينحوان نحواً تربوياً نفسياً ، مؤمنين بأن بذور السلام والحرب ، الحب والحقد ، التعاون والتناحر ، الاعتدال والعنف ، كلها موجودة في عقول الرجال والنساء منذ الصغر . وقد زُرعت هذه البذور منذ أن شرع الأطفال في كل مكان ، يتفاعلون مع البيئة والناس المحيطين بهم . ويشير المؤلفان إلى أن جميع الأبحاث أثبتت تأثير التربية الأولى في حياة الطفل المستقبلية ، لذلك فهما يؤكدان تأكيداً خاصاً على التعليم الأولي الذي يفيد منه الأطفال من سن (٦) إلى (١٢) تقريباً .

فهذه الفترة فريدة في حياة الأطفال ، لأنهم يكتشفون في أثنائها العالم ويطلون على الأحداث . وهم يملكون خلالها سمات تطورية يجب أخذها في الاعتبار ، عند تقرير أهداف ومحتوى وطرائق تعليمهم .

ويرى **داس وداندير**ا أن من الضروري إدخال مقررات خاصة بالتفاهم الدولي وحرية الإنسان والتعاون بين الناس ضمن مناهج المرحلة الأولية ، بالإضافة إلى تزويد التلاميذ بالمهارات المعرفية اللازمة لمعالجة المعلومات المتعلقة بالقضايا والمشكلات العالمية . وهما يدعوان إلى تدعيم جهود المدرسة بجهود المجتمع والأسرة في هذا المجال .

وخلافاً لهذا الرأي ، فإن **اندريه دورباي** ، وهو مؤلف آخر من مؤلفي الكتاب ، يعتقد أن التأكيد يجب أن ينصب على المرحلة الثانوية . ويرى هذا المؤلف أن التعليم من أجل الحياة في مجتمعنا المعاصر يجب ألا يكون مقتصراً على أمور المجتمع المحلي ، وعلى ما يجري حالياً ، بل لابد من تجاوز ذلك إلى الأحداث والقضايا السائدة في الدول المجاورة ، وإلى خلق قيم موجهة نحو المستقبل ، وذلك في سبيل خلق إنسان قادر على الإسهام في عملية التغيير والتجديد .

ويؤمن **دروباي** بأن إعلان حقوق الإنسان يعد من أهم إنجازات الإنسانية . ولكن هذا الإعلان يحتاج إلى تجديد مستمر نظراً للتغيرات السريعة التي تشق مجراها في العالم . والمعلمون هم مفتاح هذا التجديد ، وعليهم أن يقوموا بتدريس الموضوعات المتعلقة بالقضايا العالمية كالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسلام ونزع السلاح واحترام الحريات الأساسية وتعليم الطلاب كيف يتعاونون مع زملائهم في البحث عن الحلول للمشكلات التي تواجهها أقطارهم وباقي أقطار العالم . وهذا يجب أن يتم في رأي المؤلف ، في المرحلة الثانوية ، حتى ولو كان كثير من الطلاب في الدول النامية لا تتاح لهم فرص التعليم الثانوي . وهو لا يغفل عن وجود عقبات خطيرة في هذا السبيل .

أما رودلف بفيفر ، وهو المؤلف السادس من مؤلفي الكتاب ، فيصب اهتمامه على تعليم المعلّمين الموضوعات المتعلقة بقضايا الإنسانية

المعاصرة ، قبل وفي أثناء الخدمة . وهو يرى أن تكوُن فكرة واضحة عن هذه القضايا في أذهان المعلمين هو شرط أساسي ، حتى يتمكن هؤلاء من نقل معرفتهم إلى التلاميذ ، مشفوعة بالتوضيح . وحتى يتزود المعلمون بالمعلومات الأساسية التي تشكل مدخلاً لفهم القضايا العالمية ، فإنه يوصي بأن يتلقى هؤلاء دراسات في العلوم الأساسية كالفلسفة والتاريخ والاقتصاد والسياسة والتربية الوطنية ، لأن لهذه الدراسات دوراً هاماً جداً في تأهيل المعلم .

ويقترح بفيفر الموضوعات التالية لتكون مادة الدراسة :

(أ) دور الوعي الفردي في حل المشكلات التي تواجه الإنسانية .

(ب) تاريخ السلم والحرب .

(جـ) الأسباب الاجتماعية للحروب .

(د) تفسير المفاهيم المختلفة للحرب العادلة المبررة و« الحرب غير العادلة وغير المبررة » ، ولا سيما في ضوء بنود ميثاق الأمم المتحدة الذي يؤكد بأن لجميع الدول الحق في الدفاع عن النفس .

(هـ) الأهمية المتزايدة للتفاهم الدولي والتعاون والسلام .

(و) أساس الأيديولوجيات والسياسات المبنية على التجامل العنصري والحقد وسبل تغييرها .

(ز) أهداف ومهام وبنى الأمم المتحدة ، ووكالاتها المتخصصة كاليونسكو .

(ح) سمات النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة .

(ط) سباق التسلح وما ينجم عنه من هدر للموارد المادية والفكرية .

(ى) مطالبة الدول النامية بنظام اقتصادي دولي جديد .

(ك) مبدأ حل النزاعات الدولية بالوسائل السلمية .

(ل) أهمية استعداد كل فرد للإسهام في التفاهم والتعاون الدوليين .

(م) دور الأمم المتحدة في تحقيق السلام والتعاون الدولي .

(ن) أهمية الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للفرد ، وكذلك واجبات هذا الفرد تجاه الآخرين وتجاه المجتمع ككل .

تعقيب

إن كتاب (**تعليم القضايا العالمية المعاصرة**) يتضمن أفكاراً هامة جديرة بالمناقشة :

١ ـ إن اقتراح الكتاب الداعي إلى قيام التربية بدور رئيس في حل قضايا العالم هو اقتراح جديد وفريد ، من شأنه إذا طبق أن يؤدي إلى تعديل المناهج وتغيير أهداف التعليم في جميع أنحاء العالم . ولكن هذا الاقتراح يجب ألا يدعونا إلى الاسترخاء والاعتماد على التربية بصورة أساسية ، في معالجة القضايا العالمية لأن دورها في هذا المجال بعيد المدى جداً ، ولا يتوقع أن تظهر نتائجه الإيجابية ، إلا بعد فترة طويلة من الزمن . لذلك لابد أيضاً من الركون إلى وسائل أخرى قصيرة المدى وسريعة التأثير . وهناك في هذا المجال وسائل عديدة منها العمل السياسي على المستوى العالمي . فالقادة السياسيون ولاسيما في الدول الكبرى مؤهلون أكثر من أية جهة أخرى للقيام بدور فعال جداً في تخفيف آلام الإنسانية وجلب السعادة والرفاه إلى ربوع كوكبنا الأرضي الذي بات يئن تحت مختلف ألوان الضغوط . ولكن على هؤلاء ، قبل كل شيء آخر ، أن يتحلوا بالأخلاقية وأن يتحرروا من عقلية المناورة . ولا ننسى أيضاً الدور الكبير الذي تستطيع أن تسهم به وسائل الإعلام في تنوير القادة والشعوب معاً ، وفي التنبيه إلى أخطار المشكلات العالمية ورسم طرق حلها .

٢ ـ إن مفهوم السلام والتعايش والابتعاد عن العنف يجب أن يترافق ويترابط ، بصورة وثيقة ، مع مفهوم الحق والعدالة . فإزالة الغبن ورفع الظلم وإعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها ، هي المقدمات الأساسية لكل سلام حقيقي . فالإنسان لا يستطيع أن يكون مسالماً إلا في مجتمع ترفرف عليه رايات العدالة وإذا كان على المربين أن يعلّموا طلاب العالم كيف يعيشون بسلام ووئام ، فمن الجدير بهم أن يقرنوا ذلك بتعليم مبادئ الإنصاف والمساواة .

٣ ـ إذا أردنا لمفهوم حقوق الإنسان أن يسود ، فإن تطبيقه يجب أن يشمل جميع أنحاء العالم . أما المطالبة بسريانه في أمكنة ، وإهماله في أمكنة أخرى ، فهو ضرب من الاستغلال والتشويه لهذا المفهوم النبيل ، وتحويل له عن هدفه الأصلي .

٤ ـ على الرغم من أن إدخال مواد تتعلق بالمشكلات المعاصرة ضمن المناهج التعليمية ، اقتراح فريد ومفيد إذا أُحسن تطبيقه ، فإن هناك عقبات قد تحول دون تنفيذه . فالصراعات المسلحة تحقق مزايا هائلة للصناعات الحربية في بعض مناطق العالم . فمن الطبيعي أن يحاول بعض أصحاب هذه الصناعات ، بما لهم من نفوذ وتأثير ، وضع العصى أمام العجلات بالنسبة لأية جهود تبذل لبذر بذور السلام والتعايش وغرسها في عقول الأجيال الصاعدة .



قراءة جديدة لشعرنا القديم



تأليف: صلاح عبد الصبور * عرض: محمد محمود قرانيا

تراثنا الأدبي كنزُ جواهرٍ ، ومنهلٌ ثرٌّ ينهل منه الواردون على امتداد العصور ، فيه خصائصُ البدايات المشرِّقة ، وطفولةُ الشعرِ الخصبة التي تنمّ عن وعيٍ فكري ، وإشراقاتٍ حضاريةٍ يرجع إليها الباحثون في كل حينٍ ليقفوا على معطياتها التي لا تنضب .

ومؤلف الكتاب **صلاح عبد الصبور** ، أديبٌ وشاعرٌ معاصرٌ تَثَقَّفَ بثقافات عصره واطّلع على الآداب الأجنبية ، وهو في هذا الكتاب يرجع إلى بعض موروثنا الشعري فيرى فيه رؤى جديدة ونظراتٍ سبقت عصرها حتى لتكاد تواكب التطلعات المعاصرة التي نجد لها مثيلاً في الآداب الأوربية .

الإبـــداع

إن تذوق الشعر يتمّ عندما يتلقاه الإنسان تَلَقِّياً فردياً وبحسب مقدرته على تَلَمّس الجمال ، هذه المقدرة المرتبطة بمدى التحصيل الثقافي والبناء النفسي ، ونتيجةً لذلك يجد أن الحياة جميلة وقد اكتشفها الشاعر الذي يُعَدّ مكتشفاً في عالم الجمال والوجدان لأن نظرته وليدة الحدس وأداته إلى ذلك الخيالُ الخصب ، ولذلك كان الإلهام من أعمال البصيرة النافذة ، وقد فطن الشعراء الجاهليون إلى هذه الناحية فقرن بعضهم نفسه إلى الجن وظن عددٌ منهم أن لهم من بين الجن أقراناً يؤلف الواحد منهم الشعر ويلقيه عنه . وقد وُجدت شواهد على هذه النظرة في شعر **امرىء القيس والأعشى** وسواهما ... لكنّ نظرية الإلهام طغت على نظرية الصنعة في القديم إذْ لابد للشاعر من الدربة والمران ومعاودة النظر . يقول **عدي بن الرقاع** :

وقصيدةٍ قد بتّ أجمع شملها
حتى أقوّم ميلها وسنادها

ونقف في **الشعر الجاهلي** على لونين من الفن الشعري ، **أولهما** : اللون الذي تتميز فيه التجربة الشخصية .. **وثانيهما** : الشعر الذي تتوالد فيه المعاني المعروفة والأبيات من معانٍ وأبياتٍ سابقة فيخرج نوعٌ جديد من الشعر قوامُه التجويد والتنويع والابتكار .

بين المهانة والتمرد

إن معظم الدراسات التي توافرت على شعرنا القديم تقف عند العيوب الخلقية للشعراء وتُحللُ الشعر والنفسية من خلال هذا المنظور ، فجعلتْ **جريراً والفرزدق** شتّامَيْن **وبشاراً** شخصيةً فظّةً ، **وأبا نواس** شاذّاً سكيراً ، **وابنَ الرومي** خائفاً مخلوع القلب ، **والمتنبي** مُداجياً **وأبا العلاء** زاهداً ضائعاً بين الزهد والتشاؤم والزندقة والإيمان ... وهذا المنظور يعطي الاهتمام الأول للعُقد النفسية دون أن يقدم تصويراً صادقاً للشاعر ، وإنما قد ينمّ عن موقفِ هؤلاء الشعراء من مجتمعاتهم وأوضاعهم التي أجبروا على الالتزام بها . لذلك يمكننا أن نقف أمام ثلاثة ألوانٍ شعرية :

(١) مذمة الدنيا والزهد فيها ، كما في أشعار **أبي العتاهية والمعري** ...

(٢) أدب الشذوذ وقد ظهر على شكل غزل بالمذكر وبخاصةٍ عند شعراء العصر العباسي .

(٣) أدب الشراب ، وقد كان تعاطي الخمر دليل الفتوة والكرم كما هي الحال عند **عنترة وطرفة** وامرىء القيس والأعشى ، قبل أن تُحَرَّمَ الخمر في التشريع الإسلامي .

الشاعر يتفلسف

ثمة فرقٌ بين شعر الزهد وشعر الموت ، وقد

نظر المفكرون من الشعراء نظرة تختلف كلياً عن نظرة أبي العتاهية ، فالموت قد يجعل منه الشاعر تتويجاً للحياة ، وكما يقول أحد الفلاسفة « مادمت أدرك أن كل شيء يموت ، الأزهارَ والثمار والأشجار والطير ، بل والصخر والجبل ... ومادمت أرى رفاقي من حولي يسقطون صرعى ، الواحد تلو الآخر ، فما بالي إذنْ لا أعرف أني ميتٌ ؟! فإذا أيقنتُ من هذه المعرفة ، وثبَتَتْ دقائقُها في وجداني وخلدي ، فأنا إذنْ أعيشها في كل لحظة ، فكأني أموت كل لحظة ، أو كأنني أعيش موتي » .

وقد اختلف شعراؤنا القدامى في هذه النظرة ، واقتربوا من المعاني الفلسفية التي تأخذ بها بعض المدارس الحديثة ، فطرفة بن العبد يخشى في الموت ، انتقال الإنسان من الحركة إلى الجمود فيعجز الرجل عن امتطاء صهوة جواده ، ويرى أن الموت مادام قدر كل إنسان قد يحل في كل لحظة فعلى الإنسان أن يهلك نفسه فيما يحبّه ، وهذه نظرة جَسَّدَتْها الفلسفتان **الأبيقورية والرواقية** .

والأفوه الأزدي ينظر إلى الحياة نظرة (ميتافيزيقية) تمزج بين الموت والحياة معاً وأن الخيمة عنده مثوى الحياة ، والقبر مثوى الموت .. واتهم **أبو داؤد الأيادي** الدنيا بأنها تلتهم الناس وتأكلهم ، وكذلك نظر **كعب بن سعد الغنوي** إلى هذه الظاهرة نظرةً مغايرة حين فُجع بموت أخيه فراح يذكر فضله ويستعيد ذكريات حياته السعيدة معه ، حتى يأتي الموت ويفسد الحياة . ويرى امرؤ القيس أن الخلود ليس من طموح الإنسان لأن في الكائن الحي شيئاً يشده إلى التراب .

وفي بكائيات **متمم بن نويرة** تعلو نبرة الموت الشاملة ، إذْ يصور الحياة كلها قبراً ، والشاعر **عبد الملك الحارثي** يُولم له الموتى وليمةً عامرةً بالحزن ثم يعود من الوليمة بعد أن سقوا زرعاً في صدره فنما ، واشتبكت فروعه ورُويت بالدمع المنهمر ، وَحَدَّثَهُ الموتى بلغةِ الصمت ، فكان صمتهم أبلغ من كل حوار .

وتتجاور في ديوان أبي نواس أشعار المجون وأشعار الزهد ، يخلع في الأولى أثواب الحياء ويتجرد في الثانية من متاع الدنيا ، ويُسبّحُ اللهَ في أنغامٍ سائغةٍ عذبة .

وتعود مع المتنبي نظرةُ الموت إلى عهدها الجاهلي وتسود لديه فلسفة التأمل ، ويتساءل عما إذا كانت النفس تبقى بعد فناء الجسم ، هذه المسألة التي أثارت كثيراً من اهتمامات اليونانيين وتمثّلها المتنبي ومن ثمّ المعري في **(الفصول والغايات)** و **(لزوم ما لا يلزم)** وقد قال إن الموت لونٌ من النعيم المنتظر .

حوار مع الكون

تظل الطبيعة صامتةً حتى تتحدث بلسان الفنان ووجدانه أو بقلمه وألوانه فتتجلى آنئذٍ ألوانها وظلالها وقد تفهّم الشعر العربي هذه الحقيقة ونظر إليها على أنها متحركةٌ وليست ثابتة ... فحبةُ الرمل لها في نفس العربي سحرٌ خاص ، وكذلك البرق والمطر والليل والجبال والصحراء والنخيل والسيل كقول أحد شعراء الجاهلية :

وبتّ أرى الكواكبَ دانياتٍ
تنال أنامل الرجل القصير
أدافعهن بالكفين عني
وأمسح غرّة القمر المنير

والطبيعة متغيرةٌ متبدّلةٌ تبعاً لحالة الشاعر النفسية ، فهي فرحةٌ مرحةٌ حين يفرح وبائسةٌ حزينةٌ حين يتألم ويحزن وكأنها مرآة تعكس ما في نفسه من أمانٍ وآمال ـ على غرار ما نجده عند **الرومانسيين** اليوم ـ فتعلق الشعراء بالأطلال وجعلوا منها محطاتٍ للتذكر ....

ثم تتبدل النظرة إلى الطبيعة ، فندع الخيمة والناقة والصحراء لندخل القصور والحدائق والبساتين ، ولكن من خلال النظرة القديمة ذاتها ، فالزرع والخضرة تنقل إلى أخيلتهم شميم العرار والشيح والقيصوم ، وتعيد الأبنية الضخمة إلى أذهانهم ذكريات الأطلال والخيام . وانتعشت الطبيعة في شعر **أبي تمام والبحتري** وابن الرومي وانبعثت فكرة إحياء الطبيعة فغدت إنساناً حسّاساً مرهفاً كقول ابن الرومي :

ورياضٍ تخايلُ الأرض فيها
خُيَلاءَ الفتاةِ في الأبراد

ولو قُدّر للمتنبي أن يلتفت إلى الطبيعة هذه اللفتة المتأنية بعيداً عن سعيه الدائب إلى السلطة لترك لنا الروائع .

ويعكف **الصنوبري** على الطبيعة فيصورها في لوحاتٍ تعبيريةٍ تشكيليةٍ تتناثر فيها البقع اللونية وعلى هذا المنوال يصوغ **كشاجم** أشعاره :

إذا مزنةٌ سكبتْ ماءَها
على بقعةٍ أشعلتْ نارها

حوارٌ مع الكائنات

أولع القدامى بتشبيه المرأة بحيوانات الصحراء من بقرِ الوحش والمهاة والغزال فاستعاروا من بقر الوحش العيون الوسيعة ومن الغزال العنقَ ومن المهاة نفورها ـ يقول **المجنون** مخاطباً الغزال :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها
سوى أن عظم الساق منك رقيق

ويلتفتُ الشعراء إلى **الذئب** فيولونه اهتماماً كبيراً حتى نجد في أدبنا ما يسمى بـ **(أدب الذئب)** ولامرىء القيس **والمرقش الأكبر** والفرزدق أشعارٌ طريفة في هذا الحيوان الصحراوي الشرس ، ولعلّ ذئب الفرزدق أشهرها ، لأن الشاعر يقيم قصيدته على مجموعةٍ فريدةٍ من الانفعالات النفسية والمواقف :

وأطلسَ عسالٍ وما كان صاحباً
دعوت بناري موهناً فأتاني



★ صلاح عبدالصبور ★ ★ المعري ★

فلما دنا قلت : ادنُ دونك إنني
وإيـاك في زادي لمشتـــركان

ودراسة القصيدة هذه تقودنا إلى المستوى الفني الذي وصل إليه الشعر العربي في عصر الفرزدق وقد خرج المؤلف : إلى أن دورة أدب الذئب في هذه القصيدة ، من لحظة مصادقة الشاعر له إلى اللحظة التي أَكَلَهُ فيها ، هي دورة تغيّر الحياة العربية من مجتمع الصحراء إلى مجتمع المدينة ، وتغير الأخلاق من أخلاق الفارس الشهم إلى أخلاق المقاتل الذي يعلم أنه سيموت إذا لم يقتل خصمه ، وغريمه .

ونصيب **القطا والحمام** في شعرنا العربي كنصيب البلبل في الأدب الأوربي حيث يمثل الحب والحرية معاً ، فهديلُ الحمام أشبه بأنين العاشق وشكواه كقول المجنون :

ألا ياحماماتِ اللوى عُدْنَ عودةً
فـإني إلى أصواتكـن حزيـن

وأدب الناقة لونٌ آخرُ غنيّ في تراثنا الشعري حتى قال المستشرق الفـرنسي (**جروبناوم**) : « إن معظم شعر العرب القديم قد دار حول الناقة كما دار معظم شعر الهند القديم حول البقرة » وشتان مـا بين النظرتين ! .

الشاعر والحب

عندما يُذكر شعر الحب فإنه تمثُل للأذهان أوصافُ المرأةِ الحسية إلاّ أن عدداً من الشعراء القدامى عُرفوا بالعشق والتفتوا إلى حبُ الروح بعيداً عن الجسد ومالوا إلى العفة والإخلاص وارتبطت أسماؤهم باسماء محبوباتهم ، فاقترن اسم المرقش الأكبر بأسماءَ والمرقش الأصغر بفاطمة والمخبل السعدي بميلاء وعبد الله بن العجلان بهندٍ وقيس بن الحدادية بنُعْمٍ ... ومع أنه ظهر في العهد الإسلامي عددٌ من الشعراء الغَزِليين من أمثال **عمر بن أبي ربيعة وعبد الله ابن قيس الرقيات والعرجي فقد خلّد لنا الأدب العربي سيرة ثلاثة من الشعراء العذريين هم : جميل بن معمر وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح** ، وقد وُجدت عندهم نظرتان

مطالعات في الكتب

قراءة جديدة لشعرنا القديم



★ المتنبي ★ ★ أبو نواس ★

تجاه المرأة ، النظرة الحسية وترى في المرأة وسيلة للسيطرة الاجتماعية ـ كما هي عند امرىء القيس ـ والنظرة الرومانتيكية التي ترى في المرأة (ملهمةً) بالمعنى الفني والمتحضر ، حيث ينظرون إلى المرأة نظرة متميزة :

١ ـ فقد أعطوها مكانة عاليةً .

٢ ـ وجعلوا الحب يستهلك صاحبه ، كما في الشعر الروماني العالمي .

٣ ـ ثم نراهم يأخذون المرأة أو يذهبون مع طيفها إلى آفاق شعرية حالمةٍ من الخيال .

مثال الجمال

إن الشعر العربي القديم صَوّرَ المرأة كما صورها الفنان العالمي (**روبنز**) بصفاتٍ معينة اتخذها مقياساً للجمال ، ففي الجاهلية أحبَّ الأعشى في المرأة البدانة وطيب الرائحة ، وعند الصفة الثانية وقف توقف كل من **عبيد بن الأبرص والشنفرى** ، وفي العصر الإسلامي التفت إلى المرأة التفاتة حضارية متقدمة فتوقف عند رقة الحديث وعذوبته : يقول **ذو الرمة** :

وإنا ليجري بيننا حين نلتقي
حـديثٌ لـه وَشْيُ المطـارِفِ
حديثٌ كوقع القَطْرِ في المحل يُشفى
به من جوى في داخل القلب لاطفِ

وتتوضح صفاتٌ أخرى إلى جانب البدانة وطيب الرائحة والحديث العذب كالبياض والطول وبطء الحركة والتكاسل وسواد الشعر والعينين ، وكل هذه الصفات ظلت سائدة حتى القرن الخامس الهجري . ثم كانت بعد

ذلك النظرة الجديدة للمرأة باعتبارها (المثالي) فقام الشعر العربي بالدور الذي قام به النحت عند اليونان .

خاتمــة

ينتهي الكتاب بثلاث نظراتٍ فنية تحمل عنوان (**صور فنية**) يؤكد فيها المؤلف على ضرورة تذوق الشعر وذلك بحسن قراءته ، لأن القصيدة الجديدة ذات قدرة غير محدودة على الحياة المتكررة ، ويطبّق هذه الرؤية على قصيدة **المنخل اليشكري** (فتاة الخدر) ويقف عند بيتها الأخير :

وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

فيجد فيه عند القراءة الأولى فكاهة رقيقة ، وعند الثانية فكاهة راقية ، وعند الثالثة شيئاً آخر ومثل هذه الفكاهة قد نجدها عند أبي نواس **وأبي محجن الثقفي** بخلاف ما نطالعه في شعر النقائض التي حفلت بالهجاء الجارح .

ثم يؤكد المؤلف على انعدام الرمز في شعرنا القديم لاعتماده على الوضوح والصفاء باستثناء قصيدة **حميد بن ثور الهلالي** التي لم تتكرر فيما وصل إلينا من القدماء ، حيث راح الشاعر يشبب بشجرة (سرحة) وهوى يُكَنّي بها عن امرأةٍ بعد أن منعه الخليفة من التغزل بها :

وهل أنا إن عللت نفسي بسرحةٍ
من السرح مسدودٌ عليَّ طريقُ
حمى ظلها شكس الخليفة خائفٌ
عليها غرام الطائفين شفيـقُ

ثم يعقد المؤلف طرفاً في خاتمته لتوليد المعاني وتجسيمها عند ابن الرومي في قصيدته (ياأخي) حيث يجعل للأخطاء المتبادلة بين الأصدقاء وجوداً حسياً ويدير بينها حواراً يذكرنا بأسلوب **شكسبير** وهذا يدل على الجانب العبقري في فكر ابن الرومي . والخطراتُ النفسية التي توحي بها القصيدة تصلح لأن تكون مسرحيةً لو أن العربَ عَرفوا المسرح إذْ تؤدى القصيدة (مونولوجاً) مسرحياً يلقيه بطلٌ متأزمٌ يتردد بين الإقبال والإدبار .



تكنولوجيا بناء وتشغيل المحطات النووية

بقلم : مهندس حسن الشامي

• تفجير نووي فرنسي •







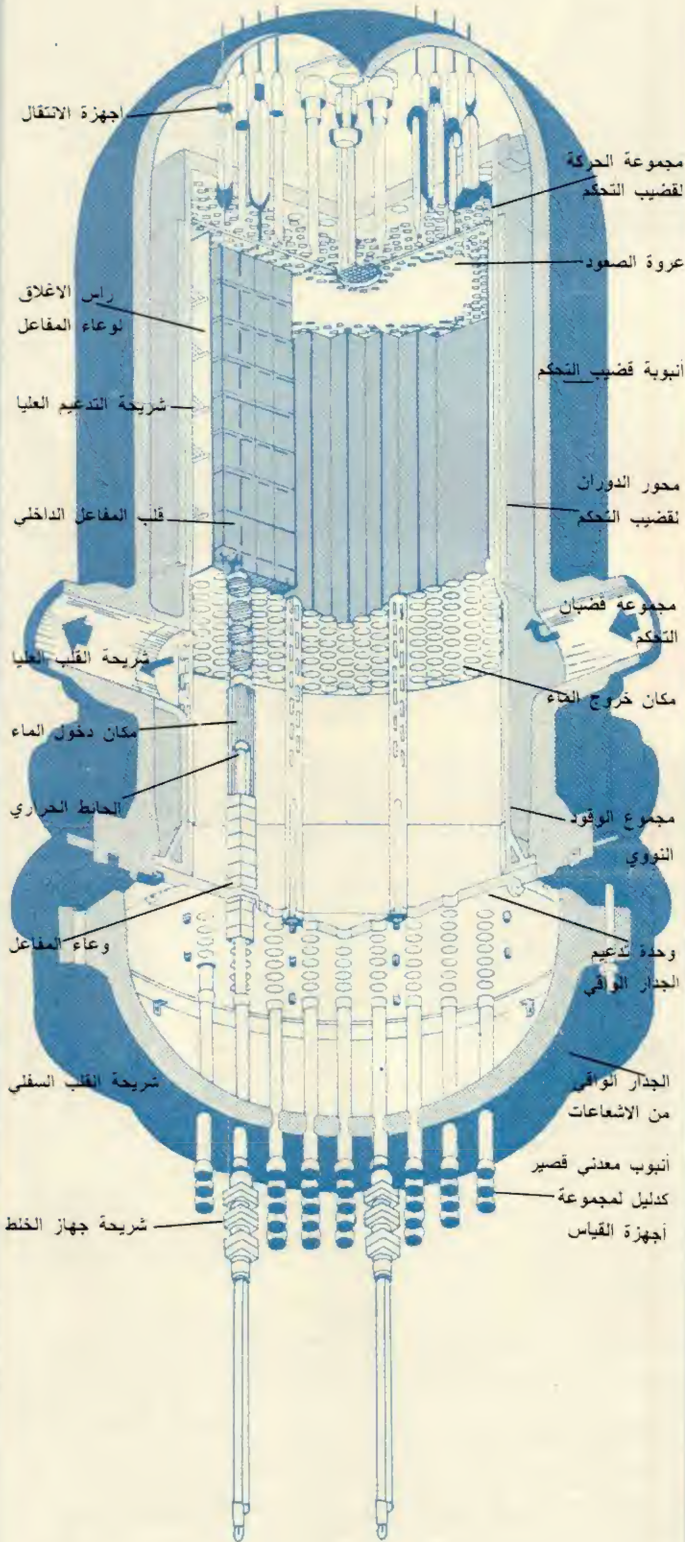
★ محطات نووية تعمل بكامل طاقاتها في توليد الكهرباء ★

في مساء يوم الجمعة ٢٥ أبريل (نيسان) عام ١٩٨٦م ، ارتفعت درجة حرارة قلب أحد المفاعلات النووية الأربعة في منطقة (تشيرنوبل) غرب الاتحاد السوفييتي ، وشبت النيران في كرات الجرافيت المخصصة للتحكم في عملية الانشطار النووي ، وبدأت في الاحتراق بدون أي أدخنة داخل قلب المفاعل في درجة حرارة تخطت ٢٠٠٠ درجة مئوية . واندلعت من المحطة النووية المخصصة لتوليد الكهرباء كميات هائلة من الإشعاع القاتل امتصتها السحب ودارت بها في أوربا . أمتد الحريق إلى مفاعل آخر ضمن المجمع النووي في المنطقة ، وفشلت كل الوسائل التي استخدمت طوال عدة أيام لإخماد الحريق النووي ، بما فيها إلقاء أكياس من الرمال والبورون على المفاعل

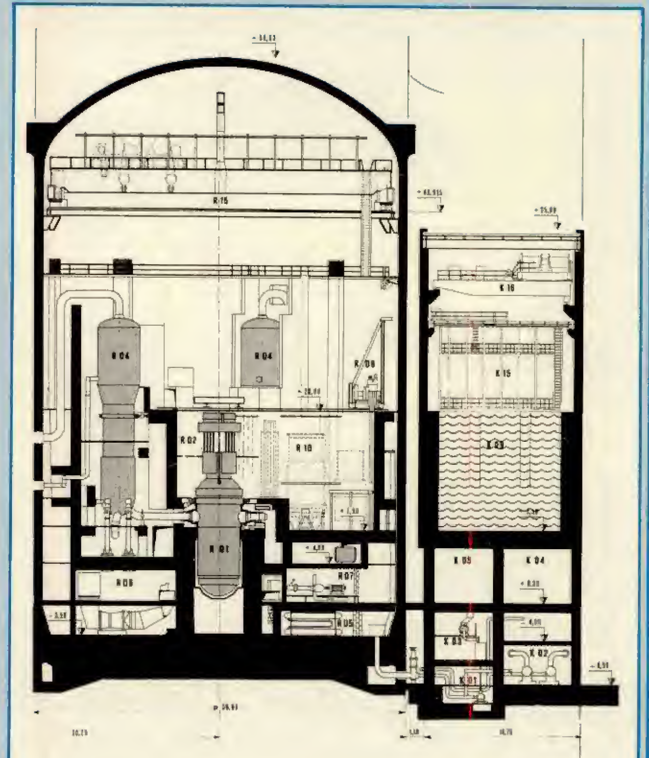
من طائرات هليكوبتر ، دب الذعر في جميع أنحاء العالم ، من خطر التلوث الإشعاعي ، وقرر السوفييت إغلاق ٢٠ مفاعلا من نفس الطراز ، وإجلاء السكان في دائرة قطرها ٣٠ كيلو مترا ، كما قرروا طلب المساعدة الفنية من علماء بريطانيا والسويد وألمانيا الغربية للتوصل إلى طريقة لإطفاء الحريق .

ومن قبل في فجر يوم ٢٨ مارس (آذار) عام ١٩٧٩م حدثت كارثة للمفاعل النووي رقم (٢) في منطقة (**ثري ميل ايلاند**) بولاية **بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية** حيث أدى حدوث عطل مفاجىء لمضخات دورة التبريد الثنائية وعدم إمكان تشغيل المضخات المساعدة ، إلى ارتفاع الضغط في وعاء المفاعل النووي فانفتحت صمامات الأمان الآلية لتصريف الضغط الزائد ، وقد كان مفروضاً أن تغلق هذه الصمامات آليا عند نزول الضغط إلى ضغط التشغيل ، ولكن حادثاً آخر حدث لهذه الصمامات فاستمرت مفتوحة حتى تحول أغلب محتويات وعاء المفاعل إلى بخار حجمه يعادل ١٥٠٠ مرة حجم المياه الموجودة فيه ، لو لم يتم تشغيل مضخات تبريد الطوارىء .

وأدت العمليات المتتابعة إلى ارتفاع درجة حرارة قلب المفاعل إلى قرب درجة انصهار قضبان الوقود النووي الموجود به ، وإلى تفاعل بخار الماء داخل قلب المفاعل مع معدن الزركون الذي يكسو قضبان الوقود النووي ، ونتج عن ذلك غاز الأيدروجين الذي تسرب مع البخار



• مكونات الوعاء الداخلي للمفاعل النووي •



• البناء الخرساني الداخلي للمفاعل النووي •

الهارب من وعاء التصفيط إلى غرفة المفاعل ، وأحدث انفجاراً قدره الخبراء بنحو نصف ضغط التصميم لجدران مبنى الاحتواء . وقد استغرق إيجاد الحل المناسب من الخبراء لإيقاف تسلسل الحوادث نحو ساعتين ونصف ولو تأخر لمدة ساعة أخرى لحدث انصهار وعاء المفاعل وانفجاره بعد ذلك .

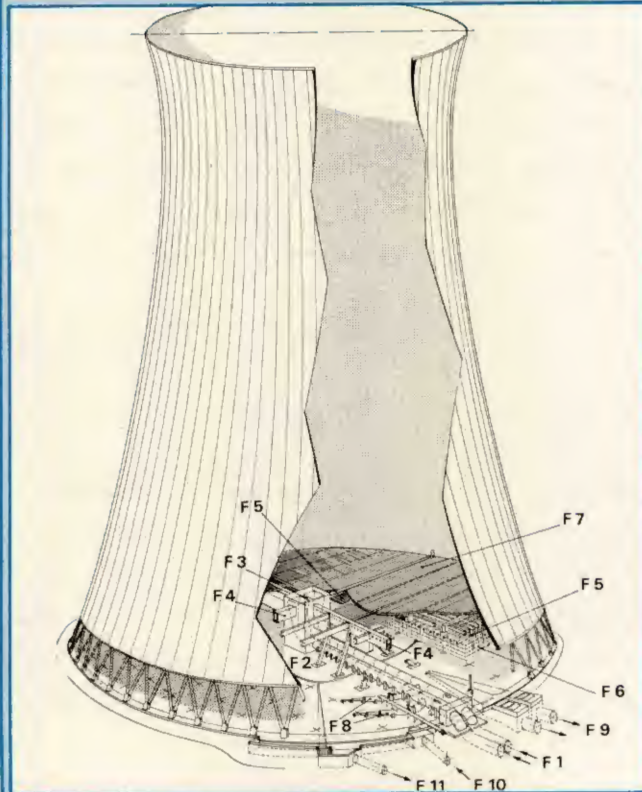
الأخطار غير المحسوبة

تكمن خطورة المحطات النووية في حالة حدوث طوارىء غير عادية في المجالات الآتية :

١ ـ **مجال التشغيل** : والحدثان السابقان دليل على ذلك .

٢ ـ **مجال نقل الوقود والفضلات النووية** : ويحدث ذلك إذا ما اصطدمت الباخرة التي تنقل هذه المواد داخل المياه أو أحد الموانىء وكذلك إذا حدث للشاحنات التي تنقل هذه المواد إلى موقع المحطة النووية أي حادث اصطدام عنيف أو انقلاب . ومازالت هذه المشكلة تحت البحث لتصميم أوعية خاصة لا تتأثر بأي ضغوط مرتفعة متوقعة في مثل هذه الحوادث أو أي حرارة عالية قد تتولد أثناء ذلك .

٣ ـ **مجال تخزين الوقود المستعمل والنفايات تخزينا أوليا أو متوسطا** : إن احتمالات تسرب النيران إلى مواقع التخزين أو تعرضها للسرقات نتيجة أعمال الإرهاب مازال وارداً ولا يمكن نفيه نفياً قاطعاً .

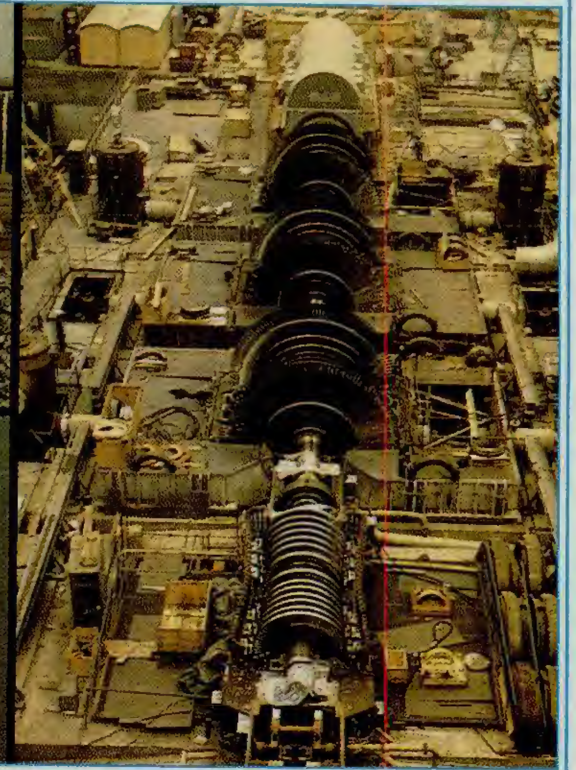


• أحد أبراج التبريد للمفاعل النووي •

• جهاز توليد البخار •

• محطات نووية تحت التشييد وأخرى مكتملة البناء •







٤ ـ **مجال تخزين النفايات تخزينا نهائيا** : لازالت آراء العلماء مختلفة حول الشروط المناسبة لاختيار مواقع التخزين (في جوف الأرض أو قاع المحيطات) والوسائل الآمنة لتفادي اختلاطها بالمياه الجوفية وتحركاتها غير المعروفة حتى الآن وكذلك احتمالات حدوث تحركات أرضية قد تعرضها لدرجة حرارة مرتفعة . وحتى الآن لم يبدأ مشروع للتخلص من النفايات النووية تخلصا نهائياً ، لأن تكنولوجيا إعادة استخدام أغلب المواد المشعة الموجودة في هذه النفايات على الأبواب ، وبذلك يمكن التخلص من أغلب المواد الضارة عن طريق إعادة الاستخدام . بل إن أحد الوسائل المطروحة حاليا للتخلص من هذه النفايات هو إعدام النشاط النووي الموجود في هذه النفايات أو تقليله إلى أقل الحدود قبل تخزينها في جوف الأرض أو أعماق المحيطات .

النفايات الذرية

والنفايات الذرية مشكلة من نوع آخر : لابد أولا أن تبرد لمدة ٦ شهور في الماء ثم توضع داخل اسطوانات من الصلب والرصاص بعد استخراج البلوتونيوم منها ، ثم توضع الأسطوانات في الماء لمدة ٥ سنوات ، ثم بعد ذلك يتم تصنيعها وتغليفها للدفن في أوعية خاصة تحت الأرض . ومع ذلك فإنها تتفاعل وتنفجر مثل القنبلة الذرية . كما حدث في (**كيشتيم**) التي تقع جنوب جبال الأورال في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٨م ، وكذلك في (**تسوروجا**) باليابان في أبريل (نيسان) ١٩٨١م وفي غيرها من دول العالم .

السحابة النووية

يطلق لفظ (**السحابة النووية**) على الدقائق العالقة مع الرماد والأدخنة التي يمكن أن تسقط مع الرياح والأمطار في حالة الانفجار النووي مهما كانت طبيعته ـ سواء كان إنفجار قنبلة ذرية أو مفاعل لتوليد الكهرباء .

ولقد دلت الأبحاث والدراسات ليس فقط على تحديد أنواع المواد المشعة التي تنتج عن الانفجار أو الإنشطار النووي ، بل وكشفت تأثيرها الضار على جسم الإنسان .

العنصر الأول : **غاز الكريبتون** : يعتبر أهم هذه المواد . ونصف عمره ـ أي نصف المدة المؤثرة لإشعاعه ـ عشر سنوات . وهو يؤثر على كل الجسم ويزيد من حالات اللوكيميا .

العنصر الثاني : **اليود** : ويتصاعد كغاز ويمثل نصف نواتج الانفجار الذري وهو يمتص غالبا في الغدة الدرقية ويمكن طرده منها باستخدام اقراص **يودور البوتاسيوم** وهي تعطي أيضا للوقاية .

العنصر الثالث : **السترتشيوم** : ونصف عمره ٢٨ عاماً أي أنه قادر على الاستمرار في تأثيره الضار على الجسم ضعف هذه المدة . والسترتشيوم هو شقيق **الكالسيوم والباريوم** وهو يبحث عن العظام ويستقر فيها وهو خطر لأنه يسبب السرطانات فيعالج تأثيره على العظام بزرع نخاع العظام الجديد .

• محطات نووية تعمل بكامل طاقتها في توليد الكهرباء •



العنصر الرابع : السيزيوم : ونصف عمره ٣٠ عاماً ويهدد الجسم البشري كله وخصوصا العضلات والكبد والطحال .

العنصر الخامس : غاز الروتينيوم : يعتبر عنصراً عنيداً في محاولة تحويطه وإزالة تلوثه ونصف عمره سنة .

ولقد تم رصد وتسجيل هذه العناصر وتأثيراتها المختلفة بدقة متناهية بواسطة الأجهزة الحديثة .

أنواع المفاعلات الذرية

(١) **مفاعلات التبريد بالغاز** : وهي بريطانية التصميم ، وتستخدم الماء الثقيل للتحكم في الانشطار النووي داخل قلب المفاعل . ويطلق عليها اختصاراً « إيه . جي . آر »

(٢) **مفاعلات المياه المضغوطة « بي . دبليو ـ آر »** : وهي أمريكية التصميم ، وتقوم بضبط التفاعلات النووية في قلب المفاعلات ، وفي نفس الوقت تقوم بنقل الحرارة المتولدة من الانشطار إلى دائرة ثانوية أخرى من الأنابيب . ولهذا يجب أن تظل المياه سائلة وفي درجة حرارة ٣٢٠ درجة مئوية ، ولهذا لابد من وضع النظام كله تحت ضغط هائل حتى لا تتحول المياه إلى بخار .

(٣) **مفاعلات التبريد بالمياه العادية** : مع استخدام كرات الجرافيت للتحكم في عمليات الإنشطار وهو مثل المفاعلات السوفيتية المحترقة ، ويطلق عليها اختصاراً « جي . سي . آر » .

(٤) **مفاعلات المياه المغلية « بي . دبليو . آر »**وكذلك مفاعلات المياه الخفيفة « **اتش . دبليو . آر** » وهي من تصميم فرنسي .

(٥) **مفاعلات التوليد السريعة** : وهي أحدث المفاعلات وأغلاها تكلفة في العالم ، وتستخدم البلوتونيوم مباشرة كما تنتج كميات هائلة من البلوتونيوم أيضاً ، ومنها خمسة مفاعلات فقط في العالم كله ، والدراسات تشير إلى أن هذه المفاعلات سوف تصبح الأكثر انتشارا في القرن القادم .

الوقود النووي

إن الوقود المستخدم في المفاعلات هو **اليورانيوم ـ ٢٣٨** الطبيعي مباشرة أو **اليورانيوم المخصب ـ ٢٣٥** بصورة معدن أو أكسيد بدرجة نقاوة تصل إلى ٩٣٪ كما يستخدم **البلوتونيوم ـ ٢٣٨** النقي في بعض المفاعلات الحديثة .

بالنسبة للعوامل التي تستخدم للتحكم في عمليات الانشطار النووي داخل قلب المفاعل لكي تبطىء من سرعة النيوترونات عند تسليطها على الوقود النووي ، حتى تبدأ عملية الانشطار وبالتالي لتوليد الحرارة يستخدم حاليا الماء العادي والجرافيت على هيئة كرات صغيرة جداً وكذلك الماء الثقيل « الديتاريوم » وكذلك الغاز .

تكاليف التشغيل والصيانة

هناك ٥٣٣ مفاعلاً لتوليد الطاقة الكهربائية من جميع الأنواع في

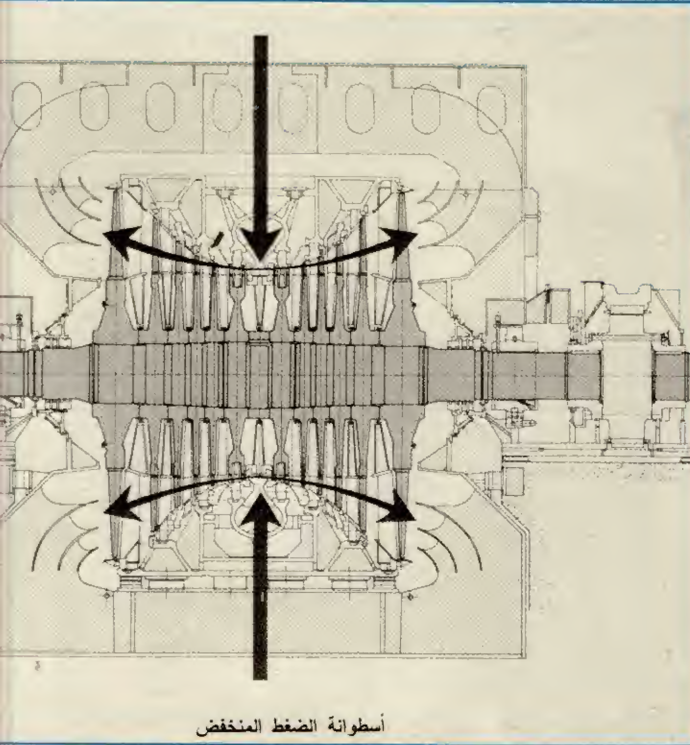
٣٢ دولة في العالم ، وتبلغ التكلفة السنوية لتشغيل محطة نووية متوسطة حوالي ٣٠ مليون دولار كما أن تكاليف الصيانة السنوية حوالي ١٠٥ ملايين من الدولارات وتحتاج كل محطة إلى حوالي ٣٠ شخصاً للتشغيل ، وأكثر من ٣٠٠ مهندس متخصص في ورديات دائمة كما أن عليهم التدرب سنوياً لعدة أشهر في مجال اختصاصهم . هذا بخلاف ثمن الوقود النووي المستخدم ، وهذا يختلف من مفاعل إلى آخر فالمفاعلات النووية التي تستخدم الماء المضغوط مصممة لاستخدام اليورانيوم المخصب بنسبة ٣٪ فقط أي الوقود النووي الذي يحتوي على اليورانيوم ـ ٢٣٥ بهذه النسبة ، والباقي من اليورانيوم ـ ٢٣٨ ، أما المفاعلات التي يتم تبريدها بالغاز ، وتعمل في درجة حرارة مرتفعة جداً ، فتستخدم اليورانيوم الشديد الإشباع بنسبة ٩٣٪ على الأقل من اليورانيوم ـ ٢٣٥ . **وتبلغ تكاليف إنشاء محطة نووية من نوع الماء المضغوط قوة ألف ميجاوات حوالي ١١٤٧ مليون جنيه استرليني بأسعار عام ١٩٨٠م** ، أما لو كانت المحطة من نوع التبريد بالغاز فسوف تصل التكاليف إلى ١٥٩٠ مليون جنيه استرليني ، هذا بالإضافة إلى تكاليف الإنشاءات الأخرى والملحقات المختلفة تحت الأرض ، أما أسعار اليورانيوم الخام اليوم فيصل سعر الرطل منه إلى ٢٣ دولاراً ، أما رطل البلوتونيوم فيصل إلى ٩٠٠ ألف دولار . وقد ثبت رسميا في الولايات المتحدة نفسها أن المساقط المائية والفحم والبترول الخام والغاز الطبيعي تأتي على رأس مصادر الطاقة في الولايات المتحدة وأن الطاقة المنتجة من هذه المصادر على التوالي تشكل كل منها ستة أضعاف الطاقة المتولدة من المفاعلات النووية ، رغم أن هناك ٨١ محطة نووية في أمريكا حتى عام ١٩٨٤م ، وجاري إنشاء ٤١ محطة أخرى حتى نهاية هذا القرن .

أساسيات النظرية النووية

إن الطاقة النووية تنتج بالإنشطار النووي لذرات اليورانيوم ـ ٢٣٥ (Uranium - 235) وذلك يتحقق بتفجيرها بجسيم يسمى (**النيوترون ـ** neutron) . ويعتبر اليورانيوم ـ ٢٣٥ واحد من النظائر المشعة (isotopes) التي توجد في اليورانيوم الطبيعي ، ويمثل حوالي ٠,٧٪ من الكتلة الكلية ، أما الباقي فيكون اليورانيوم ـ ٢٣٨ (Uranium - 238) .

وكما نعلم فإن نواة الذرة تتكون من جسيمات موجبة الشحنة وتسمى . **بروتونات** (protons) مع جسيمات متعادلة الشحنة وتسمى (**نيوترونات ـ** neutrons) وكل من نواة ذرة اليورانيوم ـ ٢٣٥ واليورانيوم ـ ٢٣٨ بهما نفس عدد البروتونات وهو ٩٢ والذي يسمى الرقم الذري لليورانيوم ، والاختلاف في عدد النيوترونات فهي ١٤٣ للنظير المشع (اليورانيوم ـ ٢٣٥) ، وعددها ١٤٦ لليورانيوم ـ ٢٣٨ .

وبحدوث الإنشطار النووي ينقسم اليورانيوم ـ ٢٣٥ ليشكّل



أسطوانة الضغط المنخفض

جسيمين جديدين ، عادة يتميزان بالنشاط الإشعاعي ويعرفان باسم (**نتائج الإنشطار**) .

والطاقة المتولدة هي نتيجة انطلاق عدد ٣ نيوترونات من كتلة اليورانيوم .

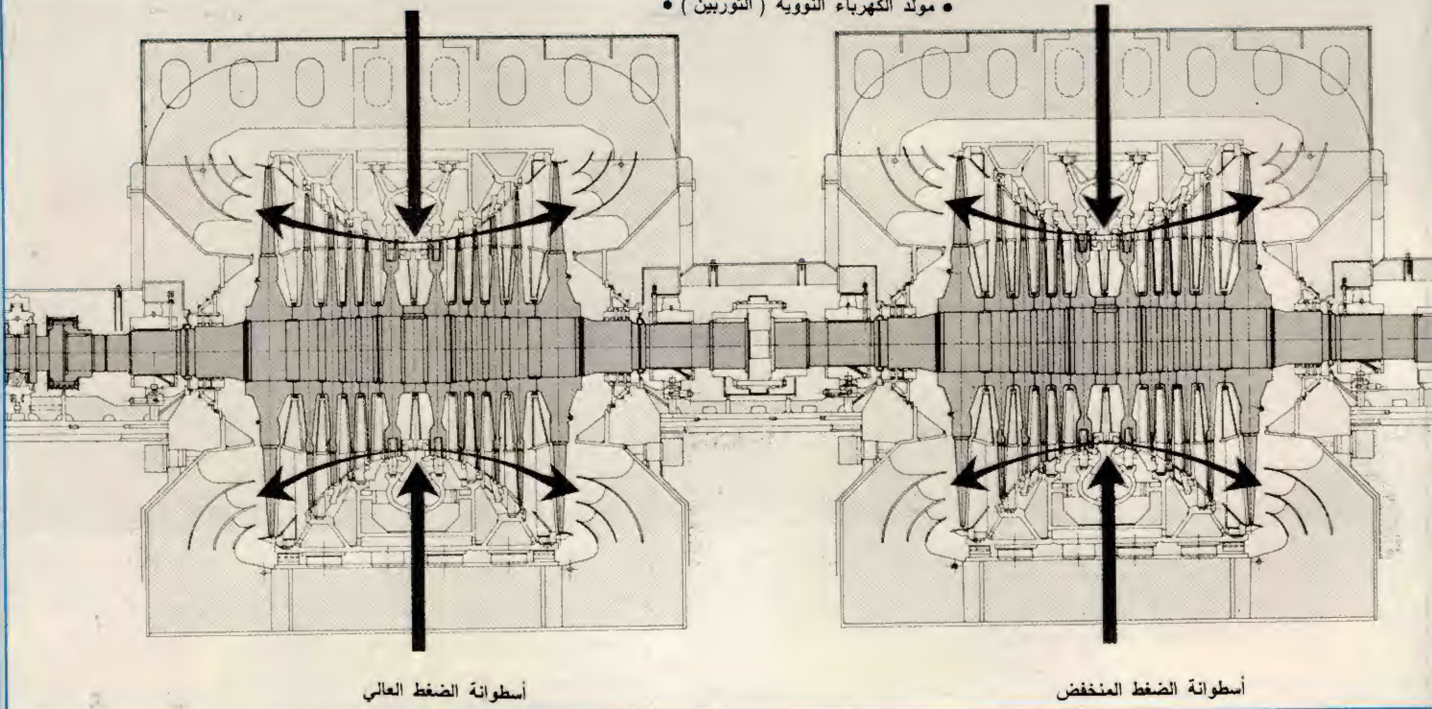
نظريتان لعمل المفاعلات النووية

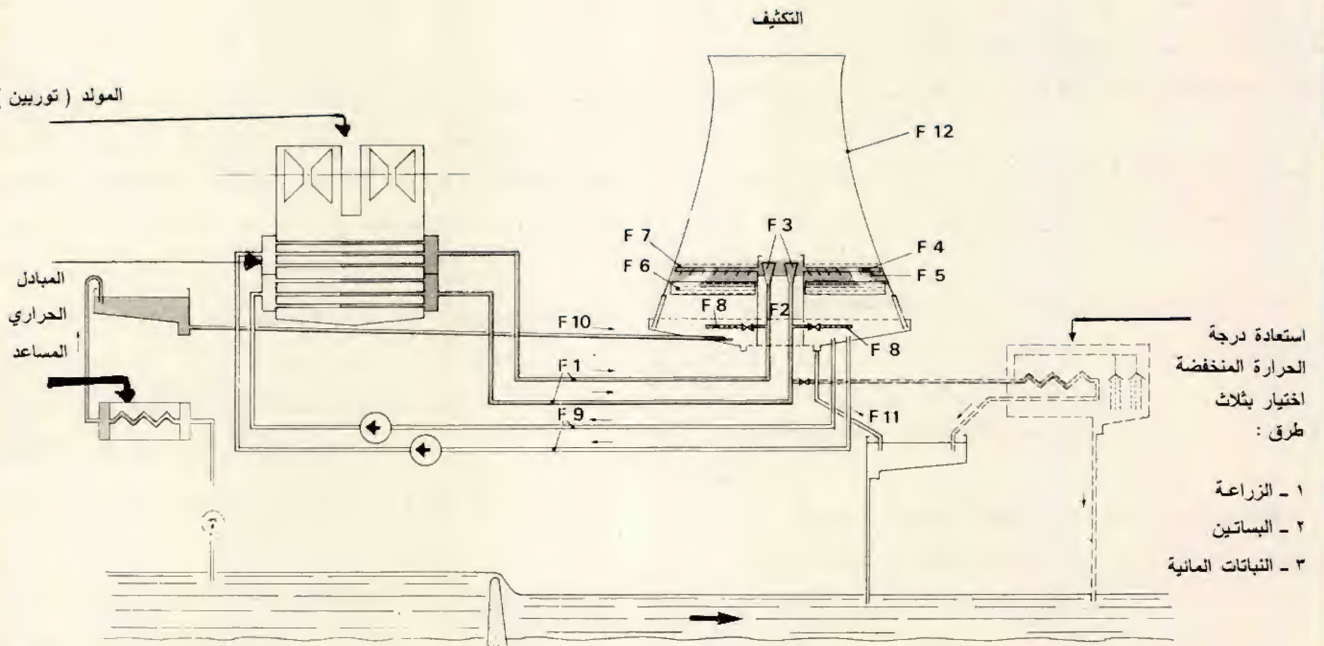
إن المفاعل النووي مصمم بحيث يضمن أن المواد القابلة للإنشطار ترتب بحيث يصطدم أحد النيوترونات بذرة من اليورانيوم ـ ٢٣٥ ، فتخرج ٣ نيوترونات وكمية من الطاقة ثم تستمر العملية باصطدام النيوترونات بذرات اليورانيوم ، وتتكرر العملية فيما يعرف باسم (**التفاعل المتسلسل**) .

وحيث إن مكونات بناء المفاعل (كالحوائط ، والهياكل ،... إلخ) تمتص النيوترونات الحرة وبذلك لا تؤثر في عملية الإنشطار . وبالمثل فإن اليورانيوم ـ ٢٣٨ المتكون نتيجة عملية الإنشطار داخل المفاعل يمتص عدداً من النيوترونات الحرة وبعدها يتحول إلى مادة جديدة قابلة للإنشطار هي البلوتونيوم (Plutonium) وللتغلب على هذه المشكلة **هناك نوعان من المفاعلات أو المحطات النووية** .

* **أولا : مفاعلات الماء المغلي** : عندما يكون حجم اليورانيوم ـ ٢٣٥ في الوقود النووي أقل من ٠,٧٪ كما في اليورانيوم الطبيعي ، يكون من الصعوبة استمرار التفاعل المتسلسل .

ويمكن التغلب على هذه الصعوبة بواسطة استغلال خاصية





● الدائرة المغلقة لتبريد المياه وتتصل هذه الدائرة بمياه نهر قريب من المحطة النووية وتركب على النهر طلمبات لرفع المياه ●



النيوترونات البطيئة (جسيمات قليلة الطاقة) ، وهذا يكون سهلا بانقسام ذرات اليورانيوم ـ ٢٣٥ إلى نظائر ذات سرعة عالية وتكون أقل قابلية للامتصاص بواسطة اليورانيوم ـ ٢٣٨ وتقلل سرعتهم في الانتقال بواسطة سلسلة من العوائق والتي تسمى المرسل (moderator) وهي مادة كالجرافيت مثلا تستعمل لتبطيء النيوترونات في المفاعل النووي . وتنطلق الطاقة المتولدة على شكل حرارة وعندئذ تنتقل إلى الماء الذي يتحول إلى بخار يستخدم في إدارة مولدات الكهرباء (توربينات turbines) . وهذا الانتقال يؤثر في سائل التبريد المختار من أجل قابليته الأقل لامتصاص النيوترونات .

وفي حالة استخدام اليورانيوم الطبيعي كوقود نووي ، يستخدم **الجرافيت** كمرسل moderator **وثاني أكسيد الكربون** المضغوط كوسيط تبريد (Coolant) وفي أحيانا أخرى يستخدم **الماء الثقيل** heavy water (كمثال توجد هذه المفاعلات في **شانون** Chainon وكذلك في **بوجي** Bugey وفي **سان لوران داليكس** في فرنسا) .

★ **ثانياً : مفاعلات الماء المضغوط** : في حالة استخدام اليورانيوم المخصب (enriched) كوقود نووي (حوالي ٣ في المائة يورانيوم ـ ٢٣٥) يمكن استخدام الماء الخفيف (light water) أو الماء العادي (ordinary) كوسيط تبريد (Coolant) .

ويكون المرسل moderator النشط هو **الأيدروجين** الموجود في الماء .

ويحتفظ بالماء المستخدم تحت ضغط عالٍ جداً يمنعه من الغليان . حيث يقوم هذا الماء بامتصاص الحرارة من قلب المفاعل النووي ويحولها من خلال مولد البخار إلى ماء من خلال دائرة ثانوية منفصلة تعمل تحت ضغط قليل جداً .

وهذا الماء يغلي ليولد بخاراً ويدير مولداً توربينيا (turbo-generator) . (وكمثال توجد هذه المفاعلات في **تشوز** Chooz **وجرافلاينز** Gravelines **ودامبيير** Dampieere **وبالول** Paluel وغيرها في فرنسا .

المجمع النووي

يضم عددا من المفاعلات النووية أو المحطات النووية ، وتتكون المحطة النووية من المنشآت الآتية :

مبنى المفاعل النووي : وهو مبنى ضخم مصمم ليحتوي على قلب المفاعل النووي الذي يتم داخله كافة التفاعلات النووية ، كانشطار الذرات وتكون البروتونات (وهو ما يسمى الإنشطار النووي) ، وتتولد عن ذلك حرارة كبيرة داخل قلب المفاعل يتم الاستفادة بها في توليد الكهرباء ، فتنخفض درجة حرارة قلب المفاعل فلا ينفجر ويستمر التفاعل مرات أخرى .

وجدار المفاعل سميك جداً من الخرسانة المسلحة والصلب ومغطى بطبقة سميكة من معدن الرصاص حتى لا تتسرب الاشعاعات خارج المفاعل .

أبراج المياه الضخمة : توجد عدة أبراج تبريد بالمحطة النووية يبلغ ارتفاع البرج حوالي ١٦٩ مترا ، وقطره حوالي ١٣١ مترا والهدف منها هو تبريد قلب المفاعل النووي .

مبنى الخدمات : ويضم الإدارات المعاونة ومولدات البخار (Steam generators) .

غرف المولدات والمعدات الكهربائية والدوائر الكهربائية المساعدة .

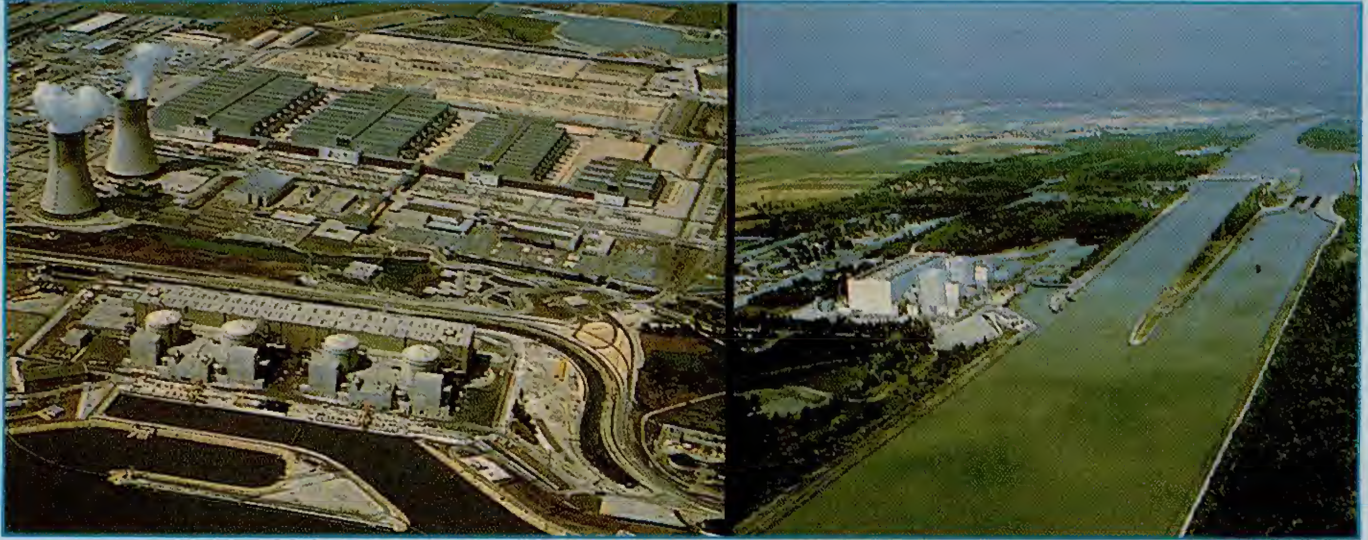
غرف التحكم في تشغيل المفاعل النووي والمولدات الكهربائية وغيرها سواء في الظروف العادية أو الطارئة .

مبنى إداري : يضم الإدارات المختلفة للمحطة النووية .

استخدامات الطاقة النووية

تتحدد طبيعة الاستخدام للمحطات النووية طبقا لسياسة الدولة وعلاقاتها الدولية وإمكاناتها الاقتصادية .

★ محطات نووية تعمل بكامل طاقاتها في توليد الكهرباء ★



فمثلا في **المجال السلمي** : تستخدم المحطات النووية لتوليد الطاقة الكهربائية وتصنيع أجهزة العلاج بالإشعاعات النووية للشفاء من بعض الأمراض الخبيثة وتستخدم بجرعات صغيرة محسوبة بدقة متناهية .

وفي **المجال العسكري** : تستخدم المحطات النووية لتصنيع القنابل الذرية أو تصنيع الرؤوس النووية التي تحملها الصواريخ والغواصات النووية ، ونسمع كثيرا الآن عن الصواريخ متعددة الرؤوس النووية .

وقد يستخدم الوقود النووي في **تسيير القطارات** في المسافات البعيدة (كما في اليابان) أو **تسيير الغواصات العسكرية** (كما في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية) .

الأمـان النــووي

إن مفهوم الأمان النووي يقصد به الاحتياطات الكفيلة بالحفاظ على شروط الأمان المطلوبة في المحطات النووية للوقاية ضد الانفجارات التي تحدث داخل المفاعل أو احتمال تسرب الإشعاعات الذرية الضارة وذلك حماية للمناطق المحيطة .

ولذلك تبنى المحطات النووية بعيدا عن المناطق الآهلة بالسكان وقريبة من مصادر المياه كالأنهار أو البحار وتحاط بجدران سميكة من الخرسانة المسلحة والصلب وطبقة سميكة من الرصاص .

ولقد وضعت قوانين دولية صارمة لاستخدام الطاقة النووية في المجالات السلمية وهناك هيئات دولية عديدة للتفتيش على المحطات النووية للتأكد من طبيعة النشاط النووي وضمان الاستخدام السلمي لهذه المحطات وكذلك ضرورة مراعاة شروط الأمان النووي الموضوعة حماية للإنسان وللبيئة المحيطة .

كما يتم التأكد بصورة خاصة من أبراج مياه التبريد والإنشاءات المحيطة وسمك الجدار للمفاعل النووي وأجهزة التحكم في التشغيل ونظم الأمان والسيطرة عند حدوث أعطال بالمحطة النووية . كذلك ضرورة توفر أجهزة قياس الإشعاعات التي قد تتسرب بالمنطقة المحيطة وكيفية التغلب على ذلك .

الردع النــووي

ظهر مفهوم الردع النووي نتيجة التسابق في مجال التسلح النووي بين الدول الكبرى . ونظرا لضخامة تكاليف برنامج التسلح النووي نشأت تحالفات سياسية وعسكرية بين الدول لعمل مظلة دفاع نووية تحمي مجموعة من الدول وتقاس قدرتها بعدد الرؤوس النووية التي تحملها الصواريخ أو الغواصات أو حاملات الطائرات .

وهناك بصفة خاصة تحالفان عسكريان وسياسيان في العالم هما :

التحالف الغربي : بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ويضم دول حلف الاطلنطي (دول أوروبا الغربية) وكذلك إسرائيل .

التحالف الشرقي : بزعامة الاتحاد السوفييتي ويضم دول حلف وارسو (دول أوربا الشرقية) . ومع زيادة التسليح النووي لكل معسكر يتولد شعور بالردع النووي المتبادل خشية انفجار حرب نووية شاملة لا تبقي ولا تذر .

والمعروف أن تأثير الإشعاعات النووية يستمر لأجيال عديدة ، وليس بخاف ما حدث في هيروشيما ونجازاكي باليابان أثناء الحرب العالمية الثانية حيث ألقت أمريكا القنبلة الذرية التي مازالت آثارها المدمرة تظهر على المواليد .

خـاتمــة

إن الأمان المطلوب في تكنولوجيا بناء وتشغيل المحطات النووية ، إلى جانب التكاليف الباهظة التي تنفق على هذه المحطات ، يضع أمام الدول النامية محاذير شتى تجعلنا نفكر ألف مرة قبل اللجوء إلى الخيار النووي والحل يكمن في المصادر البديلة للطاقة حيث أدى ارتفاع أسعار النفط

• غرفة التحكم في المحطة النووية •

ومشتقاته وانتهاء ما سمي بعصر الطاقة الرخيصة نتيجة إمساك البلدان النامية المنتجة والمصدرة للبترول بزمام تحديد الأسعار منذ عام ١٩٧٣م إلى الاتجاه المتزايد للبلدان الصناعية نحو استخدام مصادر بديلة للطاقة وأدت سياسات تقليل الاعتماد على النفط إلى زيادة نصيب المصادر غير النفطية من ٥٢,٥٪ إلى ٦٠٪ من إجمالي الطاقة المستخدمة بين عامي ١٩٧٣ و١٩٨٣م . وارتبط هذا بإجراءات توفير استخدام النفط وبتنمية استخدام الطاقة الكهربائية المولدة من الفحم في المحطات الحرارية .

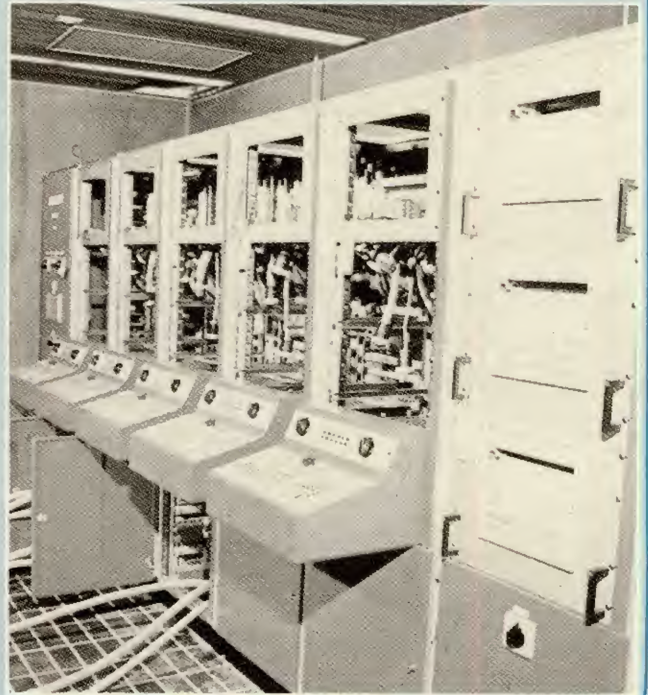
واللجوء إلى استخدام الطاقة الشمسية والاستفادة من مصادر المياه الطبيعية كالشلالات والأنهار في توليد الكهرباء الرخيصة النظيفة .

المصـــادر

1 – Anuclear plant in pictures compiled by: Michel Düsr, ÊLECTRICITÊ DE FRANCE, DIRECTION DE L'ÊQUIPEMENT, Paris, France, 1982

2 – The French nuclear Electricity Programme ÊLECTRICITÊ DE FRANCE, CONSTRUCTION DIVISION, Paris, France. January 1982.

٣ ــ كتاب (تكنولوجيا المحطات النووية .. والأمان النووي) بقلم المهندس/حسن الشامي ــ تحت الطبع .



• لوحة التحكم في المحطة النووية •

يا ليل إني على كتف الكثيب

شعر: موفق جميل الجيوسي

مواكب الليل فيها هامس وجل
وأنفس الليل أنفاس من الأثلِ

ما أروع النجم والأفلاك سابحة
وأعين الحب والإلهام في جذلِ

تراقُصُ النور قطرات الندى سُكبتْ
بقلب من جُنَّ بالأنسام والطللِ

فراح يصدح عبر البيد أغنية
تقبِّلُ الريح والعشاق في عَجَلِ

يا بيدُ أنت عروس الليل بارعةً
وفوق جيدك تحلو أدمع الوجلِ

تُطِلُ عبر دياجير الظلام نهىً
على جبينك والأنغام مبتهلي

قيس وليلى وآلاف الطلول بدت
مع الخيال طيوفاً هزجها أزلي

يا ليل إني على كتف الكثيب هنا
أُلمْلِمُ العطر والأشجان في قُللي!

عشقت منك عباءات مطرزة
بعبقة الطيب والبخُور والأملِ

ففيك تقتحم الألوان أجمعها
ويحمل الشدو في خفقاته جملي

ويمسك النجم من أقصوصتي نتفاً
وتنهل الريح من قلبي بلا مللِ

أنا ابن من زرعوا الإلهام منتجعاً
وشاركوا الطير في قفز وفي نُزُلِ

تنام عند حوافي البيد أغنيتي
ويشحن السحر منها عطر مكتحلِ

وتستفيق إذا ما الطل لامسها
وتستحم بلألاء من القُبلِ

وتستبيح فراشاتٍ ملونة
وترشف النور من فجر بلا عِلَلِ

فتستحيلُ أزاهيراً مغردة
تلف أتلع منه الزهو في خجلِ



الثقافة للجميع



لقطة

زفة العروس في المملكة المغربية

طرائف

●● كانت لجحا زوجتان ، فجلس معهما يتسامر .. وطاب لهما أن تحرجاه فسألتاه أيهما أحب إليه . فقال جحا : « أنتما معاً حبيبتان إلى قلبي » .

فقالتا : « لا .. إنك لا تستطيع أن تضحك منا بهذه المراوغة ، وأمامك هذه البركة .. نخيّرك في إغراق إحدانا بها . فمن منا تُلقي بها في ماء البركة الآن ؟ »

حار جحا في أمره هنيهة ، ثم التفت إلى الزوجة الأولى وقال لها : « أذكر أنك تعلمت السباحة قديماً ياعزيزتي » .

●● أراد جحا أن يتزوج ، فبنى داراً تتسع له ولأهله ، وطلب من النجار أن يجعل خشب السقوف على أرض الحجرات ، ويجعل خشب الأرض على السقوف . فراجعه النجار دهشاً ولم يفهم ما يعنيه .. فقال جحا : « أما علمت ياهذا أن المرأة إذا دخلت مكاناً جعلت عاليه سافله ؟ إقلب هذا المكان الآن يعتدل بعد الزواج » .

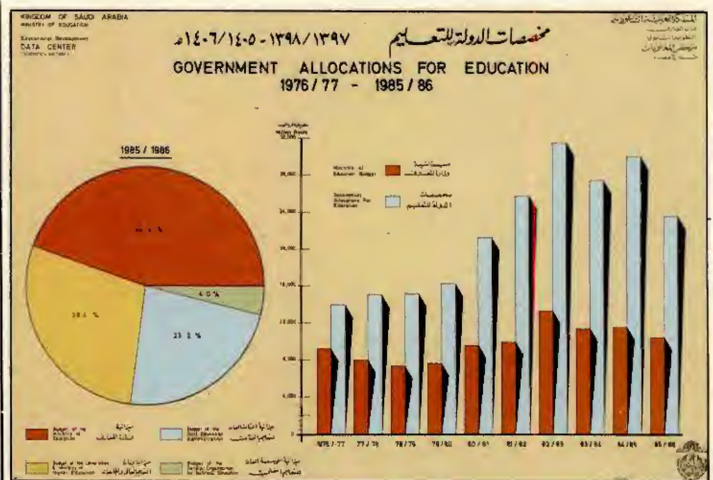


تاريخ .. وحدث

★ قبل أكثر من مائة عام ، بدأ العمل في إنشاء نفق خاص بالقطارات في سويسرا .. اشترك في العمل ٢٤٨٠ عاملاً ، توفي منهم ثلاثمائة وجرح الآلاف .. استغرق العمل في ذلك النفق عشر سنوات .. وبلغ طوله ١٦٢٨٤ متراً .

★ في عام ١٩٣٧م ، بدأ حفر أطول نفق في العالم وهو نفق « ويست ديلاور » .. يبلغ طوله ١٣٦ كيلو متراً ، وقطره ٤,١٠ أمتار ، وانتهى العمل فيه عام ١٩٤٥م .

★ عام ١٩٦٥م ، انتهى العمل في حفر نفق « الجبل الأبيض » ليربط بين فرنسا وإيطاليا . طوله ١١,٦٠٠ كيلو متراً ، وعرضه سبعة أمتار ، وارتفاعه ٥,٩٨ أمتار .



من ذخائر مجلة الفيصل



أهميـــة الترجمـــة

« ومن تاريخ الحضارة البشرية نرى باستمرار أن **الترجمة** تزدهر بفعلِ من مبادرة أصحاب الحاجة إليها : **فالإغريق** لم يعنوا بالترجمة عن الشعوب الأخرى . كما أن **الرومان** لم يترجموا من غير الثقافة الإغريقية إلا قليلاً . ولا أخال المؤرخين إلا مجمعين على أن الترجمة لم تزدهر قبل عصرنا الحديث إلا في عصرين اثنين . كان **العرب المسلمون** طرفاً في كليهما .. **في العصر الأول** منهما كانوا هم النهميون المبادرون إلى الاستفادة من تجارب الغير . وكان ذلك منذ فجر **الخلافة الأموية** ، حتى عصور الركود والتقهقر . نشطت الترجمة في ذلك العصر عندما شعر العرب بحاجتهم إلى جوانب من الحضارة القديمة المجاورة لهم لاسيما الإغريقية .

أما **في العصر الثاني** ، فكانوا هم الروافد المقصودة التي هرعت أوروبا المسيحية اعترافاً منها بسمو الحضارة العربية الإسلامية وتقدمها ، وحاجة أوروبا إلى جوانب منها لتغترف من معينها ، لتصل ما انقطع طويلاً بين الإفرنج وأصول حضارتهم الإغريقية الرومانية التي أخذ العرب عنها وأضافوا إليها ما بهر عصر النهضة في أوروبا » .

دكتور علي أحمد بكر جاد

العدد (١٢) جمادى الثاني ١٣٩٨هـ مايو ـ يونيو ١٩٧٨م

لغة الأرقام



★ بلغ طول شعر الناسك الهندوسي/ ثيروفارو ثيراي ، ٧,٩٣ أمتار عندما قُص بعد وفاته !!

★ السيدة/جين بيندورف ، كان شعر رأسها يصل إلى كعب رجلها بعد تلفه وتجدّله .. وبلغ طوله ٢,٤٣ متراً .

★ النرويجي/هانس لانجسيت (١٨٣٦ ـ ١٩٢٧م) كان طول لحيته عند وفاته ٥,٣٣ أمتار .. وتعتبر أطول لحية في العالم .

★ سيدة أمريكية اسمها « جانيس ديفيري » كانت لها في عام ١٨٨٤م لحية طولها ٣٦ سنتيمتراً .

★ الهندي/مازوريادين ، بلغ طول المسافة بين طرفي شاربيه ٢,٥٩ متراً ـ كان ذلك في عام ١٩٦٢م بعد أن قضى ١٣ عاماً في الاعتناء بهما و« تربيتهما » .

من أقوال العرب

★ قال **أحمد شوقي** :

ينالُ باللين الفتى بَعضَ ما   يَعجزُ بالشِّدةِ عن غَضْبِهِ

★ وقالوا : « إن اللّبيب بالإشارةِ يفهمُ »

★ وقال **أبو تمام** :

السيفُ أصدق أنباءً من الكتب   في حدّه الحَدُّ بين الجدِّ واللَّعِبِ

وأقوال الإنجليز

●● *A soft answer turneth away wrath.*

« الجواب الرقيق يُسكت الغضب »

●● *A word to a wise man is enough.*

« حَسْبُ العاقلِ كلمةٌ واحدة »

●● *Actions speak louder than words.*

« الأعمال أعلى صوتاً من الأقلام »

صورة .. وتعليق



الأم أم .. وإن اختلف جنس الوليد



مهر العلا

أو: لامية العرب الجديدة

شعر: إبراهيم صبري

دَعي الأسَى .. وتعالَيْ نَحْيَا بالأمَل
لا وقْتَ لليأس .. والخفّاقُ في عمل
وكيفَ تمضي بلا بِشْرٍ دقائقُنا
ما دامَ في العمر ساعاتٌ من الأجَل ؟
وهل نبيعُ لماضينا مصايرَنا
وأتعسُ الناس .. من يبكي على طلَل
ولو تَهَيَّبَ كُلٌ مِنْ غدٍ .. لبدا
عصر الصواريخ .. مشدوداً إلى الإبل
وكم قَضَى نحبه ــ حيًّا ــ أخو ألم
يشكو بلا مُشْتكىً .. يَعْيَا بلا عِلَل
وغادةٌ أنضبَتْ كأسَ الشباب جَوًى
تشتاقُ ريا .. وتأبَى رَشْفَةَ النَّهَل
كجَنَّةٍ ضَيَّعَتْ خصب الربيع سُدًى
حتى نأى عن رُبَاها وابِلُ الطَّفَل[1]
وإن يكُنْ شاطئُ الأحلام مقصدَنا
فسابحُ البحر لا يخشى من البَلَل
فأقبلي .. أقبلي .. نَغْشَى الحياة معاً
ونعمر الكونَ بالأحلام والأمل

★ ★ ★

فيمَ التردُّدُ .. والأفلاكُ دائرةٌ
تمضي إلى غايةٍ .. من غابر الأزَل
لا الحزنُ يمنعُ شمساً عن مشارقها
أو يستقلُّ بليْلٍ غير مرتحل
وما توقَّفَت الدنيا لموقعة
أو أبطأتْ سيرها للحادث الجَلَل
فكيف نأسَى .. ووجه الفجر يرمُقُنا
في كلِّ يوم بصبح مُشرقِ المُقَل
وما يُمَيِّزُ إنساناً بخِلْقَتِه
عن سائر الخلْق إلا بسمةُ الجذَل
فحيثُ تَلْقَيْني .. تَلْقَيْنَ مُبتسماً
يقول إنِّي هنا يا كَوْنُ فامتثل
والكونُ طَوْعُ بناني ما بسمت له
وإن عَبَسْتُ .. فكُلُّ الخلق في عذلي
ومَنْ تَجهَّمَ كِبْراً عاش في سَقَرٍ
وللبشاشة جناتٌ من الظُّلَل
والكِبْرُ رَأسُ المعاصي .. مَنْ تَسَنَّمَهُ
فعَنْ خطاياه بعد الكبر لا تَسَلي
وفي تكبّر إبليس، قد استعرت
نارُ الغواية في الدنيا .. ولم تزَل
وما تكَبَّرَ إنسانٌ بمكْرُمَةٍ
فالمكرماتُ عطاءُ الأنفس الذلُل
وكم ذُنوبٍ لنا .. ليسَتْ تُكفرُّها
إلا السماحةُ في قول .. وفي عمَل
ورُبَّ معصيةٍ .. والقلبُ في وَجَل
أجلّ مِنْ طاعةٍ .. والقلبُ في غفَل
وما غَفَلْتُ .. ولكنْ مَسَّني شَغَفٌ
بالحب يصحبني في كل مُنْتَقَل
وللقريض جَناحٌ .. لا تُلاحقه
قوى سُليمانَ من ريح ومِنْ خول
إلا سهامُ عيون الغيدِ تُدْركُهُ
فلا يصيرُ بغير الحبّ في شُغُل
وعصمةُ الله يحبو الأنبياءُ بها
ولستُ أحسبُني في زمرة الرُّسُل
وكم سكرتُ بكأس الحبّ منتشياً
وما قرُبْتُ الطّلا .. مهما اشتهت غَزَلي



ونشــوتي حــين أجفــو الخمــر منتصراً
تفــوق نشــوة مَنْ أغْفَى على ثَـمَل.
وهــل أتــوق إلى خمــر ألــذُّ بهـا
ولــذَّتي بالـحِجَا تعلــو على الـمَثَل.
ولا تقــاسُ بعمــر المــرء فــطْنَتُه
لـكنْ بمـا حصَّلَتْ مِــنْ قيِّم الـمُثُل.
وكـم هـوىً أدركتْ نفسي فما سَــعِدَتْ
إلا بحب لــوجه الله متصـل.
والأصــدقاءُ .. وكـم كابَــدْتُ عِشْرتَهـم
كُثْر .. وكـم منهمــو في خــادع الحُلَل.
لكنـني أتلــق غَـدْرَ غادرهـم
ببســمة تتحــدى غُصَّةَ الفَشَل.
فمــا صديقُك إلا القلــبُ .. تحفظُهُ
مــن السِّقام .. سـقام الــزَّيغ والخَتَل.
ومـــا بلغـــتُ بآمـــالي بــدايَتَها
والعمــر للمنتهى يـمضي على عجَــل.
لكنني جــدُّ راض .. ليس يــظفرُ بي
حقــدٌ .. ولا تحتويني صــنيعة الـملل.
وإن تَـقَدَّم مَنْ دوني .. ليســبقني
في زائف الضـــوء نَـهَّازون للسُّبل.
حَسبي مــن الـمجد أني عشــتُ أطلبــه
بعفَّةٍ تـتأبَّى مســـلكَ الخَـطَل.
وليسَ مجــدٌ بســلطانٍ .. وأُبَّـهَـةٍ
وإنمــا الـمجد في نَفْسٍ بــلا عِلَل.
سَـويةِ القصــد .. لا تــرضى مراوغَـةً
لما تــرومُ .. ولا تلــوي مــع الحِيَــل.
ولا تَـشيدُ مـع الأهــواءِ رفعتَهـــا
على خــرائبَ في مســتنقع الــوَحَل.
فلســتُ أعجــبُ إلا مــن طمــوح فتىً
يغـوص في البئْر .. يبغـي قمة الجبـل. ؟
وإن يكُنْ كُلُّ مجــدٍ في الــورى خُلُقاً
فمــن تقــدَّمَني في المجــد فليقُــل.
وليسَ يـنـطق منْـهـم نــاطقٌ أبــداً
إلا إذا نَـطَقَ الجلـمودُ مــن خـَجَل.



والحُرُّ يمتلك الــدنيا بقبْضَــتِه
وعبــدُ أطماعِـهِ .. في شر معتَقَــل.
وكـم تنكَّرت الــدنيا لعــاشقِها
طمعــاً .. وأعـطت جَناها كلَّ معتــدل
ولا ينــالُ امــرؤ مــن كل زينتهــا
إلا الــذي اختــار أن يحيـا مــن الأزَل
فــإنها حــكمةُ الأقــدارِ .. تدفعُنا
لرسْم مسـتقبلٍ مــن قَبْــلُ مـكتمل.
ولــو كشــفْتُ حجابَ الغيــب لاطَّلَعَتْ
عيــني على كاتــب الأمجــاد يبســم لي
يقول : هذا اختيــاري قــد نعمــت بــه
وإن حملــت عــذاباً غــير محتمــل.
والصــبر مهما يــكن مــراً .. فــطعمه
فيه الشــفاءُ لــكل الــداءِ كالعســل.
وكـم عَــدَوتُ بخـطْوي نحــو شــاردةٍ
فــلم أجــدْها .. وجاءَتْني على مَهَــل.
والعمــرُ ســاعةُ حَظٍّ .. لســتُ أطلبُهــا
إلا بمهــر العُلا في الســاعد البــطل.
فـأحيني اليــومَ .. لــكن كَيْ أعيشَ غــداً
أحلَى كثــيراً بمـــا قــدّمْتُ مــن قِبَلي
حتى إذا جــاءني عــزريلُ قلــتُ لــه
لا وقْتَ للمــوت .. كل الــوقت لــلأمل.

التوائم الملتصقة «السيامية»



بقلم : د . محمد مروان النحاس

** تتفاوت درجة تشوه التوائم الملتصقة بين توأمين مكتملي التكوين وملتصقين ببعضهما التصاقاً محدوداً وسطحياً وبين مخلوقين مشوهين يتمثلان بأجزاء من جسم ملتصقة ببعضها أو بجسم آخر أكثر اكتمالاً من حيث التكوين ، ويندر التناظر في توأمين ملتصقين .**

كانت معظم المحاولات الجراحية لإصلاح هذا التشوه الخلقي المعقد في الماضي فاشلة بسبب الافتقار إلى وسائل تشخيصية تبين الأعضاء والأجهزة المشتركة والملتصقة ، بالإضافة إلى حدوث إسقاطات مبكرة في مثل هذه الحالات أو موت التوأمين مباشرة بعد الولادة ، ونجاح العمل الجراحي مرهون بعدم وجود أعضاء حيوية مشتركة بين التوأمين (كالقلب والرئة كما سيلي سرده) ومعظم الحالات التي تكللت بالنجاح كان التصاقها سطحياً في القسم العلوي من البطن ورغم ذلك فقليل ما نجا التوأمان معا .

لمحة تاريخية

أول حالة توأمين ملتصقين عرفت في تاريخ الطب هي توأمي (Biddenden) المولودين في **انجلترا** سنة ١١٠٠ م وعاشا ٣٤ سنة معا بطرفين سفليين وآخرين علويين مع مستقيم ومهبل مشترك وولد التوأمان (Florentine) في القرن الرابع عشر بثلاثة أطراف علوية وأخرى سفلية ، وعاش التوأمان (الذكر) الاسكتلنديان في القرن الخامس عشر ملتحمين ببعضهما من الخصر مدة ٢٨ سنة . وتعتبر الأختان الهنغاريتان أشهر هذه التوائم في التاريخ ، حيث ولدتا عام ١٧٠١ م وأثارتا فضول شعوب العديد من البلدان المضيفة لهما وكان التصاقهما في أسفل الظهر مع فوهتي شرج ومهبل مشتركين . كذلك اشتهر التوأمان (Eng و Chang) المولودان سنة ١٨١١ م وأمضيا معظم حياتهما في **الولايات المتحدة** (وعنهما اطلقت هذه التسمية على التوائم الملتصقة) بصحة وهدوء وعُمّرا ٦٣ عاما ، ونصحهما طبيبهما الخاص بعدم اجراء العمل الجراحي لفصلهما بسبب وجود كبد مشترك بينهما . وتبلغ الحالات التي قدر لها أن تعيش بأعمار متفاوتة (حتى الـ ٦٣ عاما) بـ ٤٠٠ حالة ، منها حوالي ٥٠ حالة فصلت جراحياً (منذ عام ١٦٨٩ م حتى يومنا الحاضر) أجرى أكثر من ثلثيها في السنوات الـ ٢٥ الأخيرة .

نسبة الحدوث

غير معروفة بشكل دقيق وتتراوح الإحصائيات الأمريكية بين $\frac{١}{\text{٢٥ ألف}}$ إلى $\frac{١}{\text{١٤ ألف}}$ من الولادات و٧٠٪ منها إناثا .

أنواعها

تقع تحت صنفين : أ ـ **متناظرة** ب ـ **غير متناظرة**

أ ـ المتناظرة :

(١) **الملتصقة في ناحية الصدر أو عظم القص** (منتصف مقدم القفص الصدري) أو ناحية السرة . ويكونان وجها لوجه وعلى الأغلب لكل منهما أجهزة منفصلة عن الآخر ولكن الكبد مشترك جزئياً أو كلياً وأحياناً يكون منفصلا ، وكلما كانت منطقة الالتصاق كبيرة ، كلما ازداد احتمال اشتراكهما في بعض الأعضاء ، كالقلب وأجزاء من جهاز الهضم (خاصة القسم النهائي من الأمعاء الدقيقة) .

(٢) **الملتصقة في أسفل الظهر** (القسم الخلفي من الحوض) ويشتركان معا : في عظم العجز (Sacrum) والعصعص ـ المستقيم وفوهة الشرج ـ مثانة مشتركة يتصل بها إحليل واحد بالإضافة إلى احتمال وجود تشوهات أخرى بولية أو تناسلية .

(٣) **الملتصقة في الرأس** : خاصة الجهة الجبهية إلا أنه قد يكون في الناحية القفوية أو الجانبية ، ويكون الدماغان منفصلين أو ملتصقين ببعضهما بشكل طفيف وجزئي .

(٤) **الملتصقة في الحوض والنصف السفلي من البطن** : يشاهد تشوه في الفقرات السفلية مع الاشتراك في عظمي العجز والحوض وطرفين سفليين في كل جانب وتوجد

فتحات للمهبل ـ الإحليل ـ الشرج بين الطرفين من كل جانب .

ب ـ **غير المتناظرة** : يكون أحد التوأمين أصغر ويعتمد على الآخر في عدة أعضاء وأجهزة بينما يكون الآخر طبيعيا تقريبا ونشبّه الأول في مثل هذه الحالة (بالطفيلي) .

آلية الحدوث في المرحلة الجنينية

يمكن اختصارها بأنها حصيلة اضطراب (زيغان) في مراحل عملية تشكل توأمين حقيقيين (وحيدي الزيجة Monozygot والمشيمة والجنس) فبدلاً من انشطار خلايا البويضة الملقحة إلى شطرين منفصلين ومتساويين ليشكل كل منهما جنينا طبيعيا لا يتم هذا الانشطار بشكل تام وتبقى الأجزاء غير المنشطرة ملتصقة ببعضها مؤدية إلى حدوث التصاق التوأمين ، بالإضافة إلى التشوهات الحشوية والعضوية الأخرى .

الفحص قبل العمل الجراحي

عدا الحالات الخطيرة ، التي تستدعي التدخل الجراحي السريع حينما تكون الحياة مهددة ، يجب التريث لمعرفة الأجزاء الحشوية المشتركة بين التوأمين بإجراء التحريات المخبرية اللازمة (شعاعية ـ تصوير طبقي محوري Cat Scan ـ تخطيط دماغي كهربائي ...) ، وذلك حسب نوع الالتصاق ويجب اجراؤها بالسرعة الممكنة خشية وجود تشوه يؤدي إلى موت أحد التوأمين أو كلا التوأمين ، ومن المهم اجراء دراسة قلبية ووعائية دقيقة لمعرفة وجود اشتراك التوأمين في قلب واحد كلياً أو جزئياً وكذلك الأوعية الرئيسية الصادرة عنه (خاصة في حالة الالتصاق بناحية الصدر) ، بالإضافة إلى دراسة كلوية وافية ، وذلك في جميع أنواع الالتصاق نظرا لكثرة التشوهات القلبية والوعائية والكلوية المرافقة .

عملية الفصل الجراحي

تعتبر **العملية القيصرية** الطريق الأمثل لاستخراج التوائم الملتصقة من الرحم وقت الولادة . ومعظم الحالات تولد ميتة أو تموت بعد الولادة بزمن قصير بسبب وجود تشوهات مختلفة مميتة . أما من يبقى حيا بعد الولادة فيمكن تصنيفه إلى صنفين :

(١) صنف يعيش رغم الالتصاق حيث لا توجد تشوهات فيزيولوجية ظاهرة وينمو بصورة طبيعية ويقع من ضمنها الالتصاق في الناحية العجزية ـ الناحية القصية ـ الناحية السرية ـ الناحية الوركية وأسفل البطن ، ويمكن تأخير فك الالتصاق في مثل هذه الحالات لعدة أسابيع أو أشهر من الولادة حيث يكون وزن التوأمين قد ازداد ومدى تحملهما للعمل الجراحي أفضل وإذا وجدت تشوهات غير مكتشفة حين الولادة يمكن خلال هذه الفترة أن تظهر أعراضها وعلاماتها وبالتالي كشفها لإجراء ما يلزم .

(٢) صنف الحياة عندهم مهددة بالخطر بسبب اشتراك التوأمين ببعض الأجهزة الحيوية أو وجود تشوهات خلقية وعندها يجب التدخل جراحياً بصورة إسعافية قبل استكمال كافة الفحوصات والتحريات التشخيصية الآنفة الذكر ، فمثلا :

أ ـ حينما تهدد حياة أحد التوأمين حياة الآخر ، بأن يكون الأول بحالة عامة سيئة أو وزنه قليل .

ب ـ وجود بعض التشوهات القلبية أو الوعائية الشديدة أو تمزق أغشية القيلة السرية Omphalocele .

جـ ـ رضوض ولادية في منطقة الالتصاق سواء خارجية أم داخلية .

اعتبارات جراحية هامة

يجب توفر فريقين من الممرضات والمخدرين والجراحين بالإضافة إلى طاولتي عمليات مجهزتين حسب الأصول ، فحينما يتم فصل التوأمين عن بعضهما يعمل كل فريق على أحد التوأمين وبتنسيق مخطط له ومدروس مسبقا .

قد تعترض الجراحين مواقف حجرة تجعلهم مضطرين أحيانا إلى حرمان أحد التوأمين من بعض الأعضاء أو الأنسجة بنسب متفاوتة في سبيل الآخر ، إلا أن التطور الكبير الذي حصل في نقل وزراعة الأعضاء ساعد كثيراً في حل ما كان مستحيلا في السابق ، وأصبح بالإمكان فصل بعض الأعضاء إلى قسمين كالكبد والمثانة والكلية مثلا واستخدام الطعوم الاصطناعية (مثل السيليكون ـ البروبلين ـ تفلون ـ اكريليك) للترقيع سواء من ظاهر الجسم أو داخله .

نتائج العمل الجراحي

أظهرت بعض الدراسات على عشر أزواج من التوائم الملتصقة خضعت للفصل الجراحي بعد الولادة مباشرة بأن سبعة أزواج منها كانت من النوع الملتصق من الناحية القصية والسرية ، والباقية من الناحية الوركية ، وأسفل البطن والناحية الصدرية وقد عاش أحد عشر توأماً وليداً من أصل عشرين ، من بينهم ثلاثة كانوا خدجا أو بحالة عامة سيئة أثناء العمل الجراحي ، والتسعة الباقون ماتوا لأسباب متعددة (انتانية ـ تنخر في الإمعاء) .

لابد لي في ختام مقالي هذا أن أذكر التوأمين (الذكر) الملتصقين من الناحية القصية والقسم العلوي من البطن المولودين في **أبو ظبي** عام ١٩٨٥ م حيث جرى فصلهما جراحياً بنجاح ، وهما بعمر ٥٠ يوماً ووزنهما معا ٩,٥ كيلو غرام ، **وكانت أول عملية تتم من هذا النوع في منطقتنا العربية** . (جريدة الاتحاد تاريخ ١٣/١٢/١٩٨٥م) .

المراجع

1 – Gans, S.L., Separation of Conjoind Twins in new barne period Jurnal of Ped. Surgery 3: 565 (1968)

2 – Review of the Problem of Conjoind Twins (editorial). S. Afr. Med. J. 42: 409 (1968).

3 – Ped. Surgery 3rd Edition (Year Book Medical Publisher), 1978.

4 – Spencer. R.: Surgical Separation of Siamese Twins. Brit, Jurnal of Surgery 39: 827 (1956)

5 – Aird, I.: The Conjoind Tiwns of Kano, Brit. Med. J. 1: 841 (1954).

6 – Wilson H., and Storer, E.H.: Surgery in Siamese Twins. Ann. Surg. 145: 718, 1957.

الليلة المباركة

شعر: محمد محمد السنباطي

نسائمٌ ، من عميق الروح قادمةً ، … تنساب فينا وتسري حولنا عطرا

حشدٌ من الناس ، والصدّيق بينهمو … يصغى إليهم ولا يدري لهم عذرا

يامعشر الناس : صدّقناه في خبرٍ … من السماء ، فما أخباره الأخرى !

إن كان قال .. فحقٌّ ما يقول بهِ … قد اتبعناه سرّاً قال أو جهرا

إنّ الذين سقَوا بالشكّ شوكهمو … ضلّو فلم يعرفوا للمصطفى قدرا

هـو النبـيُّ ، وقـرآنٌ يؤيـدهُ … بآية الحق « سبحان الذي أسرى »

من مسجدٍ في قلوب الناس كعبتُهُ … لمسجدٍ صار يشكو الجَوْر والأسرا

يامسجدا ضمَّ كل الأنبياء ، ومن … يؤمّهم خيرُ من صلّى بهِ ، : صبرا

صبراً إلى أن يشاء الله ، إنّ لنا … وعداً به موعدٌ نلقَى به النصرا

الأطفال واللعب

بقلم : يعقوب الشاروني

***** إذا قارنا بين المولود البشري وغيره من صغار الحيوانات ، نجد أن الرضيع البشري أقل حيلة وأكثر اعتماداً على عناية الوالدين من صغار الحيوانات الأخرى ، ومرحلة طفولته أطول بكثير من مرحلة الطفولة عند سائر الحيوانات ، في نفس الوقت نجد المولود البشري أقدر على التعلم من أي مولود حيواني آخر ، ومن أكثرها قدره على أن يستفيد من تجربته الشخصية . ويمكن القول بوجه عام إنه كلما كان صغار فصيلة ما من الحيوان أقل حيلة ، وأكثر اعتماداً على عناية الوالدين ، وكلما كانت مدة احتياجها إلى هذه العناية أطول ، كان أفراد هذه الفصيلة أكثر ذكاءً ، وأعظم قدرة على التعلم ، وملاءمة البيئة ، وأقل اعتماداً في الحياة على الغرائز الثابتة الموروثة . والحيوانات التي هي أقدر على التعلم ، هي كذلك الأقدر على اللعب ، فاللعب هو وسيلة النمو للحيوان القابل للتعلم .**

أنواع اللعب

اللعب هو النشاط الذي يقوم به الطفل بهدف الحصول على متعة أو لذة ، بصرف النظر عن نتيجة هذا النشاط . ونشاط اللعب تلقائي دائماً ، أي ينشغل به الطفل دون أي ضغط أو إرغام خارجي . واللعب بهذا المعنى له أنواع متعددة ، **فهو إما لاكتساب المهارات ، أو لعب استطلاعي ، أو لعب إيهامي ابتكاري .**

●● اللعب لاكتساب المهارات : عندما نرى الطفل الذي تجاوز العام من عمره يجري ويتسلق ويثب ويرمي الكرة ، فهو يكرر الحركات التي تُنمي القوة والخفة في ساقيه وذراعيه وأصابعه .

إن سرور الطفل بالحركات يظهر أولا في صورة الابتهاج الحسي البسيط بالحركة في حد ذاتها ، ثم يتطور فيحس بالاغتباط عندما يقوم بعمل جديد أو صعب ، وهو الاغتباط نتيجة تحقيق غاية ، كتعلم المشي أو وضع مكعب فوق آخر أو النطق بكلمة جديدة . إن هذه التجارب هي التي تنمي جسم الطفل وعقله .

●● اللعب الاستطلاعي : يضيف الطفل عن طريق اللعب ، معلومات جديدة عن العالم . فمن خصائص الأطفال الأصحاء ، اهتمامهم باستطلاع كل ما يجري حولهم من أشكال ، وألوان ، وأصوات ومساحات . إنهم يلمسون الأشياء ويتذوقونها ، ويصغون إلى الأصوات ، وينقبون ليشاهدوا كل شيء ، ويعرفوا كل شيء . وكل ما نراه في نظرنا عادياً ، قد يكون في نظرهم ذا قيمة عظيمة : كالطهي ، والغسيل ، والاستحمام ، وإشعال المصباح ، وملاحظة العمليات الجسمية : كالأكل ، والشرب ، ومشاهدة المطر ، والشمس ، والقطار ، والسيارات . كل هذه

أنواع من الأشياء التي تشغل عقول الأطفال ، وحواسهم ، وأصابعهم ، فيلاحظون ، وينقبون ، ويتناولون ، ويفكرون ، ويخلعون ، ويوازنون ، ويتذكرون ، ويحكمون ، ويزرعون النباتات ، ويربون الحيوانات ، ثم تتدفق علينا أسئلتهم بكثرة متناهية ، يريدون أن يعرفوا كل شيء .

●● **اللعب الإيهامي أو التخيلي أو الابتكاري :** وهذا هو الجانب الوجداني في لعب الأطفال ، والمتصل بعالم الخيال . فالطفل عندما يكون صغيراً جداً ، يستمتع بألعابه بقدر ما يستطيع أن يفعل بها ، وكلما كبر ، فإن ما يَسُرُّه منها هو ما يتخيله فيها . ذلك أنه يبتكر لنفسه عالماً من الخيال ، يدور حول لعبه العادية ، فيخلع عليها معاني جديدة ، وقد يُحَوِّل غرفة اللعب في خياله إلى غابة مليئة بالحيوانات ، أو إلى بحيرة تتحول فيها المقاعد إلى قوارب ، وقد يمثل دور الأم أو الأب أو الجندي ، ويستغرق سعيداً في هذه الخيالات ، التي تُسَهِّل على الطفل الاندماج في عالمه الاجتماعي ، كما أنها تقوم بدور صمام النجاة لرغبات الأطفال ومخاوفهم المكبوتة .

وظائف اللعب

١ ـ **الوظيفة الجسمانية :** فعن طريق اللعب الجسماني ، ينشط الجسم كله وتنمو العضلات ، كما أن اللعب متنفس ضروري للنشاط الزائد عند الطفل . إن الطاقة الجسمية الزائدة غير المستخدمة تسبب نوعاً من التوتر أو العصبية .

وفي المراحل المبكرة من حياة الطفل ، يكون اللعب في معظمه جسمانياً . أما في المراحل التالية ، فيظهر أيضاً اللعب غير الجسماني ، مثل القراءة ، والرسم ، والبناء بالمكعبات .

ومن الملاحظات أن للوالدين تأثيراً على الطفل فيما يتعلق بتفضيله اللعب الجسماني على اللعب العقلي أو العكس .

٢ ـ **الوظيفة العلاجية أو النفسية : هناك وظيفة علاجية مباشرة ، تأتي عن طريق الألعاب الرياضية والتمرينات البدنية . وهناك وظيفة علاجية غير مباشرة عن طريق اللعب الإيهامي أو الخيالي .**

الأطفال واللعب



٣ ـ **الوظيفة التربوية للعب :** وهي التي يكتسبها الطفل عن طريق اللعب الاستطلاعي واللعب لاكتساب المهارات . إنه يتعلم معنى بعض المفاهيم الأساسية مثل الأحجام والألوان والمسافات . كما أنه يكتسب الكثير من المعلومات ، مثلاً عن حركة السيارات والطائرات ، أو شروط بعض الألعاب الرياضية . كما أنه عن طريق اللعب الاستكشافي وجمع الأشياء مثل طوابع البريد ، يكتسب الطفل معلومات كثيرة لا يمكنه تحصيلها من الكُتب . كما أنه يمكن للطفل عن طريق اللعب أن يصبح قادراً على التمييز بين الحقيقة والخيال .

٤ ـ **الوظيفة الاجتماعية :** يتعلم الطفل أثناء اللعب كيف يسلك مع غيره ، أي يساعده اللعب في نموه الاجتماعي ، فهو يتعلم مثلاً التعاون أي الأخذ والعطاء سواء مع الكبار أو غيره من الأطفال . كما تتحسن اتجاهات الطفل نحو أفراد عائلته عن طريق اللعب الخيالي ، فمثلاً إذا كان الطفل يشعر بغيرة شديدة من أخ وأخت له ، فيمكنه عن طريق اللعب الخيالي أو الإيهامي أن ينفس عن هذا الانفعال ، وبالتالي يصبح في سلوكه وتفاعله الاجتماعي أكثر تكيفاً .

٥ ـ **الوظيفة الخلقية :** يتعلم الطفل عن طريق اللعب قيماً متعددة ، مثل : الأمانة ، والتضحية ، والعدل . فالأطفال في لعبهم الجماعي مثلاً ، لا يتحيزون لفرد منهم ، وإذا حاول أحدهم التحيز تلفظه الجماعة ، وهذا دليل على تقديرهم لقيمة العدل .

كيف يلعب الأطفال ؟

تختلف طريقة لعب الأطفال ، والأشياء التي يلعبون بها ، تبعاً للدرجة التي بلغوها من النمو ، وللبيئة التي يشبون فيها .

★ **أولا : الرضيع :** يتعلم الرضيع باللعب الحر ، فهو يحرك يديه ورجليه ، ويحاول أن يقبض على الأشياء ، وأن يركز عينيه على أصابعه ، وأن يضع الأشياء في فمه . إنه يتعرف على المناظر ، والأصوات ، والروائح ، والملابس في العالم المحيط به . فالرضيع في حاجة إلى فرص ليتعرف على الأشياء باللمس ، والحس ، والسمع ، والبصر ، وهذا يساعده بالتالي على التحكم العضلي : مثلاً ، في حركات العينين ، والأصابع ، واليدين ، وتوافقها معاً .

ومن اللعب المناسبة لهذه السن : الدمى التي على شكل الحيوانات الأليفة ، وكرات المطاط ، أو البلاستيك ذات الألوان والأحجام المختلفة ، وذات الملمس المختلف (**خشنة ، ناعمة ـ صلبة ، لينة**) والأجراس ، والحلقات ، والخرز الكبير اللامع ، والشخاشيخ .

وينبغي أن تكون جميع لعب الرضيع سهلة التنظيف ، وألا تكون مطلية بمواد كيماوية يدخل فيها مواد سامة مثل الرصاص . وألا تكون مصنوعة من الزجاج أو الصيني حتى لا تكون خطرة أو سهلة الكسر ، وألا تكون بها حواف حادة أو أطراف مدببة ، وألا تكون صغيرة الحجم حتى لا تكون قابلة للبلع .

★ **ثانياً : من سن سنة أو ١٥ شهراً إلى سنتين ونصف :** يبدأ الرضيع في اكتساب شيء من السيطرة على حركات أصابع يديه ورجليه ، فيتعلم الزحف ثم المشي وتسلق

درجات السلم . إنه يحب أن يتسلق الكراسي ، وأن ينظر في الصناديق ، وأن يفرغ ما في الأدراج . يريد أن يلمس كل شيء ، وأن يحركه ، أو يذوقه ، أو يسقطه ، أو يقذفه ، أو يمسكه ، أو يخفيه . واللعب في هذه الفترة انفرادي عادة ، مع ميل شديد إلى النشاط ، والحاجة إلى لُعَب تثير مختلف الرغبات .

وأفضل اللعب لهذه السن هي أبسط اللعب ، أما اللعب الدقيقة المعقدة فتربك الطفل في هذه السن وتعوقه ، كما أنها لا تفسح مجالا كبيراً لقدراته على التخيل والإبداع . **إن الطفل هنا يُبدي قدراً محسوساً من الابتكار عندما يلعب بعدد من الأواني ، أو بصناديق من الورق المقوى ، أكثر مما يفعل إذا أعطيناه لعباً ميكانيكية غالية الثمن .**

ومن اللعب المناسبة لهذه السن ، اللعب التي يدفعها الطفل ويجذبها ، وهذه تشجعه على المشي ، وكرسي صغير يجره أو يصعد فوقه ، ومكعبات كبيرة ، مع مجموعات من مكعبات متدرجة في الأحجام ، وكرات مختلفة الأحجام والأوزان ، وصناديق يمكن فتحها وإغلاقها ووضع بعضها على بعض . ودمى ، وعرائس ، وتماثيل للحيوانات ، سيتخيل الطفل أنها حية وينسج القصص حولها ، وخرزات كبيرة يضمها في خيط . وصندوق للرمل ، وأدوات للحفر ، ونماذج بسيطة للسيارات ، وكتب مصورة جيدة . كذلك يهوى الأطفال في جميع الأعمار اللعب بالماء .

★ ثالثاً : قبيل سن المدرسة : تقوى العضلات ، ويتدرب الطفل على الاحتفاظ بتوازنه فوق الأماكن العالية ، ويمضي في الجري ، والقفز ، والتسلق ، والاستطلاع لاستكشاف قوته الجسمانية ، والحسية الجديدة . ويبدأ من سن الثالثة في اللعب مع غيره من الأطفال ، وإن كانت عملية تعلم اللعب مع الآخرين تمتد فترة طويلة من الزمن ، وليس من الحكمة أن نفرض على صغار الأطفال قبل الأوان فكرة المشاركة والتعاون . ويتقن الطفل في هذه المرحلة ركوب دراجته ذات العجلات الثلاث ، ويجد متعة في اللعب الإيقاعي والرقص على أنغام الموسيقى ، وفي الغناء ولو بترديد كلمة واحدة .

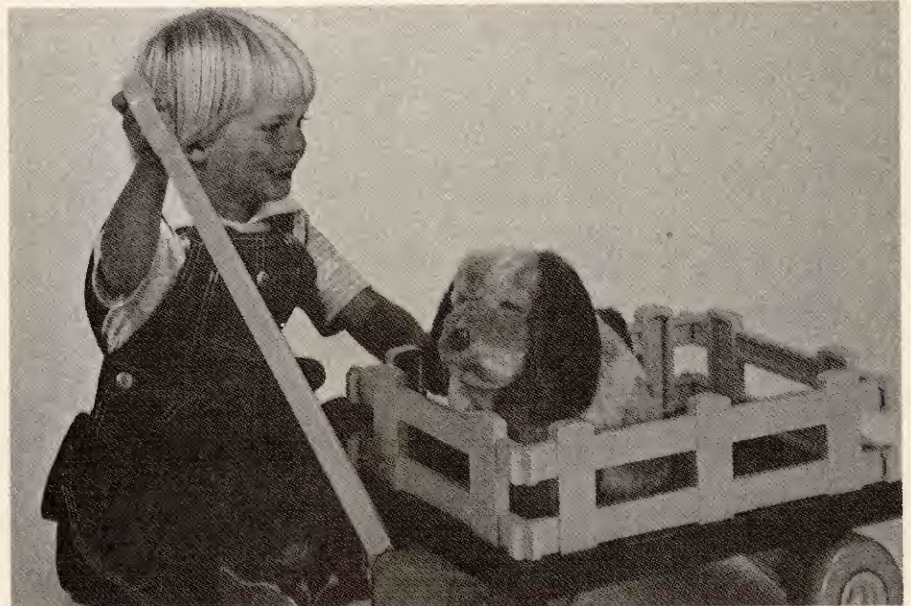
ومن اللعب المناسبة لهذه المرحلة ، تلك اللعب التي تستخدم فيها العضلات الكبيرة ، كالدراجة ذات العجلات الثلاث ، والزحافة ذات البكر ، والحصان الخشبي ، وعربة اليد ذات العجلة الواحدة ، والمكعبات التي استخدمها في مراحل سابقة مع زيادة مكعبات أكبر حجماً ، والقطارات ، والعربات ، والطائرات ، والسفن ، وتماثيل الحيوانات والناس . ثم الأشياء التي تساعد على تمثيل الخبرات الحية التي يمر بها الطفل ، مثل : أدوات التنظيف ، والطبخ ، والخياطة ، والغسيل بالنسبة للبنات ، وعربات النقل ، وأدوات البناء ، والقطارات بالنسبة للأولاد ، وإن كانت ميول الصبيان والبنات تلتقي كثيراً في هذه السن ، خاصة في اللعب بالماء والرمل .

★ رابعاً : السنوات الأولى من مرحلة المدرسة الابتدائية : يذهب معظم الأطفال إلى المدرسة في سن السادسة ، فيجدون فرصة اللعب مع كثير من الأطفال . ويحتاج الطفل ، بعد دخول المدرسة ، إلى فرص كثيرة للعب العنيف ، ليعوض ساعات السكون في حجرة الدراسة .

ونتيجة الاطلاع والمعلومات المكتسبة من المدرسة ، يتضح اللعب ذو الغرض ، ويتزايد حب الاستطلاع للمعرفة ، فيهتم الأطفال بفلاحة البساتين ، وبإجراء تجارب عملية بسيطة . ويجدون متعة في بناء الأشياء ، ويمكن أن يزاولوا النسيج على نول خشبي ، ويصبحون قادرين على صنع أشياء من الخشب **(هواية النجارة)** ، ويفتنون في صناعة أشياء من بقايا الورق المقوى ، والخيوط ، والأقمشة . كما يُظهرون عناية كبيرة بالحيوانات الأليفة ، مثل القط ، والكلب ، أو الحمام ، وهذه تساعد الأطفال على أن يتعلموا شيئاً من المسؤولية والاهتمام بحاجات غيرهم .

وفي هذه الفترة ، يبدأ شعور المنافسة في الظهور ، ولا بد من إشراف الكبار لوقاية الصغار من الشعور بالتثبيط أو الهزيمة ، فالطفل الذي لا تعلق رسومه على الحائط ، أو الذي لا يختاره أحد للاشتراك في تمثيلية ، أو للاشتراك في تنظيم الدخول إلى حفل ، قد يفقد اهتمامه بالنادي أو المدرسة . والمشرف الحكيم يستطيع أن يساعد الطفل على إثبات ذاته دون أن يسرف في العدوان .

واللعب المناسبة لهذه السن تشمل كثيراً من مواد الأشغال التي سبق أن ذكرناها في المراحل السابقة ، والتي يستعملها الطفل الآن بطرق



جديدة ، ومهارة جديدة ، مثل المكعبات ، والصلصال ، والألوان ، والمقصات غير الحادة ، والدراجة ذات العجلات الثلاث ، والعرائس ، واللعب الصغيرة التي تمثل أثاث المنزل . كذلك بعض الأدوات الرياضية البسيطة ، وقبقاب ذو عجل ، وأجهزة علمية وبنائية بسيطة (**ميكانو بسيط**) ، وألعاب سحرية ، وأنوال ، وآلات ، ودمى مصنوعة باليد ، أو مواد لصنعها ، وسبورة ، وأقلام ملونة ، وكتب ، وأدوات موسيقية بسيطة .

وهنا يحب الأطفال الألعاب الجماعية ، مثل الكراسي الموسيقية والثعلب فات . وألعاب الحدائق مثل المراجيح ، والزحليقة ، وبيت جحا ــ كما يحبون دروس التربية البدنية (الجمباز) .

★ خامساً : مرحلة السنوات الأخيرة في المدرسة الابتدائية : بعد سن الثامنة أو التاسعة ، تكون ميول اللعب قد وصلت إلى ذروة تنوعها عند الأطفال . فتزداد قدرتهم على تنسيق حركاتهم ، وتقوى عضلاتهم الصغرى ، ويزداد إقبالهم على تعلم المهارات الضرورية لتأليف التمثيليات وتقديمها ، وإعداد المعارض ، والقيام بالتجارب العلمية البسيطة **(نوادي العلوم)** .

ويميل الأطفال في هذا الدور إلى الألعاب الجماعية ، وإلى أن يصبحوا مقبولين في جماعة . ويظل اللعب التمثيلي محبباً ، ويستمتع الأطفال بألعاب التخمين مثل لعبة « **الصورة أو الكتابة** » على أحد وجهي قطعة نقود معدنية أو « **الزوج والفرد** » في عدد من الخرز أو الحبوب . كما يلعب الأطفال ألعاب أغنية المدارس ، مثل « **عسكر وحرامية** » « **وصيد الحمام** » بالنسبة للأولاد ، « **والحجلة** » .. « **ونط الحبل** » بالنسبة للبنات ويمكن أن يمارسوا بعض الألعاب الرياضية ، مثل **كرة القدم والفولي بول** . ولكن قوانين اللعب تظل فوق مستواهم بعض الشيء ، لكنهم يصبحون قادرين على أداء حركات في التدريبات البدنية أكثر تعقيداً .

الأطفال واللعب



وهذه السن هي سن الادخار ، سن جمع الأشياء ، من الطوابع ، إلى أوراق الشجر المختلفة ، إلى الفراشات ، حتى وإن ظهر الأمر للكبار كأنه تفاهة عقل . فجمع الأشياء من أهم الوسائل الرئيسية التي يستطلع بها الطفل الاهتمامات المختلفة ، ويصرف فيها طاقته بطريقة منتظمة .

★ سادساً : مرحلة قبيل المراهقة : فيما بين العاشرة والثالثة أو الرابعة عشرة ، يحب الطفل أوجه النشاط العنيفة والمغامرات . إنها مرحلة البحث عن البطولة لكنه يستمتع كذلك بفترات من اللعب الهادئ ، وبالقراءة ، ومشاهدة برامج التلفزيون التي يحبها .

وفي هذه السنوات ، يزداد الميل إلى الألعاب الرياضية ، وبخاصة عند الصبيان ومن المهم أن تتوفر لهم أدوات الرياضة وفرص اللعب وتوجيه الكبار .



وفي هذه السن ، تجب مساعدة الطفل على اكتساب المهارات الأساسية اللازمة للألعاب التي سيظل يمارسها وهو مراهق ، وربما يمارسها وهو كبير ، وهي ما نسمية « **الهوايات** » .

والطفل في هذه المرحلة يبحث عن خبرات من اللعب خارج محيطه المباشر ، الذي يتألف من البيت والمدرسة . ونحن نحتاج إلى مزيد من التنظيم لنستثير ــ داخل المدينة ــ الخيال وروح المغامرة لدى أطفال هذا العمر . مثل الرحلات الصغيرة ، والمعسكرات ، وزيارة مختلف الأماكن . ويمكن البدء دائماً باستكشاف المنطقة المحيطة بالأطفال ، والذهاب لمشاهدة معالم المدينة الشهيرة ، والمتاحف ، والمؤسسات الصناعية والتجارية ، والأحياء السكنية المختلفة .

ومما يساعد على إشباع شوق الطفل في هذه السن إلى المغامرات ، ويعزز شعوره بقيمته وأهميته ، أن نسمح له بالقيام بمسؤوليات اجتماعية ، كأن يشارك في إنشاء ملعب ، أو توزيع تذاكر الدعوة إلى حفل ، أو جعله مسؤولا عن النظام أو الدخول إلى ذلك الحفل ، أو عن إصدار صحيفة حائط أو عن إقامة معرض . ومعسكرات العمل نموذج ناجح لإشراك الأطفال في تحمل المسؤوليات عن مجتمعهم .

★ سابعاً : مرحلة المراهقة : اللعب هنا أشبه بلعب الكبار . . فالمراهق يزداد ميلاً إلى الدقة في اختيار ضروب نشاطه كلما اقترب من النضج ، وتبدأ ميوله في التحدد حتى تقتصر على عدد قليل يركز فيه اهتماماً أكبر . وعلى المشرف أن يساعد اليافعين على اكتشاف ميولهم الحقيقية ، وأن يشجعهم على تنمية هذه الميول .

وتشمل أدوات اللعب المناسبة لليافعين ، أكثر الأدوات التي يمكن أن يهتم بها الكبار ، كأدوات الرياضة بأنواعها ، ومواد الصناعة ، ومواد مختلف الفنون وأدواتها . مع الحاجة إلى القيادة المستمرة ، المشبعة بالفهم ، والعطف ، والاحترام من الآباء ، والمشرفين ، والمعلمين ، والإخصائيين .

＊＊

فشل الحملات الصليبية عسكرياً وفكرياً

بقلم: نذير حمدان

إن الحملات الصليبية على امتداد قرنين من ٩٤٠ ـ ٦٩٢ هـ ١٠٩٥ ـ ١٢٩١ م يمكن أن تحسب بثماني أو تسع حملات كانت لكل منها فترة زمنية محددة بدءاً ونهاية[١] . ولكن الحسبة التسعية المحددة لا توافق عليها كثير من الدراسات الأخرى التي (إذ لم يمر عام واحد دون مجيء جموع صليبية جديدة ...)[٢] .

وجلّ مؤرخينا الأقدمين كانوا يفصّلون أحداثها وفق السنين وليس تبعاً لأرقام معينة . وهي تنوّه بحملات مستمرة وإن اختلفت فيما بينها شدة وعنفاً .[٣]

ومن الدراسات الاستشراقية التاريخية تقسيم وتوزيع مرحلي ، يستوعب نظرة شاملة للحملات بغض النظر عن حصرها في عدد قليل أو كثير . وهي دراسات تقوم على إبراز مراحل الهجمات الصليبية واستقرارها في بلاد الشام ومصر والعراق .

وإذا كانت هذه المراحل تشمل حقبة : الظفر ، والاستقرار ، والضعف ، والانحسار فإنها من جانب آخر تغفل الحركات التحررية المستمرة التي حاولت طرد الصليبين المستعمرين مهما قلّ عددها وضعف أثرها ، وكانت على نطاق القرية أو الحصن أو المدينة[٤] .

١ ـ عوامل الفشل

مامن شك أن ثمة أكثر من عامل تضافر لتوهين العنفوان الصليبي ، وشراسة جيوشه وبربريتها التي قلّ نظيرها في التاريخ الإنساني ، نذكر منها :

أ ـ **الاضطراب المستمر على المسرح المدني :** فلم يتمتع الصليبيون بحقبة الاستقرار طويلاً إلاّ حين كانت القوى العربية الإسلامية تتوزع هنا وهناك ، أو تستغل خلافات الأسر الحاكمة المسلمة ، وأعداؤها كانوا يحتلون الأرض والإنسان في عقر داره .[٥] وفيما عداه فإن الاضطرابات من الأهالي تعبر عن رفض الدخيل والدخلاء وتزعج المستعمر في حياته العسكرية والسلمية .

ب ـ **الإحساس المعادي العنيف :** فلم يكن ليضعف هذا الإحساس ضد الدخلاء في أي وقت امتزجت فيه وقفات المسلمين الجهادية أمام شراسة الغربي ووحشيته مع كراهيته المقيتة لروحه الأجنبية التي تريد أن تستغل الدين والأماكن المقدسة في سبيل أطماع استعمارية غاشمة . ولم يخفف من ذلك استخدام العديد من الصليبيين دور المسلمين وعاداتهم ومحاولاتهم إقامة علاقات ودية فيما بينهم وبين المسلمين .

ج ـ **قيادة مجاهدة :** وأمام الرأي العام المناهض والاتجاه الشعبي المقاتل كان بعض حكام المدن يستجيبون للزحف المقدس ويقودون جموعهم إلى الجهاد وضمن العمل الصفي القتالي الموحد . وبالمقابل أضحى كثير من قادة الدول (الأسر) المتعاقبة يلتزمون بمسئولياتهم الإسلامية في تحرير بلادهم بعد أن تخصلوا من المشكلات الأسرية والسياسية .[٦] .

إن العوامل السابقة قد ساهمت وبشكل ملحوظ في استرداد الديار الشامية والمصرية والعراقية ساحلاً وداخلاً ، بعد أن أقضّت مضاجع الغرباء وجعلتهم يأسفون ويندمون على ما جنت أيديهم واقترفت أعمالهم من بربرية وعار إنساني ، وبعد ما قدمت عشرات الآلاف من ضحايا أقوامهم وأموالهم في غير ما طائل .

٢ ـ تحرير المدن الإسلامية

لقد تساقطت المدن الإسلامية بيد الأمراء والقادة المسلمين بداية من الأتابكة (السلجوقيين) . ونهاية بالمماليك (الشراكسة والأتراك) . وبدأت العمليات التحررية من الشمال الشرقي لبلاد الشام وشملت فيما بعد المدن الساحلية والداخلية ، وتوّجت بتحرير **القدس** ، ثم انتهت باسترداد **عكا** وحصونها المنيعة .

أ ـ الرها (أورفا) بين نهري دجلة والفرات . حيث كانت تجمع مدارس الفلسفة والعلوم إلى اللاهوت ، وصلة الوصل بين الساحل الشامي والمدن العراقية والفارسية في الداخل ، ثم هي المنطقة الفاصلة بين الإمبراطورية البيزنطية شمالاً وبين بلاد الشام جنوباً .

وكان الأمير (جوسلين) قد استأثر بها وحكمها ، فبدأ (عماد الدين زنكي) بمهاجمتها بعد حصار دام أربعة أسابيع ودخلها سنة ٥٣٩ هـ ـ ١١٤٤ م وقد عرف عن (زنكي) قوله (إنه لا يجوز في السياسة تخريب مثل هذه البلد) .

وقام ابنه نور الدين بتحرير القرى والمنطقة حولها فيما بعد .

ب ـ انطاكية وطرابلس : وبطلهما الشهيد نور الدين بن عماد الدين السابق ، فقد قدم إلى انطاكية وانتزعها من أميرها الصليبي (بوهمند) الثالث سنة ٥٦٠ هـ ـ ١١٦٤ م ، ثم اتجه إلى طرابلس وأسر صاحبها (ديموند) الثالث ، فأصبح لديه أميران أسيران ، ولكنه عرف مقامهما فأطلق سراحهما ، وحين عاد الصليبيون إلى أنطاكية نهض إلى تحريرها ثم (بيبرس) سنة ٦٦٥ هـ ـ ١٢٦٨ م . ولا تخفى أهمية هاتين المدينتين : وبخاصة (أنطاكية) من الناحية الدينية والعسكرية ، فقد حمل الأشرف (خليل بن قلاوون) مرة أخرى على طرابلس وطرد الصليبيين منها سنة ٦٨٨ هـ ١٢٨٩ م .

ج ـ القدس : وكانت عاصمة المملكة الصليبية لفترة زادت على قرن يتعاقب عليها ملوك الفرنج ، فعمل صلاح الدين الأيوبي على تحريرها بعد توحيد جيشي وشعبي سورية ومصر ، وذلك بعد موقعة (حطين) الكبرى سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م . ويعدّ استرداد المسلمين لها في ٢٠ أيلول (سبتمبر) ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م أي بعد أربعة أشهر من موقعة (حطين) السابقة أعظم عملية تحررية مقدسة في العصر الحديث ، ثم استطاع الصالح (أيوب) الاتصال بـ (الخوارزمية) الذين بلغ تعدادهم عشرة آلاف مقاتل ، وأغاروا على القدس الذي كان (أشبه بمدينة مفتوحة ضعيفة التحصين ، وليس فيها ملك أو زعيم صليبي ... وهكذا اقتحموا القدس في ١١ تموز يوليه سنة ٦٤٠ هـ ـ ١٢٤٤ م ، واستولوا عليها بسهولة ، وبذلك عادت نهائياً إلى المسلمين) .

د ـ عكا : المعروفة بمناعة حصونها وأسوارها كانت آخر المدن المحررة من الصليبيين على يد الأشرف (خليل بن قلاوون) وقد عرفوا أنها آخر معاقلهم ، فحشدوا لها جموعهم براً وبحراً بالإضافة إلى الوافدين الجدد حتى اجتمع ما بين ٣٠ ـ ٤٠ ألفاً من المقاتلين . وعلى الرغم من استبسالهم في الدفاع عنها والتجائهم إلى حصونها فإنهم اضطروا إلى إلقاء السلاح بعد أن اشتد حصارهم ، وأخلوها في مايو سنة ٦٩٠ هـ ـ ١٢٩١ م ، وبذلك تكاملت الفتوحات واسترد المسلمون بلادهم ، ورجع الصليبيون إلى أوطانهم فاشلين يجرون أذيال الخيبة والخسران .

٣ ـ مواقع إسلامية صليبية فاصلة

أشرت فيما مضى إلى أعظم معركة ذات آثار عميقة على المسلمين والصليبيين معاً ، وهي معركة (حطين) سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م ، وأشير إلى معركة فاصلة أخرى : (عين جالوت) سنة ٦٥٩ هـ ـ ١٢٦٠ م على يد السلطان (قطز) وقائده (بيبرس) حينذاك . وهذه الموقعة وإن كانت تقصد التتار بجموعهم أولاً فإن اشتراك جماعات صليبية فيها تنوه بتضافر القوى الغازية الشرقية والغربية . ومع الإشارة إلى المعركتين السابقتين يحسن أن نذكر معارك لها أهميتها وإن لم تكن بشهرتهما .

أ ـ **معركة بانياس** : وهي وإن وقعت في وقت مبكر سنة ٥٥٢ هـ ـ ١١٥٧ م فإن حشود القوى المسيحية لها ينبه إلى مدى أهميتها كمدينة ذات موقع عسكري هام ، بالإضافة إلى أنها مظهر لخلق الغدر وعدم احترام المواثيق وخيانة الصليبيين عهودهم مع المسلمين ، وكان بطلها المخطط (نور الدين) وبطلها المستطلع (أسد الدين شيركوه) ثم اشتركا معاً في الانقضاض (فحكمت من رؤوسهم ورقابهم مرهفات السيوف ، حتى صاروا بأجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير)(٧) . ثم سقطت المدينة بأيديهم .

ب ـ **موقعة غزة الثانية** : وكانت سنة ٦٤٢ هـ ـ ١٢٤٤ م حيث دارت معركة كبرى بين (الخوارزمية) وجيوش الصالح (أيوب) من ناحية ، وبين الصليبيين وجيوش حمص ودمشق والأردن من ناحية أخرى ، وانتهت بهزيمة ساحقة للصليبيين قرب غزة ، وسقط من قتلاهم وقتلى المنافقين من المسلمين الموالين للصليبيين ما يزيد عن ثلاثين ألفاً وسيق (٨٠٠) أسير إلى مصر(٨) .

ج ـ **يوم الكبسة في المنصورة** : وذلك حين أوغل الصليبيون في (المنصورة) حيث برز (بيبرس) قائداً ضد الفرنجة ، وحملوا عليهم (حملة زعزعت وهدمت بنيانهم ، وأناخوا عليهم حرباً دراكاً وقتلاً وإهلاكاً ، فكانت عدة القتلى منهم ألفاً وخمس مئة ، وولوا منهزمين)(٩) بالإضافة إلى قتل مئتين وخمسة وثمانين من فرسان (الداوية) ، ولم يستطع الهروب سوى أربعة أو خمسة(١٠) فقط . وهكذا كانت المنصورة مقبرة الجيش الصليبي . وأول ابتداء النصر على الأفرنج على قول المقريزي .(١١)

وأيام مجيدة أخرى أوهنت القوى الاستعمارية مجتمعة ومتفرقة ، وسهلت على الأبطال المسلمين عملية جلاء الصليبيين وتحرير البلاد الإسلامية من القبضة الغربية الدخيلة .

إن فشل الحملات الصليبية وطرد الفرنجة وتحرير الأرض العربية الإسلامية كلّف المسلمين بذل التضحيات البشرية والمالية بعد أن رفعوا راية الجهاد المقدس في عزيمة لا تعرف الوهن ولا الكلل .

٤ ـ في فشل الحملات الصليبية فكرياً

إن المنطلق الفكري الذي دفع الإنسان الغربي في جميع بلاده وحكوماته قد أخذ مظهر الاستعمار الصليبي بأبعاده المتسعة وجوانبه المتعددة . ومن المدهش حقاً أن تتآزر الشعوب والحكومات الغربية

فشل
الحملات
الصليبية
عسكرياً
وفكرياً

بدوافع موحّدة معلنة ، وبدوافع متسترة مستغلة الأحقاد الصليبية والعواطف الدينية الهائجة .

والثورة الصليبية العالمية قدمت الضحايا من الأرواح كما قدمت الوافر من الأموال في تنافس قتالي مع محاولات تنافس فكري آخر لم يستطع كل منهما أن يثبت على الأرض العربية الإسلامية كما لم يستقر عقيدة في النفوس .

ومن الثابت تاريخياً طغيان الدافع الديني الكنسي في هذه الحملات على الدوافع الأخرى : الاقتصادية والشخصية والاجتماعية والسياسية والتوسعية .[١٢]

وبتعبير أدق إن الدوافع الأخرى قد تسترت برداء الكنيسة ممتهنة عواطف الجماهير وانفعالاتهم ورغباتهم الجامحة في الوصول إلى الديار المقدسة .

أضف إلى ذلك أن الدافع الديني لم يكن ليغفل أهمية الدوافع الأخرى واستخدام قواها وفعالياتها في سبيل تحقيق الأطماع المذهبية الطائفية المتعصبة .

ولا أدل على ذلك من المظاهر التي اتخذتها الحملات في وضع شارات الصليب على صدر المقاتلين واكتافهم ثم نداءات البابا (أربانيوس) الممتزجة مع صيحات الجماهير : (ديوس لوفلت) أي (هذه إرادة الله)[١٣] . وإذا توسعنا في مفهوم نشاط (الحركة الصليبية) بين المشرق والمغرب العربيين فإن التاريخ يلقي أضواءً على تآزر فكري وعسكري في العمل الاستعماري الصليبي الذي شمل أقطار العروبة والإسلام[١٤] . ومن هذا المنطلق التاريخي العربي والغربي ترتسم الخطوط الكبرى في محاولات التنصير العالمية التي هي مقدمات الاستعمار الغربي ، كما أنها مضمونة ومحتواه الفكري أيضاً .

ومع هذا كله فإن ذاتية الإسلام وسلامة أصوله وصحوة قيادته اكسبه قوة متنامية العطاء سامية الجبهة فأوقفت الزحف الفكري الدخيل ، وصدت أعماله المتشعبة ، وذلك على الرغم من الانتصارات الصليبية الأولى في حقبة (الظفر) التي تهيأت لها بإنشاء إمارات الرها ، وطرابلس وعكا ، ثم تتويجها بمملكة القدس .

١ ـ بوادر الغزو الصليبي وأوائله

ويبدو أن أهمية الأماكن المقدسة المسيحية دفعت العديد من المتدينيين إلى مزيد من الاهتمام الديني عبر التاريخ القديم . وقد ظهرت آثاره حين حاول المتعبدون من النصارى (أن يحصلوا على شيء من هذه المخلفات يحملونه إلى بلادهم ويجعلونه في مزاراتهم المحلية ... ولم يلبث أن نفذت إلى الغرب أجزاء صغيرة من المخلفات الكبرى ... مثل حيازة سكان « لانجر » لأصبع من أصابع القديس : « ماماس » ، وجلب سيدة من (موريين) ابهام القديس (يوحنا المعمدان) ... وقد استبد بالمسيحيين الشغف والشوق والأمل يفكرون بالأماكن المقدسة ، حيث اتهم (مارتن) سنة ٦٩ هـ ٦٨٢ م بصلاته الودية مع المسلمين ... ثم جرى إرسال راهبات من أسبانيا المسيحية للخدمة في كنيسة القيامة ، ولما جاء ـ (برنارد) ـ الفيلسوف من (برتياني) لزيارة فلسطين سنة ٢٥٧ هـ ٨٧٠ م أدرك أن ما أقامه بها (شارلمان) من مؤسسات لازالت مستعدة للعمل غير أنها كانت خاوية ،[١٥] والقديس (كنراد) في القرن العاشر قام بزيارة بيت المقدس في ثلاث رحلات مستقلة ، والقديس (يوحنا) بلغت رحلاته ستاً . ومن رؤساء الأديرة الذين تتابعوا في رحلاتهم : رئيس دير سانت جيير ، ورئيس دير أوريّاك ، ورئيس مونتييه ....[١٦]

وعلى الرغم من أن القتال محرم في المسيحية أعلنه الآباء الأوائل ، وأن الوسائل السلمية كانت أكثر قبولاً فيما بعد ـ حتى ولو انطوت على دبلوماسية ملتوية ، أو دفع أموال ، فإن قانون الفروسية الذي نما وترعرع في القرنين العاشر والحادي عشر جعل للبطل المحارب كرامة وهيبة ، وكان أقرب إلى الشهرة وحسن الصيت من الدعوة إلى التنصير لصالح الكنيسة .

ويذكر صاحب (خطط الشام) أن حجاج النصارى كانوا يرمون إلى أخذ القبر المقدس من أيدي المسلمين ، وإن كان هؤلاء يتركونهم وشأنهم يقومون بعبادتهم بسلام ، ولكن كان يتراءى للنصارى أن سيدهم (المسيح) يرضى عن عملهم إذا أنقذوا قبره من غير المؤمنين بدينه .[١٧] إن مثل هذا الغزو لا يتعلق بالجانب العقدي من حياة الإنسان وحده وإنما يشمل الجوانب الفكرية والأخلاقية ، كما يشمل العادات والأعمال اليومية والممارسات الحياتية . والتنصير هنا لا يقتصر على الحياة الدينية بقدر ما يتعمق في ترسيخ الأفكار المغرَّبة والمبادىء الدخيلة التي تمس الأرض والإنسان المسلمين لتربطهما بعجلة الاستعمار الغربي في أي شكل من أشكاله .

٢ ـ نماذج غازية مبكرة

وإذا تجاوزنا الحركة الصليبية العنيفة في الأندلس حيث بدأت قبيل القرن العاشر الميلادي في الأديرة والكاتدرائيات فإن المظهر العسكري لها كان وصمة عار في تاريخ الصليبية التي حاولت القضاء على كل ما هو عربي إسلامي بعد أن ترجمت ذخائره إلى لغاتها ، ورضعت من مناهل العلوم العربية من غير حسبان لأية فضيلة إنسانية في الوفاء وعرفان الجميل .

وبتجاوزنا الرقعة الأندلسية الإسلامية إلى المشرق العربي تبرز أمام الباحث العديد من النماذج الغازية أثناء الحملات الصليبية وعقبها .

فمن المدهش حقاً أن (الآباء) و(الدعاة) الذين كانوا يمنعون القتال بمقتضى تبشيرهم المسيحي واستجابتهم لتعاليم النصرانية كانوا المؤججين له والمسعرين لأواره في بلادهم وبين قومهم ، ثم هم كانوا يقومون بالدعوة التبشيرية التنصرية أثناء القتال الصليبي وتحت سمعهم وبصرهم غير مبالين بالدمار والخراب والفتك البشري الجماعي ، في

الوقت الذي كانوا يهيئون أو يقومون بنشاط دعوي مسالم يتناقض كل التناقض مع الواقع العملي المخيف .

وقد بدأت بوصول القديس (فرانسيس) إلى مصر سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م حيث قدّم مواعظه الدينية في حضرة السلطان (الكامل) ، ثم استمر أتباع ذلك القديس - فضلاً عن اتباع القديس (دومينيك) يواصلون جهودهم في النصف الأول من القرن الثالث عشر .

واتخذت هذه الحركة التبشيرية اتجاهاً جديداً عندما فكر (لويس التاسع) ملك فرنسا في نشر المسيحية بين المغول جميعاً ، وبذلك يقع المسلمون في الشرق الأدنى بين شقي الرحى ، ولا يجدون مناصاً من اعتناق المسيحية ، وأرسل المبشر (وليم روبركوي) إلى خان المغول لإقناعه وقومه بالدخول في المسيحية ، كما أشار (لويس التاسع) على البابا (انوسنت الرابع) بإنشاء جمعية التبشير الأولى سنة ٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م وهي الجمعية التي ضمت عدداً كبيراً من المبشرين الفرنسيسكان والدومينكان .[١٨]

وإذا حاولت الحركة الصليبية تنصير البربر فليس رغبة منها في التدين فحسب ، وإنما لإحكام الحصار الاستعماري الشرقي والغربي على المسلمين وبلادهم والإفادة من قسوتهم ووحشيتهم والتفرغ كلياً للأماكن المقدسة وأهلها .

حتى أن (ريموندلل) (١٢٣٢ - ١٣١٥ م) أبرز دعاتهم حينذاك لم يقصر نشاطه المخطط على الأندلس ، وإنما قام بإنشاء كلية (الثالوث المقدس) سنة ٦٧٥ هـ ١٢٧٦ م في (ميورقة) ينشر فيها اللغة العربية ليعلمها المبشرين الطلاب .

وبعد أن قضى (ريموند) عشر سنوات في إعداد أعوانه أوفدهم إلى شمالي أفريقية ، فضلاً عن بلاد المغول والأرمن للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية .[١٩]

إن هذه النماذج وغيرها كانت تعمل في جانبين : جانب خطابي وعظي أمام مستويات مختلفة من المسلمين ، لا فرق بين المسئولين وأتباعهم ، وجانب تخطيطي يقوم على كتابة الرسائل والخطب ، وتقديم المشروعات والخطط ذات الأمد الطويل ، إلى جانب الإطار العملي في إنشاء المؤسسات العلمية التنصيرية الغازية من المدارس الأولية والابتدائية حتى المعاهد والكليات العليا . ولكن فشل الحملات الصليبية عسكرياً ساهم وبشكل فعّال في فشلها فكرياً ، وبذلك قُضي على الفكر الاستعماري مع القضاء على جيوشه في القرون الحادي عشر والثاني عشر ، والثالث عشر .



وحين دخل (المغول) في الإسلام وظهر فيهم أمثال (أورنك زيب) انحسرت الموجة العنيفة الاستعمارية في المشرق الأقصى كما انحسرت في بلاد الشام ومصر والعراق .

إن الفكر المغرّب الذي حاول انصاره قهر المسلمين على اعتناقه لم يقدر أن يؤدي مهمته على الوجه المطلوب ، وكان على هؤلاء الأنصار أن يتلقوا رداً عنيفاً بالصمود في مواجهة الإنسان الغربي . بيد أن قناعة المسلمين برد الغزو الفكري السطحي ، وقعودهم عن مواصلة الدفاع بل الدعوة إلى الإسلام قد قابله مؤتمرات غربية عالمية ، ونشاطات تنصيرية استعمارية ، أقامت من ميزانياتها الهائلة مؤسسات في انحاء من العالم العربي والإسلامي ، وساهمت إلى حد بعيد في تسهيل الاستعمار المادي الحديث ، مما جعل المؤسسات الإسلامية تعيد النظر والعمل معاً في مواجهة التحديات المغرّبة .

وهكذا لم تستطع القوى العسكرية والفكرية الاستعمارية أن تجرد (الرها) و(دمشق) و(اريحا) و(عين جالوت) و(حطين) ... من إسلامها ، وإن عاش أهلها النصارى في رحاب التسامح الإسلامي الأصيل . ولم يتحول الساحل الشامي إلى بحيرة (رومية) إغريقية بدافع التعصب والتسلط الكنسي . وأنت يا (قدسنا) لم تنصّرك **الصليبية كما لن تهودك الصهيونية** بعد أن عربك الإسلام .

من مراجع البحث وهوامشه

(١) انظر المنجد ، حيث حددها بتسع حملات مع تاريخ كل منها بداية ونهاية ، وهو تقسيم لا يعوّل عليه .

(٢) الحركة الصليبية : د/سعيد عاشور ٢٦/١ نقلاً عن ستيفنسن .

(٣) راجع على سبيل المثال : الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزء ٨ ، ٩ .

(٤) تاريخ العرب مطول : فيليب حتي ٧٥٣/٣ .

(٥) انظر مثلاً أحداث انتقال السلطة من الأيوبيين إلى المماليك ، ثم أحداث بيبرس مع قطز ، وقلاوون مع الأسرة الحاكمة .

(٦) انظر تفصيله في (الفيصل) العدد ٧٠ للكاتب نفسه .

(٧) ذيل تاريخ دمشق : ابن القلانسي ص ٣٣٩ .

(٨) ذيل الروضتين : أبو شامة ص ١٧٢ ، وانظر الحركة الصليبية : د/سعيد عاشور ١٠٤٦/٢ .

(٩) عقد الجمان : العيني ، حوادث سنة ٦٤٧ هـ .

(١٠) د/عاشور السابق ١٠٦٩/٢ عن حملة لويس التاسع على مصر : محمد مصطفى زيادة ص ١٥٦ .

(١١) السلوك في معرفة الملوك : المقريزي ٣٥١/١ .

(١٢) انظر في الدوافع : الحركة الصهيونية : د/عاشور ٢٧/١ ، والحروب الصليبية : شاكر أحمد بدر ص ١٤ ، وغيره .

(١٣) راجع تاريخ العرب مطول : فيليب حتي ٧٥٢/٣ .

(١٤) د/عاشور في : الحركة الصليبية ٧٦/١ .

(١٥) مقتبس من : تاريخ الحروب الصليبية : ستيفنسن رنسيمان ٦٦/١ - ٧٠ .

(١٦) السابق ٧٣/١ .

(١٧) محمد كرد علي .

(١٨) د/عاشور السابق ١٢٨٧/٢ وانظر مصادره في الحاشية .

(١٩) انظر : الغارة على العالم الإسلامي : شاتيليه ص ٢٩ .

الشافعي شاعراً

بقلم: تيسير محمد عيسى شلطف

قبل الحديث عن شعر الشافعي يحسن بنا إعطاء لمحة قصيرة عن حياة الرجل فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ/٧٦٧ م ، ثم جاءت به أمه إلى مكة وله من العمر سنتان ، حفظ القرآن ، ودرس الحديث وهو صغير ، وأقام في الهُذَليين سبع عشرة سنة فأخذ عنهم اللغة الفصيحة ، وروى أشعار شعرائهم ، حتى أن الأصمعي قرأ عليه شعرهم .

ـ لقي الشافعي مالك بن أنس ، فحفظ الموطأ ، وقرأه عليه ، ثم زار اليمن فلما ظهر فيها يحيىٰ بن علي بايعه فجيء به مع تسعة من العلويين إلى هارون الرشيد ، فضرب أعناق التسعة ، وعفا عن الشافعي لعلمه وفضله وفصاحته في خبر طويل .

وبقي الشافعي في بغداد مدة ، ثم تنقل بين بغداد ومكة ومصر مرات متقاربة وكان نزوله مصر في ٢٨ شوال سنة ١٩٨ هـ (٨١٤/٦/٢١ م) .

ولما ذهب إلى مصر قال :

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر	ومن دونها أرض المهامة والقفر
فـوالله لا أدري أللفـوز والغنـى	أساق إليهـا أم أساق إلـى القبـر

وما ذهب الشافعي إلى مصر إلا إلى قبره ، فقد توفي فيها يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨٢٠/١/٢٠ م) . ودفن في الفسطاط (بمصر القديمة) بالقرافة الصغرى ومقامه فيها مشهور إلى اليوم .

كان الشافعي أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب المعروف باسمه ، كان عالماً بالحديث والفقه وباللغة والأدب وبالنجوم والأنساب وقد عرف بالذكاء ، والفطنة ، والفراسة .

ديـوانـه

للشافعي ديوان شعر صغير يضم ٤٥٠ بيتاً ويحوي ١٣٠ مقطوعة تقريباً فجميع ديوانه مصبوب في قوالب المقطوعات إلا بضع قصائد لا تزيد أطولها عن خمسة عشر بيتاً . ويمكن ارجاع الأغراض الشعرية في ديوانه إلى الحكمة ، والزهد ، وشيء من الفخر بالنفس .

الحكمـة

كانت الحكمة عن الشاعر العباسي تستمد أصولها من روافد أربعة :

١) الفكـر .

٢) النفـاذ .

٣) الاطلاع على الحكمة الأجنبية الوافدة من الفرس والروم والهنود وغيرهم .

٤) الالمام بالثقافة العربية من شعر ونثر ، وغنى حياة الشاعر بالتجارب الذاتية .

وقد كان الشافعي عربي الثقافة ، وناقد الفكرة ، خبيراً بأحوال الناس ، مجربا لهم ولو أطلع على الثقافة الأجنبية لاكتسب شعره عمقاً ، وثراء ، لكنه كان يرى في كل علم غير علوم القرآن والسنة وسوسة من وساوس الشيطان يقول :

كل العلـوم سوى القرآن مشغلـة	إلا الحديث وعلم الفقه فـي الديـن
العلـم مـا كـان فيـه قـال حدثنـا	وما سوى ذات وسواس الشياطين

وتتلخص حكمة الشافعي في الدعوة إلى التسليم بالقضاء والقدر ، والحض على السخاء والوفاء ، والسماحة ، والقناعة ، والأدب ، وحسن الخلق ، والتواضع ، وعزة النفس ، وفضل السكوت ، وكتمان الأمور ، والحث على العلم ، والسفر والاعتماد على النفس ، والدعوة إلى العفة وإكرام النفس ، وحفظ اللسان ومن أجمل ما قال في ذلك :

دع الأيـام تفـعـل مـا تشاء	وطب نـفسـاً إذا حكـم الـقضاء
وكـن رجـلاً علـى الأهوال جلـدا	وشيمـتك السماحـة والوفـاء
ولا تـرج السماحـة مـن بخـيل	فمـا فـي النـار للظمـآن مـاء
ورزقك لـيس ينـقصه التأنـي	ولـيس يزيـد فـي الـرزق العنـا
إذا مـا كنت ذا قلب قنـوع	فـأنت ومـالك الدنيـا سواء

وقال في الدعوة إلى الصبر على طلب العلم :

اصبر علـى مـر الجفـا مـن معلّم	فـإن رسـوب العلـم فـي نفراتـه
ومـن لـم يـذق مـر التعلم ساعـة	تجـرع ذل الجـهل طـول حياتـه

وقال في الدعوة إلى السفـر :

الشافعي شاعراً

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج هَمٍ واكتساب معيشةٍ وعلم وآداب ، وصحبة ماجد

وقال في كتمان الأمور :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصد الذي يستودع السر أضيق

وقال في الاعتماد على النفس :

ماحك جلدك مثل ظفرك فتولَّ أنت جميع أمرك

وقال في العفة :

عفّوا تعف نساؤكم في المحرم وتجنبوا مالا يليق بمسلم
إن الزنا دَيْنٌ فإن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

وقال في حفظ اللسان :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الأقران

الزهد

وشعر الشافعي في الزهد فرع من فروع الحكمة ، ويتلخص هذا الفن في الاستعداد للمنايا ، والتأهب للآخرة والتوكل في طلب الرزق على الله ، والشافعي يدعو إلى التفقه مع الزهد ، دون أن يطغى جانب على آخر فيقول :

فقيها وصوفيا فكن ليس واحدا فإني وحق الله إياك أنصح
فذلك قاسٍ لم يذق قلبه تقى وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح

ومن أجمل ما قال في الإنصراف عن الدنيا ، والعمل للآخرة :

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنيا سفّارا
هلا تركت لذي الدنيا معانقةً حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنات الخلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النارا

والأجمل من ذلك قوله :

ركوبك النعش ينسيك الركوب على ما كنت تركب من بغل ومن فرسِ
يوم القيامة لا مال ولا ولد وضمة القبر تنسي ليلة العرسِ

والزهد يدعو إلى لزوم باب الله ، وادامة قرعه بالتوبة والتذلل ، والاستغفار ، فها هو يدعو ربه فيقول :

لقد هننت على قلبي بمعرفه بأنك الله ذو الآلاء والقدس
وقد أتيت ذنوبا أنت تعلمها ولم تسكن فاضحي فيها بفعل مسي
فامْنُنْ عليَّ بذكر الصالحين ولا تجعل عليَّ إذا في الدين من كبس
وكن معي طول دنياي وآخرتي ويوم حشري بما أنزلت في عبس

الفخر

ليس في فخر الشافعي شيء من المبالغة أو التبجح ، مع أن الفخر فن مديح الذات ، والشافعي يفخر بتدينه ، وعلمه ، وقناعته ، وعزة نفسه ، والتوكل في رزقه على الخالق ، فما دام عنده قوت يومه (فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها) ، فها هو يقول :

انا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي نفس حرّ ترى المذلة كفرا
واذا ما قنعت بالقوت عمري فلماذا ازور زيداً وعَمْرا

ويرى نفسه أجل وأكبر من نفوس الورى حين ازدراه حلاق لثيابه الرثة فقال :

عليَّ ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده إذا كان عضباً حيث وجهته فَرَى

وقال في استقلال شخصيته :

ولست بإمعةٍ في الرجا ل أسائل هذا وذا ما الخبر

وقال يفتخر بذاكرته التي تحفظ علمه أينما كان :

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقال يفتخر بجوده ، وتسليم أمره لله :

اجود بموجودي ولو بت طاويا على الجوع كشحا والحشا يتألم
واظهر اسباب الغنى بين رفقتي ليخفاهم حالي وإني لمُعْدم
وبيني وبين الله اشكو فاقتي حقيقا فإن الله بالحال أعلم

ما يستشف من شعره

إن من يقرأ ديوان الشافعي يلاحظ علمه بطبائع النفوس ، وخبرته بأحوال الناس وكثيراً ما كان يلبس ثوب المرشد ، والطبيب الحاذق ، فقال في موقف الناس من ذوي العسر واليسر :

تقلبت في دهري رخاء وشدة وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد

وكان الشافعي محباً للصالحين لتناله بركتهم ، يقول :

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة

وبيَّنَ أن العلم لا يتم تحصيله إلا بالتفرغ ، فقال :

لا يدرك الحكمة من عمره يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلا فتى خال من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي سارت به الركبان بالفضل

بلـي بفقـر وعيـال لمـا فـرق بيـن التبـن والبقـل

وجعل الشافعي الأمراض في ثلاثة :

ثـلاث هـن مهلكـة الأنـام وداعيـة الصحيح إلـى السقـام
دوام مدامـة ودوام وطـئ وادخـال الطعـام علـى الطعـام

وجعل لتحصيل العلوم ستة شروط هي :

ذكـاء وحـرص ، واجتهـاد وبلغـةٍ وصحبـة استـاذٍ وطـول زمـان

وعد النصح في حضرة الناس توبيخاً تنفر النفوس من استماعه .

الصــور

إن ما يلفت النظر في ديوان الشافعي كثرة لجوئه إلى التشبيهات لاسيما التشبيه الضمني الذي يقوم على تشبيه حالة بحالة فشبه اختلاف الناس في الأدب والعقل والحب ، واتفاقهم في أشياء أخرى بالصفرة في الذهب الأبريز ، والدّخان الذي يفرق بين عود الطيب ، وعود البخور وفي دعوته إلى السفر يشبه المقيم بالماء الراكد الذي يفسد ركوده ويشبه المسافر بالماء الجاري الطيب ، ولذلك فإن الأسد لو لم يفارق اجمته لما افترس ، والسهم لو لم يفارق القوس لم يصب والشمس لو لم تغب لملّها الناس ، والذهب في أرضه تراب وعود الطيب في أرضه حطب وشبه سكوت الشريف عن مخاصمة الجاهل صوناً لعرضه بصمت الأسد الذي يزيده مهابة وشبه كلام الجاهل بنباح الكلاب الذي يدعو الناس إلى زجرها .

وضرب مثلا لتقلبات الزمن ، فقال :

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقـر بـاقصى قاعـه الـدرر
وفـي السمـاء نجـوم لا عـداد لهـا ولـيس يُكـف إلا الشمس والقمـر

ووصف الواعظ الذي يأمر الناس بما لا يفعل ، فقال :

كحـامل لثيـاب النـاس يغسلهـا وثوبه غارق في الرجس والنجس
تبغي النجـاة ولـم تسلك طريقهـا إن السفينة لا تجري على اليبس

وشبه حال **الورع** الذي يزجره ورعه عن تتبع عورات الناس بحال المريض الذي شغلته علته عن علل الناس وبيّن أن الأمر ليس بالقوة ، فقال :

أكل العقـاب بقـوة جيـف الفـلا وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف

ودعا إلى الرحيل عن أرض الذل ، وضرب الأمثال المشجعة على ذلك فقال :

فالعنبـر الخـام روث فـي مواطنـه وفي التغرب محمول على العنف
والكحل نوع من الأحجار تنظره في أرضه وهو مرمي على الطرف
لمـا تَغَرَّب حـاز الفضل أجمعـه فصار يحمل بين الجفن والحدق

وكل هذه الصور والتشبيهات توليدية مبتكرة يتناول فيها المعنى القريب فيصوره بصور مختلفة تؤيد المعنى المراد تأكيده فأكسب الأبيات نفساً شعرياً متميزاً ولولاها لكان شعر الشافعي إلى نظم العلماء أقرب منه إلى شعر الشعراء .

الألفــاظ

تميزت أشعار الشافعي بالألفاظ السهلة في ألفاظها والوضوح في عباراتها وقد لجأ إلى الأسلوب المباشر في تقديم النصح والإرشاد فأكثر من ضمائر المخاطب كقوله : دَع ، صُن ، عاشر ، سامح ، عليك ، نساؤكم وغيرها وجل ألفاظ الشاعر ومعانيه مقتبسة من ألفاظ القرآن والسنة وفيما تقدم من شعره دليل ذلك .

ومن أشعاره ما يمكن اختصاره في جملة واحدة تدل على ذلك الترجمة التي تسبق كل قطعة ومثال ذلك الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، وغيرها . وكان الشافعي بعيداً عن التكلف ، غير حافل بالصناعة اللفظية وما رأيته يتعمد التكلف إلا في مقطوعة واحدة نظمها في عزة النفس ، وحشد الكثير من الجناس والتجنيس فقال :

لقلـع ضرسٍ وضرب حـبسٍ ونـزع نـفسٍ ورد امس
وقـر بـردٍ وقـود فـردٍ ودبـغ جلـدٍ بغيـر شمس
وأكل ضبٍ وصيـد دبٍ وصرف حبٍ بـأرض فـرس
ونفـخ نـارٍ وحـمل عـارٍ وبيـع دارٍ بربـع فلس
وبيـع خـفٍ وعُـدم إلـفٍ وضرب إلـفٍ بحـبل قلسٍ
آهـون مـن وقفـة الحـر يرجـو نـوالا ببـاب نـحسٍ

المـوسيقــى

نظم الشافعي ديوانه على القوافي التالية :

النون ٤٨ ، الراء ٤٦ ، الميم ٤٠ ، الدال ٣٨ الألف المقصورة ١٣ ، اللام ٣٥ ، السين ٣٤ ، القاف ٣٣ ، العين ٢٠ ، الباء ٢٠ ، التاء ١٨ ، الهمزة ١٧ ، الجيم ١٠ ، الصاد ٧ ، الكاف ٧ ، الضاد ٦ مقطوعات . والناظر في هذا الترتيب للقوافي يلاحظ أن الشافعي نظم جل أبياته على النون والراء ، والميم ، والدال ، واللام ، والسين ، وكلها قوافٍ تقليدية عند كل الشعراء .

وأما القوافي الأخرى كالضاد والصاد فلم ينظم عليها إلا قليلاً وأما البحور الشعرية التي جعلها قوالب لشعره فكانت كما يلي :

الطويل ٤٣ ، البسيط ٢٧ ، اللوافر ٢٠ ، الكامل ١٩ مقطوعة وكلها بحور تقليدية مجزوء الكامل ٢٦ ، الخفيف ٥ ، الرمل ٣ ، المتقارب مجزوء الرمل والمنسرع ١ ، السريع ١ مجزوء الرجز ١ .

والملاحظ أنه نظم شعره عى بحور طويلة فإذا التقت مع قوافي النون الواراء والميم واللام أعطت الشعر تموجات واهتزازات تساهم في التعبير عن المعاني المراد التعبير عنها أكثر مما تؤديه البحور السريعة والقوافي الخشنة كالثاء والذال والزاي والشين وغيرها .

ولم يهتم الشافعي بغير البحر والقافية من عناصر الموسيقى ، فلم يوفر لشعره التقسيمات الداخلية ولم يعبأ بموسيقى الحروف إذا التقت الكلمة

الشافعي شاعراً

الواحدة إلا في مقطوعة عزة النفس الآنفة الذكر فقد كان كل اهتمامه بتوصيل المعنى الذي يريده بأيسر الطرق .

خصائص شعره

لا يجد القارئ لديوان الشافعي إلا غرضاً واحداً نظم فيها أشعاره ذلك هو الحكمة ويتفرع من الحكمة دعوته إلى الزهد ، و (الاقتداء) به في علمه ، وعزة نفسه وهذا ما يفسر لجوئه إلى شيء من الفخر بالنفس فخراً ليس فيه شيء من المبالغة .

وقد كانت حكمة الشافعي حكمة بناءة موجهة الناس إلى اتباع ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم في الدنيا والآخرة ، فكان من الطبيعي أن يتكئ على المعاني والقرآن والسنة ويحملها شعره ، فكان واعظاً يرسم الطريق الواضح للسائرين ولذلك فإنه لجأ إلى الأسلوب المباشر في الوعظ ، مع أنه كان يضرب الأمثال التي أكسبت نظمه نفساً شعرياً مميزاً . ولا ينتظر من الشافعي وهو أحد الأئمة الأربعة أن يمدح عظيماً من العظماء أو يهجو سفيهاً من السفهاء أو يتغزل بجارية حسناء فهو القائل :

سهرى لتنقيح العلوم ألذُّ لـي   من وصل غانيةٍ وطيب عناق

ولم يكن الشافعي طويل النفس فليس جلّ ديوانه إلا مقطوعات ، ذلك أنه ما كان يقول الشعر إلا ليأمر بمعنى كريم أو لينهى عن قبيح أو لأنه كان يقول الشعر في مناسبات تعرض له حين يسأل عن مسألة .

أو تحدث ل حادثة وللشافعي مقدرة على المناظرة الشعرية ، وفي ديوانه شواهد على ذلك .

وأخيراً فإن الشافعي لم يكن إلا شاعر الحكمة ، والمواعظ الخيرة ولم يكن من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون بل كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وقد كان يرى الشعر مزريا بالعلماء ولولا ذلك لكان أشعر من لبيد·بن ربيعة فها هو يقول :

ولـولا الشعـر بالعلمـاء يـزرى   لـكنت اليـوم أشعـر مـن لبيـد

ولئن كان الشافعي لم يكن في شعره كفقهه الذي طبقت شهرته الآفاق فإن له من الشعر ما اشتهر في الناس وانتشر على ألسنة المؤذنين في تذكير الفجر فرحم الله الشافعي وجزاه عن أمة محمد ﷺ ودين الله خير الجزاء .

المراجع

- ديوان الشافعي ـ هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي (جمعه ... محمود إبراهيم هيبة) في مصر (المكتبة العباسية) عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) .
- ديوان الشافعي (جمعه زهدي يكن) بيروت (دار الثقافة) . عام ١٩٦٢ م .

عتاب

شعر: محمد أحمد كلزيه

أَوَ تَذْكُرِينَ قَصائداً أَنشَدْتُها
جَعَلَتْكِ فوقَ مَرابعِ السِّحْرِ ؟
حَمَلَتْكِ اَجنحتي فَطِفْتِ بعالَمٍ
ثَـرِّ المعـاني عابِـقِ العِطْـرِ
ارجاؤُهُ ضاقَتْ ببعضِ خواطري
فكتمتُهـا ومنحتُهـا عُمْـري
وَغَدْوتِ نَشْوى بالعبيرِ وبالرؤى
ولبستِ ثوبَ التيهِ وَالكِبْرِ
تَتَمايليـنَ تَـأَوُّداً وَصَبابـةً
وَتُفاخِريـنَ بأعـذَبِ الشِّعْـرِ
حتّى إذا مَضَتِ السُّنونَ بِحُبِّنا
وَتحكَّمَتْ « لَيْلاهُ » في اَمْـري
أَسْدَلْتِ مِنْ غُصَصِ الزَّمانِ سَتائِراً
وَتجاهَلَتْ عَيْناكِ مَا يَجْـري
وَنَسيتِ أَنّي لَنْ أَضِلَّ حقيقةً
مَنْ ذا الذي بحقيقتي يَدْري !؟...




★ ابن رشد ★


★ الزهراوي ★

أثر التشريح العربي في تقدم علم التشريح في عصر النهضة الأوروبية

بقلم : د. توما شماني


★ ابن النفيس ★

لابد للمتصدي لمسألة أثر التشريح العربي على التشريح والجراحة والفسلجة في أوربا في عصر النهضة وما قبلها ، أن يقف على بضع نقاط مهمة في هذا الموضوع . فبعد جالينوس وقف التشريح لقرون عديدة ، ولابد من القول بأن ماظهر من أعمال تشريحية ، وبسبب التيار الجالينوسي المتزمت المسيطر آنئذ ، لم تكن إلاّ أنواعاً متدنية من الجالينوسية . كما ينبغي القول بأن الأعمال التشريحية كلها وخلال تلك الحقبة وحتى القرن الثالث عشر ، سواء أكان منهما القيم أم الغث لم تكن إلاّ أعمالاً عربية فحسب . ولهذا فإن الترجمات اللاتينية من العربية إنما كانت الكتلة الأساسية والمصدر الوحيد للقراءات العلمية في مجال التشريح في الجامعات والمحافل الطبية في أوربا ولفترة امتدت حتى عصر اليقظة الأوروبية .

مادة تشريحية جديدة

أما أول شرارة عربية في الفكر الطبي الأوروبي ، فقد حدثت في القرن الحادي عشر عندما ترجمت الكتب الطبية العربية في (**دير مونتي كاسينو**) وفي **سالرنو** في **إيطاليا** والتي اضطلع بأغلبها **قسطنطين الأفريقي** (ت ١٠٨٧ م) . وفي ١١٢٧ م ترجم **اسطيفان الأنطاكي** كتاب (**علي بن عباس**) الذي كان يضم معلومات وافية في التشريح ، وربما يكون **جيرار الكريموني** أهم الذين اضطلعوا بأعمال الترجمة في مدرسة **طليطلة** ، حيث ترجم ٩٢ كتاباً كان أبرزها (**القانون**) للشيخ **ابن سينا** (٩٨١ ـ ١٠٣٧ م) ، وهو الكتاب الذي غدا كتاباً تعليمياً ومقروءاً بشكل واسع في القرون الوسطى وتضمن من المعلومات التشريحية الكثيرة مما دفع مشرحاً معروفا **كابن النفيس** إلى التعليق عليه في كتابه (**شرح تشريح القانون**) . كما نقل جيرار الكريموني أعمال **الرازي** (ت ٩٣٢ م) التشريحية .

وعلى رغم توفر مادة التشريح لدى مدرسة **سالرنو** (إيطاليا) فإن بداية عصر التشريح في أوربا لم تبدأ إلاّ من جامعة بولونا (إيطاليا) بالذات والتي تخصصت في تدريس القانون وكان التحري في جرائم القتل قد دفع برجالها إلى تبني دراسة التشريح لأول مرة في أوربا .

تبلور الفكر التشريحي

بدأ القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين فقيرين في الإتيان بالمادة التشريحية الجديدة إلاّ أن المشتغلين في صنعة الطب بدا عليهم اتجاهاً أكبر نحو استخدام العقل بدلاً من التسليم بالملاحظات التشريحية السابقة وكان لذلك أثر كبير على منحى التشريح والجراحة والفسلجة في الحقبة التالية . ففي القرن الثالث عشر برز **البرتوس ماغنوس** (١٢٠٦ ـ ١٢٨٠ م) الذي اعتمد الأشكال العربية المترجمة وحيث قام بأعمال جليلة في ميدان تشريح الطيور والأسماك وكان لحركته أثرها في العلوم في القرن التالي .

الجامعات تتبنى التشريح

في القرن الثالث عشر بالذات أخذت الجامعات تلعب دوراً رائداً في الحياة العلمية في أوربا فقامت مدارس طبية عديدة لم يكن لها من مصادر للقراءة والاطلاع غير الأسفار العربية المترجمة . كانت المادة الطبية التي تبنتها آنئذ ليست من الضرب الذي ينمي الحواس ولم يكن تعليم التشريح واقعاً فعلاً بالقدر الواسع إذ كان تشريح الأجسام في ذلك القرن قابلاً لسوء الفهم والاستنكار والإدانة من أوساط عديدة . ولم تكن الأعمال التشريحية في أغلبها أكثر من حذلقات جالينوسية أو أدبية ، إلاّ أن البدء بتدريس هذا المادة على رغم فجاجته كان يحمل شيئاً من التجديد . كان أستاذ التشريح يستنكف عن اجراء التشريح وكان يقرأ نصاً جامداً من فوق منصة الأستاذية بينما يقوم بالتشريح أمام التلاميذ من هو أقل شأناً منه . تلك الحالة قد افرزت بعدئذ حالة أكثر تقدماً وذلك عندما نزل [**موندينو دي لوزي**] الذي يكنى (بمجدد التشريح) ، من منصته وأخذ يشرح بنفسه أمام تلاميذه . ثم أصدر بعدئذ كتابه (**الأناتوميا**) الذي يعد أول كتاب تشريحي تخطيطي مفرد لعلم التشريح . ويقول (**جارلس سنغر**) في كتابه (**موجز تاريخ التشريح والفسلجة**) عن موندينو : (قرأ موندينو أعمال المشرحين العرب عن سعة وطبيعي أنه استعار منهم) . وفي هذه المرحلة استنسخت الكتب الطبية العربية المترجمة وشاعت في أوساط العلاج والتدريس .

أول تشريح علني

أما أول تشريح علني حدث في المدارس الطبية الأوربية فلم يبدأ قبل

أثر التشريح العربي في تقدم علم التشريح في عصر النهضة الأوروبية

١٣٠٠ م أي في بداية القرن الرابع عشر وحدث ذلك في إيطاليا وبالذات في **مدرسة بولونا** .

ومدرسة بولونا قديمة جداً فهي المؤسسة الوحيدة التي كانت تستحق عن جدارة حمل اسم الجامعة وكانت مدرستها الطبية قد بدأت في ١١٥٦م وكان التدريس فيها يعتمد القراءة في الكتب العربية المترجمة ، وبسبب ازدياد عدد الجامعات فقد أخذ بعضها بالتخصص . وكانت جامعة بولونا تهتم بتدريس القانون لذا فمن الراجح أن يكون فتح أول جثة رسمياً إنما كان بملء المسؤولية التي يحملها رجال هذه الجامعة الذين كانوا متخصصين في القانون ولابد أن يكون ذلك قد بدأ كجزء من (الطب الجنائي) . والواقع إن أول عملية (تشريح بعد الموت) Post Mortum قد بدأت في نهاية القرن الثالث عشر .

المعارضون للتشريح

رغم أن القرن الرابع عشر لم يضع حداً فاصلاً بعد بين علمي النبات والحيوان بشكل واضح ، إلاّ أن التشريح غدا شيئاً عادياً في بولونا في الربع الأول من هذا القرن ويعني ذلك أن التشريح قد انتشر الأخذ به وشاع في محافل التدريس في أقل من ربع قرن من الزمان وبذلك غدت أصوات المعارضين للتشريح أصواتاً لا يعتد بها .

لماذا الاهتمام بالتشريح ؟!

ويتساءل العديد من المؤرخين ، أي حافز دفع بجمهرة المشتغلين بالطب للاهتمام بمادة التشريح في تلك الحقبة في أوربا . الواقع أن أموراً كثيرة قد دفعت إلى ذلك كان أبرزها النهضة التي أخذت بنواصي الحياة والعلوم والفكر ومنها أيضاً :

(١) الشغف الكبير بالكتب الطبية العربية المؤلفة والمترجمة عن اليونانية . وكانت تلك الكتب تضم معلومات تشريحية كانت على بساطتها صوراً متقدمة لما قبلها . ولقد أحدث ذلك بداية وأساساً وقدحاً لحركة تشريحية تالية .

(٢) اهتمام رجال القانون في مدرسة بولونا بالجانب الجنائي والقانوني من التشريح ، فكانوا أول من تحدى الأعراف التي كانت سائدة آنئذ ونجحوا في فك الحصار عن التشريح سواء على جثث الموتى لأغراض التدريس أو على (التشريح بعد الموت) للكشف عن أسباب القتل أو مجريات المرض في المريض .

(٣) أدرك الأطباء أن التشريح مادة أساسية لفهم الفسلجة وبدون فهم للفسلجة لن يكون هناك (طب) صحيح وبغير التشريح لن تكون هناك (جراحة) صحيحة .

(٤) كان **للزهراوي الجراح** الذي عرفته أوربا في كتابه (**التصريف لمن عجز عن التأليف**) ، وانتشار مكانته بين أوساط المشتغلين بالجراحة وحلقات التدريس الطبي حتى نهاية القرن السادس عشر ، أثر كبير في بث الوعي التشريحي إذ أوصى بدراسة التشريح كما أوصى بذلك عدد من أساطين الطب آنذاك .

التشريح علم جديد يتكامل

وليس من النافلة أن ندرج الملاحظات التالية بشأن التشريح الذي تبنته أوربا في عصر النهضة وهي ملاحظات كانت سائدة آنذاك وهي :

(١) كان التشريح في عصر النهضة في أوربا يعتبر من العلوم الجديدة التي افرزتها المرحلة الجديدة المنفتحة ، وتلقفته المحافل العلمية بانفتاح وريادة في ميدان جديد .

(٢) كان التشريح يعتبر آنذاك (علماً عربياً) وعندما شرع المترجمون بنقل المصطلحات التشريحية العربية تسربت إلى اللغات الأوربية أسماء عربية فقالوا الحافزة (أي الحافظة) والسيفاكس (أي الصفاق) وغيرها إلى درجة أن كثيراً من الاصطلاحات التشريحية الحديثة لا تنتمي في أصلها إلى اللاتينية بل هي اصطلاحات عربية محورة أو مشوهة ولو تصدى باحث لها لاستطاع إرجاعها إلى أصلها .

(٣) جذب علم التشريح النخبة أو الصفوة من الناس والمفكرين في عصر النهضة لأنه اعتبر آنذاك من العلوم ذات طبيعة خاصة من التقدمية والحداثة إلى درجة قيل أن (دانتي) شاعر إيطاليا كان يحضر الدروس التشريحية في إحدى مدارس الطب .

مهما قيل عن أن العرب لم يهتموا بالتشريح فإنه أمر يحتاج إلى البرهنة وليس القبول والاستسلام المطلق فما وصل فيه عصر النهضة من تقدم في ميدان التشريح لم يكن غير تواصل لأعمال عربية رائعة مسجلة في أسفار ذلك العهد الزاهر .

المراجع

(١) مختصر تاريخ الطب العربي (جزآن) الدكتور كمال السامرائي

(٢) الطب العربي ، مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به ـ تأليف الدكتور أمين اسعد خير الله ، ترجمة الدكتور مصطفى أبو عز الدين

(٣) An Illustrated History of Medicine by: Roberto margotta Edited by: Paul Lewis-Hamlyn 1968

(٤) A Short History of Medicine by Inglis, Brian (London) Weidenfield 1965

(٥) A Short History of Medicine by Singer & Underwood (Oxtwd) 1962

(٦) A History of Medicine by Castiglioni, Arturo (N.Y.) Knopf.

(٧) Medieval & Renaissance Medicine by Gordon, Benjamin Lee. (N.Y.) Philosophical library (1939)



من الأدب الفرنسي المعاصر

تأليف: هنري تروايا * ترجمة: ميخائيل بشاي

تدارك الخطأ

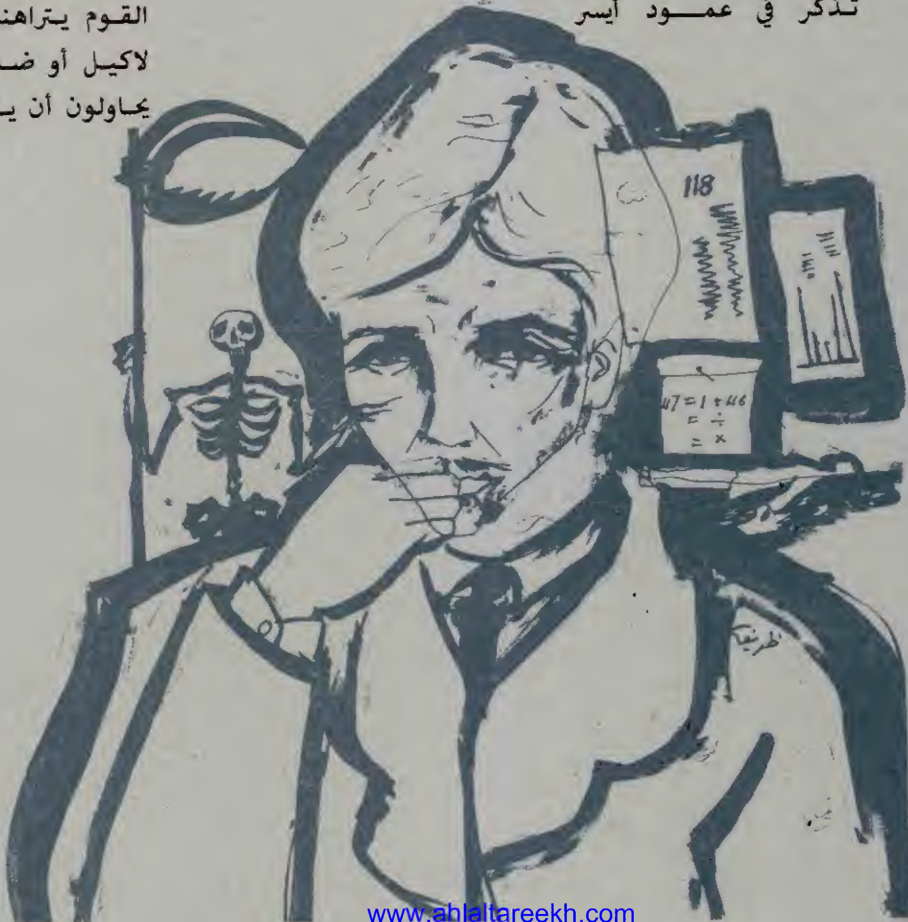
لم أكن رأيته قط، وكنت أجهل كل شيء عن حياته الخاصة، وعن شخصيته، لكن أعماله كانت كافية لإثارة إعجابي، وكنت - بوصفي قارئاً مستديماً لصحيفة «يتي بلودي جابيول - ليه - يون» - أنتظر في لهفة، عدد السبت الذي كان يُعلن في صفحته الأولى عن مادته، بكلمات موجزة ظافرة: «اليوم - أدريان لاكيل». وكان الجابيوليون جميعاً يشاركونني لهفتي في نفس الوقت!

لقد كانت بدايات السيد لاكيل غامضة، ولم يكن المرء يستطيع أن يمنع نفسه عن الابتسام لفكرة أن هذا الرجل الذي تبدو لنا شهرته الآن مدعمة، قد حصر نشاطه، لوقت طويل، في نشر بيان إحصائي في صحيفة يومية، إقليمية، للتغيرات التي حدثت لسكان الإقليم في الأسبوع المنقضي. ولقد احتفظت، بدافع من الفضول، ببضعة أعداد قديمة من صحيفة «يتي بلو» حيث كانت تظهر في ذيل الصفحة، محصورة بين إعلانات دور السينما، ومحلات البقالة - تضحية بها، وامتهاناً لها، وعقاباً - أولى جداول الوفيات، موقعة باسم أدريان لاكيل!

كانت هذه الجداول تشغل سطوراً كثيرة، وقد زانتها الأقواس والأنجم. وكانت طبيعة الوقائع تُذكر في عمود أيسر هكذا: حوادث، انتحار، قتل، شيخوخة، مرض، أسباب مختلفة. وكانت الأعمدة المجاورة له تشتمل، تحت العنوان المخصص، على عدد الوفيات وفقاً للجنس: (أ - ذكور. ب - إناث)، وعلى الناحية، ومحل الإقامة.

ثم خطر يوماً للسيد لاكيل أن يضيف إلى ذلك البيان الشديد الإيجاز، عموداً لتوقعات الأسبوع التالي. غير أن ملحوظة، في أسفل الصفحة، قد كانت تؤكد أن هذه المعلومات الأخيرة «مذكورة بكل تحفظ»!

وقد أولع الجمهور بهذه التوقعات الأسبوعية، وكان القوم يتراهنون لصالح لاكيل أو ضده. وكانوا يحاولون أن يأخذوا عليه





خطأ واحداً، ولكن السيد لاكيل لم يكن يخطئ قط. لقد كانت توقعاته تطابق الإحصاءات الرسمية، وسرعان ما تخلى عن إفادة القراء بأن هذه البيانات التي ينشرها عن الوفيات، لا تقع تحت مسؤوليته.

وإني لأذكر ذلك الرقم المثير الذي ارتفع به، فجأة، عدد الوفيات الأسبوعية المتوقعة - وقد كان يتراوح عموماً بين مائة وخمسة عشر، ومائة وخمسين - إلى مائتين وواحدة!

وأثار هذا الرقم فزعاً شديداً! فلم يعد الناس يجازفون بالسير في الشوارع بعد الساعة الثامنة ليلاً. وضاعفت الأمهات من اهتمامهن بتطهير أطفالهن. ووضع المجلس البلدي، في مفارق الطرق، حرّاساً للمحافظة على النظام، وراح كل امرئ يطمئن نفسه بأن هناك خطأ حسابياً أو مطبعياً!.

وبالفعل، كانت آلات الجمع الدقيقة، في صحيفة «بتي بلو» تشير في صبيحة يوم السبت إلى الرقم المطمئن: مائة وخمسة وعشرون وفاة.. أي أقل، بمقدار ست وسبعين حالة، مما حسبه السيد لاكيل.

وكان السيد فيلور - وهو رئيس قلم في إدارة دفن الموتى - يقول: «صدقوني، إن حفرة كهذه لا تُملأ في ساعات قليلة»، غير أنه في نفس يوم السبت هذا، وفي الساعة الثالثة والعشرين، والدقيقة الخامسة والأربعين، خرج عن الخط قطار سريع، في محطة «جابيول - ليه - بون».. ومات ستة وسبعون!!

وأصبح السيد لاكيل مفخرة قومية، فكان الناس يعجبون به، ويهابونه. وكانت غريزة خفية للحفاظ على الحياة، تدفع الجابيوليين إلى التماس وده. وعندما ألحت عليه الصحف البارسية، وشركات التأمين، ليعمل لحسابها، وأجاب قائلاً: إنه لم يكن ليترك الصحيفة التي بدأ فيها، جن جنونهم! ثم أقيم على شرفه حفل كبير، ودعيت إليه، فأتيح لي أن أراه أخيراً، في ذلك اليوم.

كان السيد لاكيل رجلاً قصيراً، نحيلاً، شاحب الوجه، خفيف الحركة، وكان وجهه الجاف كالخبز الفطير، يشي بساعات الحساب الطويلة، في ضوء المصباح. وكانت عيناه السوداوان تنظران إلى ما وراء الكائنات، وتجاعيده تنم عن الذكاء، وأنفه الطويل، الأبيض، المستقيم، يقف عمودياً على شارب رفيع، ظاهر، كأنه خط تحت علامة جمع! وكان ينبعث من شخصه كله سحر خشن، يشوبه طابع مصلحي غامض، تحملته كالآخرين! وكان يجيب ببساطة متناهية على ما يوجه إليه من الأسئلة مؤيداً كلامه بالمراجع العلمية التي لم تكن أسماؤها تدلنا على شيء، فيقول:

- ليس في حالتي شيء من التخمين. إنني أطبق القواعد، وأستخلص النتائج، ولا يهم من في مكاني...

هل حدثه أحد عن تحمسي لعمله؟ هل لحظ تعبير الاهتمام الممزوج بالاحترام، الذي كنت أستقبل به أتفه قول يصدر عنه؟ لا أعرف. لقد ترك المنضدة وتقدم نحوي، فوضع يده على كتفي قائلاً:



- يبدو عليك أنك شاب نظيف.

فقلت متلعثماً، وأنا أشعر بالخجل:

- إنني أحاول.

- إنك مولع بالإحصاء، ولا ريب. إنه علم كبير، وقد تجاوز، والحمد لله، مرحلة التجريب الأولية. إنه لم يعد يسجل فقط. إنه يستنتج. نعم؛ إنني أؤلف بحثاً في الإحصاء الاستنتاجي، وسأحدثك عنه بإفاضة أكثر، إذا لم يكن الموضوع يضايقك كثيراً. هل تزورني ذات مساء، بين السادسة والنصف، والثامنة؟

- لكنك تكاد لا تعرفني يا أستاذ؟

- إنني أتنبأ لك!

وألجمني الفرح، والفخر، والامتنان، فلم أستطع أن أشكره، كما كان ينبغي أن أفعل! وتواعدنا على اللقاء في الغد.

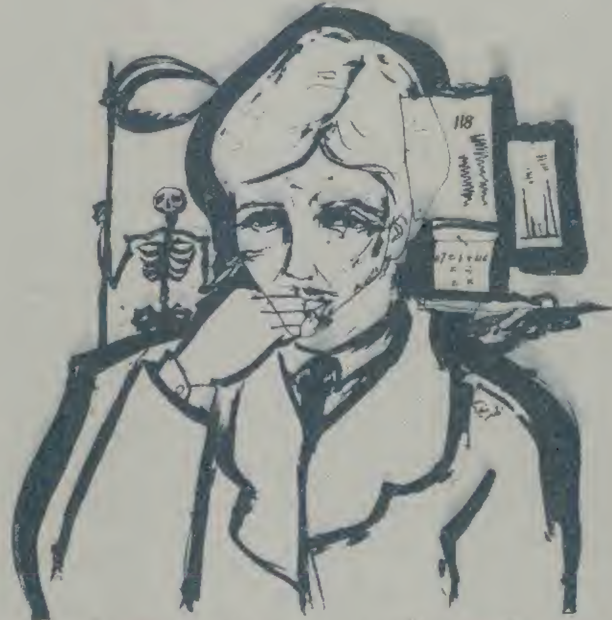
كان السيد لاكيل يسكن شقة عزب، متواضعة، في أحد الشوارع التي يندر أن يتردد عليها الناس في «جابيول - ليه - بون»، وقد استقبلني في غرفة مكتبه الغاصة بالكتب والأوراق القديمة، وكانت الجدران مغطاة بالرسوم البيانية المعدلة بالألوان، ومنحنيات الوفيات تتعرج ارتفاعاً

وانخفاضاً ، في إطار محدد من الأرقام والأسماء .. وخطوط المواليد تضطرد في تموجات زاحفة ، فوق الأعمدة الملونة التي تمثل السنين . وخطوط أخرى للزواج تتذبذب كتلك التي تبين حالة الطقس ، بين خطين متوازيين ، وفي الصدر كانت لوحة سوداء مغطاة بعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، وبالمعادلات المتعددة الدرجات ! .

قال السيد لاكيل ، وهو يمد إليَّ يداً ملوثة بالطباشير الأبيض :

ـ ها أنت في المعمل .

وكنت أحسده على حياته بين هذه العروض المثيرة ، لمصائر البشر . لقد وضع في مكان مرتفع من ركن الغرفة ـ كان قد اتجه إليه بصري ـ سجلاً للكوارث ، وللأحداث السعيدة العامة : مضغوطة ، ومصغرة ، ومعنونة بعناية . وكان عقلي ، وهو ينزلق الآن على طريق تأملاته ، يسترجع الوفيات الغريبة التي رفعت مستوى هذا الخط المسطور بالمداد ، والأوبئة البعيدة التي وسَّعت سطح هذا المربع الأصفر . وكانت وجوه راحلة ـ غريبة أو صديقة ـ تتزاحم أمامي ، وتتراكم . وكان هذا التعرض الحسابي للبشرية



قد منح السيد لاكيل فلسفة رصينة ـ وبطريقة لا يمكن تفسيرها ـ مذاق الخصال الحميدة .

قال :

ـ اجلس ، يا صديق العزيز ، سأعد قدحاً من الشاي .

إنني لم أعد أذكر تماماً تلك الأحاديث التي تبادلناها في هذه الزيارة ، لكنني ما زلت أراه في معطفه المنزلي ـ ذي لون السعوط ، والأكمام الواسعة ـ وهو يشير إلى الرسوم البيانية المعلقة على الحائط ، ويقول :

ـ كل شيء هنا . كل شيء يؤدي إلى هذا . زهرة يابانية منطوية على نفسها ، وينبغي أن تُنشر أوراقها واحدة واحدة !

ـ ألا تخشى المقلدين ؟

ـ إذا كان عملهم ينحصر في تقليدي ، فهم خليقون بالازدراء ، وأنا أتجاهلهم . وإذا كانوا يتجاوزون أعمالي ، فلا أستطيع إلا أن أشكرهم !

بعد فترة وجيزة من الزمن ، خصصت صحيفة «بيبه ريبوبليكان» باباً للإحصاء الاستنتاجي ، مماثلاً لذلك الذي كانت تنشره صحيفة «بيتي بلو» ، وكانت الجداول توقع باسم : فورتيش ، وكنت أعرف هذا الشخص لأنني قد كنت قابلته في مقهى «لابوصت» حيث كان يتناول يومياً مشهياته ، ومهضماته المضاعفة ! وكان هذا رجلاً ضخماً ، ثقيلاً ، ذا وجه مُوَرَّد ، مويَّر ـ كورقة النشاف الجديدة ـ وعينين في لون رُبِّ السوس . ولم تكن دراساته ، ولا مزاجه ، تنبئ بالعمل الذي أخذ يباشره . ومع ذلك ، فقد كان الثنائي «لاكيل ـ فورتيش» يثير حماسة الرأي العام . وانقسم جمهور «جابيول ـ پون» إلى معسكرين ، وكان لكل بطل مؤيدوه المخلصون .

وظهرت فوق الجدران ، وفي دورات المياه ، كتابات ناقة ، من قبيل : «لاكيل أبله ـ فورتيش يستحق الضرب ! » .

وكان لزاماً على فورتيش أن يعترف سريعاً بالهزيمة . فقد كانت توقعات السيد لاكيل تتحقق دائماً ، بينما كانت أرقامه هو تبدو خطأ أكيداً ! وأخذ الشك يتسلل إلى نفوس مؤيديه . وكنت يوماً آخذ قسطاً من الراحة في مقهى «لا بوصت» عندما سمعت فورتيش يصرخ في وجوه جماعة من الصحفيين قائلاً :

ـ لا عجب في أن تصدق توقعاته للوفيات . إنه «يُكَمِّل» !

وترددت الكلمة الفظيعة على الألسنة ! وفسرها الناس في أول الأمر بأنها هفوة أو نكتة ! ولكن اللفظ قد كان له تأثيره المدمر . فكنت أجد حرجاً ، وتخوفاً ، ينذرانني بالخطر ، حتى في أحاديث الأصدقاء عن السيد لاكيل :



ـ لن تقول لي إنك تصدق هذه الفرية!

ـ نعم.. نعم.. بكل تأكيد. ومع ذلك، فلتعرف بأنه من الغرابة بمكان ألا يقع أي خطأ في توقعات لاكيل. إنه شيء غريب، ومثير للقلق!.

لو كان أخطأ مرة واحدة فقط! ولكن هذه الدقة البالغة لا بد أن تثير الشكوك! إنه لا يعمل بنفسه، على وجه اليقين. لقد أكدوا لي أن هناك طغمة من الأشرار الذين يتكفلون بأعمال من هذا النوع! الذين «يكملون» إذا شئنا أن نستخدم تعبير فورتيش!

وانتابني الفزع! فقد كنت أحس بأن جوًا مزعجاً من الشك، والخوف، والنفور، يتجمع شيئاً فشيئاً حول صديقي: وكأنه كان مسؤولا عن كل الوفيات التي كان يعلنها! وقد سمعت ذات ليلة في ميدان «ديروليد» أمًا تزجر ابنتها الصغيرة، الباكية، قائلة:

إذا لم تهدئي، وضعك السيد لاكيل في قائمته!

ما أسرع تبدل الشهرة! فلم يلزم أكثر من شهرين ليصبح الرجل الذي كانوا يحتفلون به أعظم احتفال، في جابيول ـ ليه ـ يون، مجذوماً، يتحاشون منه، وتبادر كل تسكن شقة مجاورة لشقته، بإخلاء مسكنها!

وقرأت مرة هذه الكلمات الصريحة مكتوبة بالطباشير على باب بيته: «قاتل»، وتحتها: «لاكيل، المورد المعتمد لحفار القبور»(*)!

وكان هذا أكثر مما يطاق! وقمت بزيارة السيد لاكيل. ووجدته يرتب عدداً من الخطابات المهينة، في انصراف ذهني يجل عن الوصف، واستشهاد سعيد!

قال لي:

ـ إنهم لا يعرفون ما يفعلون!

ـ يعرفون أو لا يعرفون: إن الموقف لا يمكن أن يستمر! ويهمك أن توقف الإشاعة المنتشرة، وأن تسترد اعتبارك، وتخرس خصومك، بأسرع ما يمكن!

فهز كتفيه في نبل، وأجاب قائلاً:

ـ لا أعرف الوسيلة.

ـ إنها بسيطة جداً، مع ذلك: يكفي أن تخطئ في تقديراتك مرة واحدة! إن ما يزعج قراءك هو أن يروا حسابك دقيقاً إلى هذا الحد! إن خطأ واحداً سيعيد إليك كل هيبتك!

فرفع السيد لاكيل عينيه إلى سقف الغرفة، وفتح ذراعيه في حركة عجز هادئ، وتساقطت من فمه هذه الكلمات المخيفة:

ـ لا أستطيع أن أخطئ!

ـ ماذا تعني؟ لو أنك، بدلا من تقدير عدد الوفيات للأسبوع المقبل، اخترعت رقماً عشوائياً، وأعلنته...

ـ سيطابق القدر هذا الرقم!

فنظرت إليه مبهوتاً! وكانت عيناه تلمعان، وشفتاه ترتعدان انفعالا. وقال في صوت آت من وراء القبر:

ـ هل تعتقد، إذن، أنني لم أحاول أن أخطئ؟ إنني لا أكف عن هذا!! وما توانيت عن هذا قط!.. يستحيل عليَّ بالطبع أن أذكر مجموعاً صغيراً، كخمسين وفاة، لأن قرائي سيكشفون الحيلة. ولكن كل رقم آخر ـ مهما قلَّت معقوليته ـ تؤكده الوقائع توًا! إن حظاً عنيداً يطاردني، ولم أعد أستطيع الفرار من علمي وتوفيقي!

إنني سجين قدرتي. إنني لم أعد أتوقع. إنني أصدر أمراً! هل تدرك الآن مبلغ الفظاعة في حياتي؟

وغاص في مقعد، ورفع يديه المعروقتين إلى وجهه المتحلل ثم تنهد قائلاً:

ـ واأسفاه! وددت أن أكون جاهلا، وضعيفاً، كأي فرد ما، من بينكم! وددت ألا أشعر بعد، في نفسي، بهذا الوضوح، وددت أن أعود



وكان الضوء يخفت وئيداً. والرسوم البيانية تتشكل على الجدران وجوهاً مشوهة، تغضنها الخطوط البنفسجية، وتطبعها الأرقام بآثار الجدري!

وفي ركن من الغرفة، كان عدّاد السيد لاكيل يخرج لسانه الورقي الأبيض، وفوق اللوحة السوداء كانت تتكون من علامات الجمع مقبرة صغيرة. واعتل مزاجي بشكل غريب، وغمغمت قائلاً:

ـ اسمع؛ يجب أن نخرج من هنا. هل تنشر للأسبوع القادم رقماً أعطيك إياه أنا؟ إن هذا السحر الشيطاني الذي استولى عليك لا يؤثر فيَّ، ولا يساوي شيئاً عندي، وسأخطئ، بالتأكيد!

ـ هيهات أن نعرف!

ـ لا تكلف المحاولة شيئاً!

وابتسم قائلاً:

ـ ما رقمك؟

ـ مائة وثمانية عشر، مثلاً.

وسجل الرقم في مفكرة. وكان يهز رأسه مكتئباً، وهو يكتب.

كانت المهلة تنتهي في منتصف ليلة السبت التالي. وكنت منذ الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم



أتواجد في قاعة تحرير صحيفة «پتي بلو» حيث كان العدّاد يخطرنا، ساعة فساعة، بآخر إحصاء رسمي للوفيات: «١١٤ ـ ١١٥ ـ» وأنا أجلس في كرب شديد، أمام الجهاز الذي لا يهمد! لقد كانت سمعة السيد لاكيل ومستقبله، رهن سباق الموتى، هذا اللعين! وكنت أتخيله، وهو في غرفته، يراقب النتائج مثلي، ويأمل في حدوث الخطأ ـ مبتهلاً ـ كما أفعل! وفي الساعة الحادية عشرة، كان عدد الوفيات يرتفع إلى مائة وستة عشر، بينما كان صحفيان يتبادلان توقعاتهما على جانبيَّ:

ـ لن يموت اثنان في ساعة واحدة!

ـ لقد رأينا هذا من قبل!

ـ أعتقد أن لاكيل قد أخطأ تماماً.

ـ إنه أخبث مما تعتقد، هذا القرد العجوز!

ـ لقد توقع فورتيش مائة وسبعة عشر.

ولم أكن أستطيع الصبر على هذا الحوار، فتركت مجلسي. وكنت في طريق الخروج عندما ارتفع صوت يقول:

ـ مائة وسبعة عشر!

فاستندت إلى الجدار، وأغلقت عينيَّ وقد تخاذلت ساقاي، وتعلقت أنفاسي، ورحت أردد في داخلي: «شريطة ألا يموت شخص آخر قبل منتصف الليل! أو أن يموت اثنان دفعة واحدة...».

ولم يمت أحد. وقبل منتصف الليل بخمس دقائق كان العداد يشير باستمرار إلى مائة وسبعة عشر. وأخذت عصاي وقبعتي، والطرب يستخفني، وأسرعت إلى السيد لاكيل، وكنت أمام بيته عندما اصطدمت بفورتيش الذي كان يتأهب للدخول، وقال الشقي هازئاً، وهو يضحك:

ـ هل رأيت؟ لقد أخطأ!

قلت:

ـ نعم؛ ولكن هذا لم يكن دون شر!

ورافقني في صعود الدرج، وكان باب الشقة مفتوحاً، ودخلنا غرفة المكتب، وكانت فوق المدفأة ساعة قائمة تشير إلى منتصف الليل، وكان العداد، في ركنه، متوقفاً عند مائة وسبعة عشر، وكانت الأوراق تفرش الأرض، والصمت كأنه مشحون بتهديدات خفية! وفجأة دوّى في أسماعنا طلق ناري، فهرعنا إلى غرفة النوم، وكان السيد لاكيل ممدداً بعرض السرير، وياقته مفكوكة، ووجهه شاحب، وخيوط من الدم تسيل من فمه وأنفه، وكان المسدس واقعاً فوق السجادة.

وصرخت قائلاً:

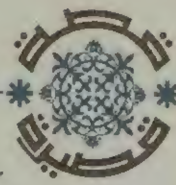
ـ ميِّت! أسرع بإخطار الشرطة! هات معك طبيباً!

وكان فورتيش يهرش رأسه، وقال:

ـ مائة وثمانية عشر! لا يهم؛ إن للرجل طريقة لطيفة في تدارك الخطأ!

الهوامش

(★) في الأصل: لدار بورنيول.



تأليف: ماي س. جينكنز
ترجمة: شوقي الأمير

أستطيع أن ألعب «لعبة المدرسة»

في عصر أحد الأيام المشمسة أثناء العطلة الدراسية كنت أكتب رسالة لأمي في الوقت الذي كانت فيه ابنتي «ماريان» تجلس على النجيل في الحديقة خارج الشرفة، تلعب «لعبة المدرسة» بعرائسها وتنحو عليها باللائمة، وقد أزعجها عدم حضورها بإيماءات تعبيرية من يديها مثلما تفعل مدرستها. وكانت مشاهدتها وهي تفعل ذلك تثير فيَّ المتعة.

ماذا أكتب عن ماريان؟ كان من الصعب عليَّ أن أجد شيئاً جديداً لأقوله، وما كنت أريد أن أستخدم نفس عبارات الأسبوع الماضي ـ وربما ـ الأسبوع الذي سبقه. كانت أمي في كندا، وكانت تتلهف على قراءة أخبار الوطن، وكانت تبحث بين السطور عن أخبار ماريان التي تكن لها حباً مشوباً بالقلق عليها.

وأخذت أمعن النظر في الطفلة كأنما أستلهمها الكتابة، وأخذت أفكر للمرة الألف.... كم هي جميلة بجدائل شعرها الأسود التي تلتف إطاراً حول وجهها المدبب، وعينيها السوداوين الجادتين ـ جادتين بشكل لا يتناسب مع طفلة في عامها السابع ـ وشفتيها الممتلئتين الحساستين. وكان كبرياؤها العميق المحبوب يثير فيَّ الشفقة، كانت فتاة ذكية عزيزة، غير أني كنت أحس مع ذلك بخيبة الأمل، فقد كنت أحلم بطفلة مختلفة، كنت أتمنى فتاة ذهبية، ذات صوت ذهبي تتحرك في الحياة بثقة واعتداد.

وقد قال لي زوجي عندما كنت أرسم أمامه هذه الصورة في الشهور التي سبقت ولادتها:

ـ «آن.. إنك بلهاء، فأنت لا تعرفين إذا ما كنت سترزقين بنتاً، ولنفرض أن هذا سيحدث فليس في إمكانك أن تطلبي فتاة على نفس المثال الذي ترسمينه. إنك تنحين نحو المتاعب».

وبطبيعة الحال كان هو على صواب، فقد جاء المولود طفلة ولكنها لم تكن كما تخيلتها. وما زلت أفكر والحزن يعتصرني، في الطفلة التي كان يجب أن تكون، والتي لن تكون قط، لأن زوجي قُتل في حادث سيارة قبل أن تولد «ماريان» بفترة وجيزة وغاب عني الآن فلم يعد بجانبي يشاركني أيامي ويواسيني.

وفي بعض الأحايين كان أصدقائي يتكلمون معي عن الزواج مرة ثانية. ولكنني كنت أحب «توم» كثيراً جداً. كنت أحبه بشدة لدرجة أن أيامنا معاً، التي كانت مضطرمة بالحب، لا زالت في داخلي. ثم هناك «ماريان». إن زوج الأم ـ كما هو في الروايات وفي واقع الحياة ـ لحري بأن يسبب لها اضطراباً قد تكون له نتائج بعيدة الغور عميقة الأثر، فهي الأهم.

لم تكن ماريان عصر هذا اليوم راضية عن لعبتها، وكنت أعرف، دون أن تخبرني، ما الذي يضايقها. كانت تريد «كريستابل» عروستها المفضلة، التي كانت قد تركتها هذا الصباح في العلية، وكانت اللعبة لا طعم لها بدونها، ومن ثم استقر رأي ماريان فنهضت وأخذت تنفض العشب عن فستانها القطني الأزرق.

وعندما استدارت، رأت السرور في عيني فأضاءت عينيها بضحكة جميلة نادرة، وكان يبدو أن عينيها تقولان «أعرف أنه حمق مني، ولكن لا حيلة لي، لا بد أن أحضرها». وابتعدت فشاعت البرودة في الحديقة بغيابها، وأصبحت العرائس مهملة، وأخذت أفكر. إنها رغم كل شيء حبي، وحملي الوديع، وحبيبتي، كل منا تفهم الأخرى، ولم تعد هناك ضرورة للكلام بيننا. ترى كم من الآباء يستطيع أن يقول ذلك؟ وانحنيت على المكتب مرة أخرى وقد أصبحت روحي أكثر خفة.

ـ «كما تعرفين، ماريان في البيت الآن،، ووجودها معي أمر رائع. إني أتمنى لو

كانت العطلة الدراسية أطول من ذلك ... » .

ومر طيف من أمام الشرفة فحجب الحديقة المشمسة ومرت لحظة كنت أتوقع فيها ، وبالحمق ، أن أرى «ماريان» غير أن الطريق إلى العلية طويل ، إلى جانب أنها بمجرد أن توجد هناك تشتغل بشيء آخر ، فتطلعت لأرى من يكون هذا الطيف . كانت الفتاة الصغيرة التي تعيش أسرتها في المنزل المجاور . كانت تدفع برتقالة في الهواء ثم تمسك بها مرة أخرى . وقلت لنفسي «كأن هذه حديقتها ، قلة حياء» . لقد قطنت أسرتها هنا منذ اسبوعين ، ولكن الأمر بالنسبة لي يبدو كأنهم كانوا يقطنون منذ زمن طويل ، ولم أكن قد قمت بزيارة أمها بعد ـ في مدينتنا الصغيرة ما زالوا يعتبرون زيارة الجيران الجدد أمراً داعياً للود بين الناس ـ غير أنه ليس في استطاعتي أن أحصي عدد المرات التي ظهرت فيها ابنتها في حديقتنا قائلة : من فضلك ، هل يمكنني اليوم أن ألعب مع ابنتك الصغيرة ؟

ربما كانت أكبر من ماريان بعام أو بعامين ، وكانت نحيلة ، جميلة ، يشبه شعرها القمح الناضج تحت أشعة الشمس ، وكانت عيناها زرقاوين تتلألآن وتشيع فيهما الحيوية . وكأن هذا لايكفي ، فكان صوتها صافياً ، غير مكترث ، مثل جدول جبلي . وأخذت أقمع في نفسي ، ألم الحسد الذي كان يعاودني دائماً .

وأعلنت عن نفسها قائلة !

ـ ها قد جئت مرة أخرى .

ـ صحيح ؟

ورغم الضيق الذي كنت أحس به ، كنت مسرورة . (متى أعود لرسالتي ؟ إن أمي تنتظرها ، وسينتابها القلق إذا لم تصلها ، إن أسوأ شيء هو أن توافق على إرسال رسالة في وقت معين) .

ـ رأيت ابنتك الصغيرة في الحديقة .. أنا أستطيع أن ألعب «لعبة المدرسة» أيضاً إنني أحبها .

ـ كم مرة أخبرتك أن . . .

ـ ولكنها تلعب بمفردها طول الوقت . ستكون وحيدة .

ـ ماريان تحب أن تلعب بمفردها .

وكان ذلك حقاً . ودارت في رأسي الأفكار الحزينة . كانت تنفر من أطفال الجيران معتقدة أنه في استطاعتها أن تلعب ألعابهم بشكل صحيح وكانت تخشى ضحكهم معتقدة أنهم يضحكون منها ولم تكن تفهم أبداً أحاديثهم المرحة النابية . وقالت الطفلة الأخرى بصوت لاذع :

ـ لا بد أنها وحيدة .

ـ كانت وحيدة فعلاً ولا تعرف الطريقة التي تتحاشى بها هذه الوحدة فكل الطرق التي حاولت أن تسلكها كانت تفضي بها بعيداً عن هذا العالم المرح الصاخب .

ـ وأنا أيضاً ليس لدي إخوة أو أخوات ، ولم أعرف أحداً هنا بعد .

وانتابتني الأفكار المتجهمة ، إنك سرعان ما تعرفين ، وتمنيت لو أن ماريان كانت تمتلك ربع ما كانت هذه الفتاة تنثر حولها ، وهي مبتهجة ، في أركان الدنيا الأربعة من اعتداد بالذات . وغالباً ما أستسلم أمام إصرارها العنيد . ولكن ما الفائدة ؟ لقد جرت عدة محاولات من قبل ، وكانت النتيجة دائماً واحدة . كانت ماريان تعود للبيت بأسرع ما تستطيع ، وقد تهدل كتفاها في يأس يصيبني في صميم قلبي .

غير أنها معي كانت مختلفة . كنا نمرح معاً أو نذهب للنزهة . كان الخروج مع ماريان للنزهة يشيع فيّ السرور دائماً . كانت تحب رؤية الأشياء الصغيرة





المبهجة . كالبرعم الجديد ، أو الوردة البرية أو الزغب الطائر مثل السحر في الهواء ، يجلب لعينها نعومة حالمة ولقدميها خفة ، فكانت تجري منطلقة مسحورة فوق العشب اللين ، بين الأشجار التي تحدب عليها . كان هذا هو عالمها المنيع .

ما هي تلك القصيدة التي تركها كاتب مجهول في أحد المخابئ التي يأوي إليها الناس احتماء من الغارات الجوية خلال الحرب ؟ إنها تقول : « الجمال محاط بالمتاريس التي لا يمكن أن تدمر » . ولقد أدركت ماريان هذا بالفعل . وجمعت شتات نفسي وقلت :

ـ لا فائدة ، يا عزيزتي .

ونفثت ما كنت أحس به من غيظ، وحل محله شعور بالاطمئنان .

ـ لطيف منك أن تقولي إنك ستلعبين مع ماريان كما أنه شيء جميل أن يأتي جميع الأطفال ولكن هذا الشيء أنت لا تعرفين ما يعنيه . ستملين منها وعندئذ ستظن هي أنك لا تحبينها فهي لا تفهم ، وبالنسبة لطفلة مثلها يتطلب الأمر أن تتحلى بالكثير من الصبر .

وحملقت الفتاة فيّ ، وبدت الحيرة واضحة على وجهها .

ـ ألا تعرفين ؟

لقد سكنت بجوارنا منذ وقت قصير غير أني كنت أعتقد أنها تعرف وأن شخصاً ما أخبرها وكنت أظن ، كما هو حري بنا أن نظن دائماً ، أن مأساتي الخاصة كانت ذات أهمية كبرى بالنسبة للآخرين أيضاً .

ـ لا ؟ ما الأمر .

ـ إنها صماء بكماء .

ومرت دقيقة ، ثم عادت تقول :

ـ هل تتكلم على أصابعها .

ـ قليلاً .. وتتكلم بطرق أخرى كذلك .....

إنها تذهب إلى المدرسة .

وفجأة أصابني الملل .

ـ وهكذا ترين السبب في أنك لا تستطيعين اللعب معها يا طفلتي .

فقالت بصفاقة :

ـ لا تناديني بكلمة « طفلة » اسمي « فريدا » .

تحركت بعيداً عن الشرفة .

ـ اعط هذه لماريان لقد أحضرتها من أجلها .

وناولتني البرتقالة ثم راحت تمشي رشيقة متكاسلة على الممشى وقد أخذت ضفائرها الصفراء تتأرجح . وقلت في نفسي ، لا ينبغي أن تفتحي قلبك لطفلة ، فما أن تحاولي ذلك إلا وتصفعك على وجهك . لقد قالت « فريدا » اعطها البرتقالة كأنما لتريح ضميرها فهي لا تريد الآن أن تلعب مع ماريان ، ولكن ما الذي كنت اتوقعه ؟ لقد حاولت أن أثبط من عزيمتها أليس كذلك ؟

وعندما استدرت رأيت ماريان . منذ متى كانت واقفة هناك ؟ ما الذي فهمته ؟ كانت عيناها تتبعان « فريدا » . ومرت لحظة أصابتني فيها الدهشة وقد ظننت أنها حزينة لرؤية البوابة تفتح وتغلق . ولكني صممت على أنني كنت مخطئة فهي لم تكن تريد قط أن تلعب مع الأطفال الآخرين .

ثم قالت ماريان وهي تتكلم على أصابعها ، كما قالت « فريدا » .

ـ ماما ، هل تريدينها بدلا مني ؟ . فوضعت ذراعي حولها ، وقد صدمت بعمق . لقد أحست برغبتي في طفلة بدون عاهة .. لقد جرحت وأحست بالمرارة .

هل يفسر هذا ، إلى حد ما ، تعاستها الكبيرة وإحساسها بالعجز في عالم الأطفال الآخرين . آه يا حبيبتي ، يا أعز أحبائي . ولم أضف هذه المرة عبارة « على أية حال » وأدركت أخيراً كم كان حبي بالنسبة لها ، إنه كان يعني الكثير .. أكثر مما كان يعني لفريدا التي كان لديها كل شيء يمكنها من أن تعتني بنفسها . وضغطت بشفتي على شعرها اللامع الأسود وأخيراً ماتت تمنياتي الحمقاء إلى الأبد .

وعندما أطلقتها ركزت فيّ نظراتها لمدة دقيقة ثم جرت للخارج مع عروستها « كريستايل » وهي راضية . وأنهيت رسالتي وأنا فرحة ، رغم اضطراب أفكاري ، ثم صعدت للطابق العلوي لأستعد للخروج إلى السوق في المساء .

وعندما هبطت بعد نصف ساعة كانت « فريدا » في الحديقة مع « ماريان » وقد أحضرت عرائسها وبدا « الفصل » أكبر وأكثر بريقاً ، والهواء فيه مريح . وكانت ماريان ، مديرة المدرسة تجلس في مكتبها . وكانت « فريدا » باعتبارها وكيلة المدرسة ، تتظاهر باستشارتها وتدون بعض الملاحظات في دفتر للمذكرات وتطلعت لأعلى بلا اكتراث ، عندما رأتني وقالت :

ـ لقد قلت لك أننا أستطيع أن ألعب لعبة المدرسة .



علم وظائف الأعضاء

أ

اهتياج :

قدرة الخلايا أو الأنسجة أو الكائنات الحية على أن تتفاعل أو تستجيب للمنبهات الداخلية أو الخارجية . وهذه القدرة هي إحدى الخصائص التي تميز كل شيء حي ، من أمثلة الاهتياج استجابات الكائنات الحية للضوء والحرارة والصوت واللمس .

ب

بلعم :

كل خلية في الجسم تتغذى ببلع الأجسام الغريبة ولها حركة نمورية وقدرة على الحركة خلال الأنسجة وهي في الفقاريات كرية دموية تتغذى على البكتيريا وفي الإنسان كرية من الكريات البيض في الدم تبتلع الكائنات الدقيقة وحطام الخلايا والجسيمات الغريبة في الأنسجة .

ت

تضامن :

تآلف وتناسق في عمل الأجزاء المختلفة في الجسم لأداء وظيفة ما . كما يحدث في الحركات المعقدة التي تقوم بها العضلات . المخيخ ، وهو أكبر أجزاء الدماغ بعد المخ يشرف على تضامن العضلات .

ث

ثرومبين :

انزيم في الدم يساعد على تجلطه وهو يتكون من أحد بروتينات الدم المسمى (**بروثرومبين**) ويحول **الفيبرينوجين** إلى **فيبرين** في أثناء التجلط . الثرومبين يوجد في الدم عندما يسيل من جرح أو قطع في الجسم ، ولكنه لا يكون في الدم الجاري في الدورة الدموية .

ج

جهاز هضمي :

كل أجزاء الكائن الحي المتعدد الخلايا التي تعمل عملاً مباشراً في إعداد الطعام للامتصاص ، وكذلك كل الأعضاء التي تعمل معها لهضم الطعام والجهاز الهضمي في الإنسان يشمل القناة الهضمية التي يمر فيها الطعام في أثناء هضمه وعدداً من الغدد تفرز السوائل الهاضمة .

ح

حمل :

المدة ما بين اللقح والولادة وهي المدة التي تُحمل فيها صغار الثدييات في أرحام أمهاتها . مدة الحمل في الإنسان تسعة أشهر ، أما في الفيلة فهي اثنان وعشرون شهراً .

خ

خميرة (انزيم) :

حافز عضوي تحويه الخلية الحية يتكون من بروتين أو بروتين متحد بمواد أخرى ، وهو يضبط التفاعلات الكيماوية في المادة الحية .

د

دماغ :

كتلة كبيرة من نسيج عصبي هو مركز الحركات الإرادية وتضامنها في الإنسان وغيره من الفقاريات وهو كذلك موضع الذاكرة والتعليل

وغيرهما من العمليات العقلية . والدماغ تحويه الجمجمة في أعلى العمود الفقري ويبلغ متوسط وزنه في الإنسان نحو (١,٣) كغم تقريباً .

ذ

ذات بطنين :

صفة لعضلة ذات جزءين لحميين في طرفيها ووترٍ في وسطها . هناك عضلة ذات بطنين تخفض الفك الأسفل وتساعد بطريق غير مباشر في تحريك اللسان .

ر

رجفة الركبة :

حركة انعكاسية طبيعية للرِّجل إذا ما ضرب الوتر تحت الرَضفة والرجل منثنية وتسمى أيضاً **المنعكس الرَّضيفي . ويجري اختبار رجفة الركبة أحياناً لكشف إصابات الحبل الشوكي .**

ز

زفير :

إخراج النفس ، أو انطلاق الهواء من الأنف أو الفم .

س

سائل مخي شوكي :

سائل مائي قلوي يجري تحت سحايا المخ والنخاع الشوكي وهو يستخلص من الدم بواسطة بنيان خاص في المخ ثم يمتصه الدم ثانية بواسطة بنيان خاص آخر على امتداد الجهاز العصبي المركزي والسائل المخي الشوكي يساعد في حفظ توازن الضغط في المخ والنخاع ويقيهما تلقي الصدمات دونهما .

ش

شباب :

المدة بين انتهاء الطفولة ، أي ما بين البلوغ وتمام نمو الجسم (من ١٢ إلى ٢١ سنة في الأنثى ومن ١٤ ـ ٢٥ سنة في الذكر) . وتتميز مدة الشبوبية عامة بنماء قدرات الفرد وميوله ، وكذلك بتغيرات في شكل جسمه .

ص

صدمة :

رد فعل جسدي بالغ الشدة يتميز بهبوط مفاجئ في ضغط الدم وبسرعة وضعف في النبض وبرودة في الجلد وعرق وشعور بالقلق . وقد تحدث الصدمة من إصابة جسدية أو شدة من الشدائد العقلية ، وقد يكون سبب الصدمة الوظيفية إصابة مؤلمة أو نزفاً شديداً أو حرقاً كبيراً منبسطاً .

ض

ضغط الدم :

هو ضغط الدم على جدران الأوعية الدموية من داخلها ولا سيما الشرايين . ويختلف مقداره تبعاً لعوامل السن وبنية الجسم ودرجة الانفعال . **يزداد ضغط الدم طبيعياً مع تقدم السن .**

ط

طبقة سفلى :

المادة التي تعمل عليها الحوافز العضوية (الخمائر أو الإنزيمات) . في عملية الهضم تنشق الطبقة السفلى البروتينية بفعل انزيم **الببسين** الذي تنتجه جدر المعدة .

ظ

ظاهرة تحول الغذاء :

وهو ما يسمى **بالأيض البنائي** وهو ظاهرة تحول الغذاء إلى نسيج حي في الحيوان ويقابله **الأيض الهدمي** . والأيض البنائي مستهلك للطاقة .

ع

عصب :

أي من الألياف الشبيهة بالخيوط ، تخرج من الجهاز العصبي المركزي ، والتي تمر خلالها الدفعات العصبية بين مختلف أجزاء الجسم

والجهاز العصبي المركزي ، والعصب يتألف من ألياف عصبية وأوعية دموية وأوعية ليمفاوية وأنسجة ضامة أو أغماد عصبية .

غ

غريزة :

نمط خاص من السلوك يتوقع صدوره عن نوع ما من الحيوان وغالباً ما تقرره الوراثة .

ف

فصيلة الدم :

إحدى الفصائل الأربع التي يمكن أن يصنف إليها دم الإنسان حسب خصائص كيميائية معينة وهي (أ) و(ب) و(أ ب) و(صفر) . **فصيلة دم الإنسان الذي يمكن أن يمنح لأي إنسان آخر هي فصيلة (صفر الإيجابية)** .

ق

قصر الإبصار :

حالة تكون فيها عدسة العين شديدة التحدب أو المقلة شديدة الطول مما ينتج عنه وقوع بؤرة أشعة الضوء الداخل العين أمام الشبكية وهو قصر النظر .

ك

كلال :

نقص مؤقت في قدرة الكائن الحي أو بعض أجزائه على العمل في كفاية بعد إجهاد طويل أو شديد أو تنبيه مفرط ؛ حالة تعب أو إعياء . إذا لم يكن الأكسجين كافياً في أثناء الرياضة البدنية فإن الكلال العضلي يزداد .

ل

لعاب :

إفراز رائق لزج نوعاً يخرج من الغدد اللعابية . وهو في الإنسان ضعيف القلوية في المعتاد ويحتوي مخاطاً وإنزيمات ، وهو يرطب الطعام ويلينه قبل بلعه .

م

مرض الصندوق :

آلام شديدة بالأطراف والبطن سببها هبوط سريع بالضغط الجوي على الجسم يترتب عليه تكون فقاقيع غاز النيتروجين في الدم . إذا أصيب شخص بمرض الصندوق فإنه يعالج عادة بوضعه في خزانة ذات ضغط جوي عالٍ ، ثم يخفض الضغط تدريجياً إلى الضغط الجوي المعتاد .

ن

نبض :

توسع منتظم التوقيت في الشرايين ناتج عن انقباضات عضلات القلب وما يصاحبها من ارتفاع ضغط الدم . تزداد سرعة النبض عند الغضب والخوف والرياضة البدنية العنيفة .

هـ

هستامين :

أحد الأمينات ، ويوجد في كل أنسجة الحيوان ، وهو يوسع الشعيرات الدموية ويخفض ضغط الدم وينبه الإفرازات المعدية ، ويطلق كذلك على عقار تخليقي له صفات مماثلة .

و

وهن :

حالة الأعياء أو الضعف المتناهي الشدة . الراحة والطعام قد يتغلبان على الوهن الجسماني .

ي

يوريا :

المركب الرئيسي الذي يحوي النيتروجين في البول . **والبولينا** هي الناتج الأخير لمخلفات انحلال المركبات البروتينية في الجسم .

يهوي :

يحول الدم الوريدي إلى دم شرياني في الرئتين بإدخال الأكسجين وإخراج ثاني أكسيدالكربون .

دورة سيوول الأولمبية

أقيمت في مدينة « سيوول » بكوريا الجنوبية الدورة الرابعة والعشرين للألمبياد .. هذه الدورة التي أعطتها حكومة كوريا كل اهتماماتها .. وحشدت لها كل الطاقات من أجل أن تأتي في المستوى اللائق .

وقد شهد « ستاد » سيوول العالمي افتتاح المهرجان الكبير الذي حضره رئيس الجمهورية وألقى كلمة بهذه المناسبة .. وكان المهرجان تظاهرة فريدة أرادت كوريا أن تتألق فيها على كل الدورات السابقة التي أقيمت في مدن مختلفة من العالم .

وقد كلف إنشاء « الاستاد » ومنشآته بلايين الدولارات .. كما أن إقامة الدورة كلفت كوريا ملايين الدولارات .

وهذه الدورة اشتملت على كل الألعاب الرياضية التي مثلها رياضيون من مختلف أنحاء العالم .

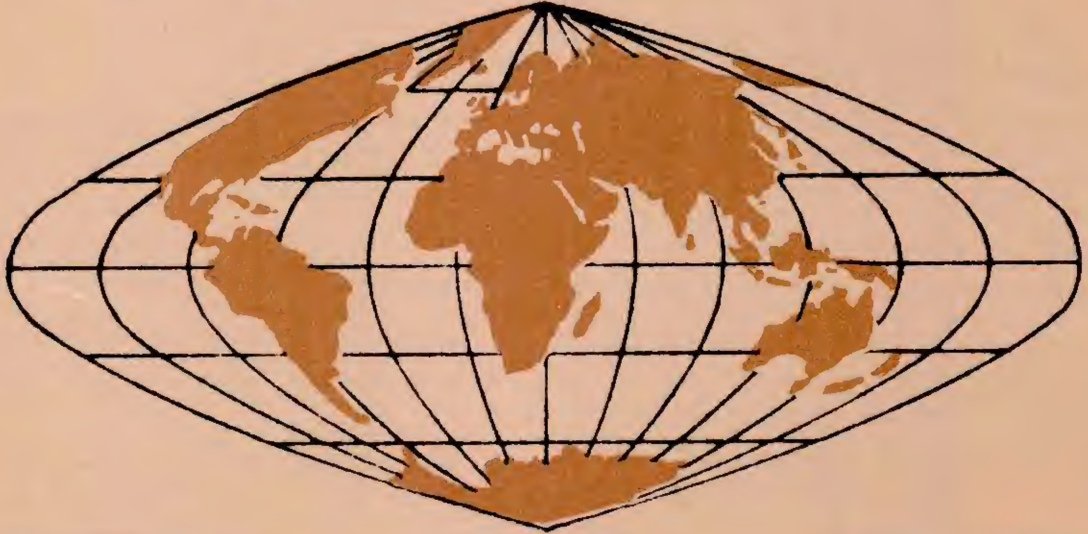
وتعد كوريا هذه الدورة واحداً من الأعياد التي تعتز بها لتظهر للإعلام قدرتها على التنظيم ، واستقرار اقتصادها ، وأنها بلد مضياف كريم يحب السلام والرفاهية لكل شعوب الأرض .

هذا ، وسوف تقدم مجلة « الفيصل » استطلاعاً مصوراً عن هذه الدورة بكل ما تشتمل عليه من تظاهرات فنية ورياضية في محاولة أن يكون هذا الاستطلاع مرجعاً لكل محبي الرياضة وعشاقها وهواتها .. وللدارسين والباحثين في دورات الالمبياد العالمية .. والله الموفق .



الحركة الثقافية

في شهر



- إعلان أسماء الفائزين بجائزة « أبها » ـ عسير في المملكة العربية السعودية .
- إعلان أسماء الفائزين بجائزة « صدام الأدبية » ، في العراق ، وجائزة ابن سينا في الهند .
- خطة التنمية الثقافية في دول مجلس التعاون العربية في الخليج .
- مسابقة دولية في حفظ القرآن الكريم ، بالمملكة العربية السعودية .
- باحث وعالم سعودي يمنح جائزة أفضل بحث نشر في عام ١٩٨٧م .
- وفاة الدكتور عبد الحميد يونس في مصر ويوسف عالم في السودان ، والشاعر الفرنسي « بونج » ، والشاعر القاص الأمريكي « كارفرن » .
- إنشاء مؤسسة ثقافية عربية مستقلة في لندن .
- العثور على أنقاض أربعة مساجد إسلامية شرق « مدريد » في أسبانيا .
- شاعر عربي يرأس المؤتمر العالمي للشعر لأول مرة في بلجيكا .
- إعلان أسماء الفائزين بالجائزة الأوروبية في فرنسا .
- العلاقات العربية ـ اللاتينية .. في ندوة بالبرازيل .
- إنشاء جائزة تقديرية تشجيعية في الأردن .



في الوطن العربي

السعودية :

خطة التنمية الثقافية

صدرت عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية (الأمانة العامة) خطة التنمية الثقافية في دول المجلس ، شاملة كل ما يخدم الثقافة في هذه الدول ، مبنية على الواقع وصالحة للتنفيذ في كافة دول المجلس ، مع مراعاة ما لكل دولة من خصوصيات وسمات ذاتية .

هذا وقد جاءت هذه الخطة متمشية مع الإطار العام للخطط الثقافية في الوطن العربي ، فهي جزء منه ، ولعل من أهم الأمور التي ركزت عليها الخطة :

★ تطوير النظم وتسهيل الإجراءات المعززة للتواصل الثقافي بين دول المجلس .

★ تركيز التوجه الثقافي لتحقيق أهداف المجلس والعمل العربي الموحد .

★ عقد اللقاءات ، وتبادل الزيارات بين المسؤولين عن الجوانب المختلفة للثقافة للاستفادة المتبادلة من الخبرة .

★ تسهيل تبادل الإنتاج الثقافي لدول المجلس ومواطنيها .

★ إقامة المعارض الدورية الموحدة المتنقلة للنتاج الثقافي من كتاب ورسم وفيلم وغيرها .

★ إقامة المهرجانات الثقافية الموحدة في الفنون والآداب والشعر ووسائل الإبداع المختلفة التراثية منها والمعاصرة .

★ التنسيق بين الدول الأعضاء فيما يتصل بالمشاريع الثقافية خاصة في مجال النشر ، مثل تحقيق التراث ، والترجمات والأعمال الموسوعية .

★ العمل على ترسيخ مقومات الثقافة العربية الإسلامية ، والاختيار الواعي من الثقافات الإنسانية الأخرى بما يثري المنطقة فكرياً وعلمياً .

★ التنسيق بين أجهزة التعليم والإعلام والثقافة حتى لا تتأثر سلبياً جهود أي منها بجهود أخرى .

★ تطوير صناعة الكتاب تأليفاً ، وترجمة ، وطباعة وتوزيعاً ، وإقامة المؤسسات اللازمة لذلك .

★ الاهتمام بثقافة الطفل والشباب ، وتهيئة المادة الثقافية الهادفة لارتباطهم بعقيدتهم ومجتمعهم وثقافتهم .

★ دعم الإنتاج الثقافي ، وتخصيص جوائز وحوافز للإبداع والتجويد .

مسابقة دولية في القرآن الكريم

دعت وزارة الحج والأوقاف أكثر من أربعين دولة إسلامية ، وست وتسعين جمعية ومركزاً إسلامياً في مختلف قارات العالم للمشاركة في المسابقة الدولية الحادية عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، والتي ستقام في مكة المكرمة في الفترة من ١٤ إلى ٢٥ من شهر جمادى الأخرى ١٤٠٩هـ القادم .

هذا وقد وضعت اللجنة المشرفة شروطاً أهمها :

★ ألا يكون المرشح قد سبق له الاشتراك في المسابقات الماضية .

★ ألا يكون المرشح من مشاهير القراء في العالم الإسلامي .

★ ألا يكون المرشح من محترفي التجويد والترتيل في بلده .

★ ألا يزيد عمر المرشح عن ثلاثين عاماً .

على أن هذه المسابقة ستجرى في فروع خمسة ، هي :

★ **الفرع الأول** ، حفظ القرآن كاملاً ، مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء الثامن باللغة العربية الفصحى .

★ **الفرع الثاني** ، حفظ القرآن كاملاً ، مع التلاوة والتجويد .

★ **الفرع الثالث** ، حفظ عشرين جزءاً ، مع التلاوة والتجويد .

كلمة

إلى الأستاذ زياد عارف شما

نعم .. هذه رسالة إلى (زياد عارف شما) من دمشق ، وهي جواب سؤاله التالي :

« دور النشر العربية تخرج يوميا أعداداً كبيرة من الكتب ، فكيف يمكن للقارئ العربي أن يتابع كل هذا الفيض من الإنتاج ؟ وهل نحن نقرأ ؟ » اهـ .

هذا هو السؤال .. وقد وجّهه إليّ بالذات صاحبه عن طريق مجلة « **الفيصل** » ، وطلب أن يكون الجواب على صفحاتها .

ولا أدري لِمَ اختارني دون غيري للجواب على سؤاله ؟ .

ربما لأنني أعمل في مجال النشر ، أو لأنني نشرت كلاماً هنا وهناك حول مشاكل النشر وهمومه ، وأزمة الكتاب وانصراف معظم الناس عن القراءة .. أقول ربما فقط .

أما إن دور النشر العربية تخرج يومياً فيضاً من الكتب فهذا حق .. وإن تساؤل السائل الكريم عن كيفية متابعة هذا الفيض .. ؟ فهو تساؤل في محله أيضا ..

ولكني أفترض أن القارئ الذي تتطلع أشواقه إلى متابعة هذا الفيض ؛ هو قارئ نهِمٌ لا يشبع من القراءة والاطلاع .. وهو الآن نوع نادر من القراء .. أندر من الكبريت الأحمر ، كما يقول الأجداد .. وإن كنت لا أعلم حقاً ما هو « الكبريت الأحمر » .. فلأقل إذن بلغة العصر ، إنه أندر من الماس أو « اليورانيوم » ..

إن هذا النوع النادر من القراء .. يوشك أن ينقرض ليلحق بعالم « الديناصور » .. ويصبح في ذمة التاريخ تتحدث عنه كتب المستقبل ، إن كان للمستقبل كتب . ربما ظن بعض القراء أنني غير متفائل بمستقبل الكتاب .. والواقع أن الأمر يبدو لي كذلك ، فإن التكنولوجيا الحديثة ستقلب كثيراً من الأوضاع والمفاهيم .. إن لم تقلبها كلها .. على أي حال فهذا أمر غيبي حتى الآن ، ولا يعلم مداه غير الله الذي احتفظ بعلم الغيوب .. سبحانه وتعالى ..

إن متابعة ما تصدره دور النشر ، سواء اليوم أو بالأمس ، أمر مستحيل ، فإن الكتب تتكاثر .. والقارئ النهِم مهما كان مبلغ نهمه ، لن يسعه أن يطلع على كل كتاب ، فإن اتسع نهمه ، فقد لا تتسع نقوده ، وإن اتسعت نقوده فلن تتسع غرفه ، وإن اتسعت غرفه فلن يتسع وقته .. ولا سبيل لتحقيق إشباع نهمه إلا بالاختيار ..

الاختيار وحده هو السبيل الوحيد إلى المتابعة السليمة .. وحتى الاختيار يحتاج إلى عملية غربلة ليكون في حدود المستطاع والمعقول .. فإن هناك الكثير الكثير من الغثاء فيما تصدره دور النشر .. والقارئ الواعي في غنى عن هذا الغثاء .

أما كيف يهتدي القارئ إلى عملية الاختيار والغربلة .. ؟

إنه ينبغي أن يعتمد على حسه الشخصي في الدرجة الأولى .. حقاً قد يخيب مرة ولكنه يصيب مرات .. في الدرجة الثانية ، أن يعتمد على تزكية النقاد .. وحتى هؤلاء ، ينبغي أن يخضعهم لعملية الاختيار .. بحيث لا يثق منهم إلا بمن عرف بصدق اللهجة ، ونزاهة الحكم ، وصواب الرأي .. وسلامة المعايير .. وهذا الصنف من النقاد أقل من القليل .. ولكنهم على أية حال لم ينقرضوا بعد ..

هناك أصناف من الكتب زكّاها الزمن .. منها كتب التراث المشهورة المعتمدة .. في ميادين كثيرة من ميادين المعرفة .. وهذه يتحكم في اختيارها الميول الشخصية عند القارئ .. فمن الناس من يؤثر كتب الشعر والأدب .. ومنهم من يعني بالتأريخ .. ومنهم من يعني بالعلوم الدينية أو بفرع معيّن منها ..

ومنها كتب اشتهرت قيمتها بين الناس ، مثل مؤلفات سيد قطب ، والشيخ الطنطاوي ، وأحمد أمين ، والعقاد .. هذه أيضا زكّاها الزمن ، وإن كانت كتباً عصرية .. بين أصحابها من لا يزال في الأحياء ..

هناك معيار معروف من معايير الاختيار .. هو أن تتابع إصدارات الكاتب الذي ترتاح إليه ، وتثق به ، فقد تحرص على أن تقتني كتب العقاد كلها .. وقد تحرص - مثلا - على أن تقرأ للدكتور مصطفى محمود ، في عهده الثاني .. وقد يروق لك أن تلتهم كل ما يكتبه الشيخ الغزالي (أعني الغزالي الأخير) .

هذه مجرد أمثلة .. فإني لست في مجال ترشيح أسماء معينة للقراءة .. فهذا بحث آخر ، لم يخطر لي على بال .

أما عن الشطر الآخر من السؤال .. وهو الشطر الصعب فيه .. وهو الذي يتساءل فيه : هل نحن نقرأ .. ؟ سأقول لك في صراحة صارمة : كلا .. فإن الأمة العربية في عصرنا الحالي أمة غير قارئة .. أما لماذا ؟ فهذا أمر يطول شرحه .. وهو يحتاج إلى دراسة مستفيضة لا أملك أنا أدواتها .. واحسب أن هناك من تصدى لها كظاهرة مؤسفة أو مؤلمة .. يكفي أن تعلم أننا لا نربي صغارنا على حبّ الكتاب ، وعلى أن يألفوا القراءة ..

الحديث هنا يطول ويشجي .. وما المسؤول بأعلم من السائل .

عبد العزيز الرفاعي

الأندلس (سهيل) ١٤٠٩/١/٣هـ

★ **الفرع الرابع** ، حفظ عشرة أجزاء ، مع التلاوة والتجويد .

★ **الفرع الخامس** ، ويتعلق هذا الفرع بحفظ جزء واحد متصل مع حسن الصوت والتلاوة والتنغيم .

الجدير بالذكر ، أن الوزارة قد رصدت لهذه المسابقة جوائز قيمة خدمة لكتاب الله ، وتشجيعاً لحفظته .

إنشاء قرية تشكيلية

وضع صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير حجر الأساس لبناء أول قرية تشكيلية في المملكة ، اطلق عليها (قرية المفتاحة التشكيلية) .



★ الأمير خالد الفيصل ★ ★ الأمير فيصل بن بندر ★

يقام المشروع على مساحة تزيد على خمسة آلاف متر مربع ، ويشتمل على ٢٠ استوديو عرض ، ومعمل خاص بالفنانين التشكيليين ، و٣٠ محلاً لبيع المنتوجات والمشغولات المحلية .

كما يشتمل المشروع على صالة عرض رئيسية ومنافع أخرى ، حيث ستكون عاملاً مساعداً لجذب السياح لمنطقة الجنوب ، كما ستكون دافعاً للفنانين التشكيليين في هذه البلاد إلى المزيد من العمل .

الجدير بالذكر ، أن **لجنة التطوير السياحي** بالمنطقة هي التي ستشرف على المشروع .

جائزة أبها الثقافية

أعلنت اللجان المشرفة على جائزة أبها الثقافية في فروعها المختلفة عن أسماء الفائزين بها لهذا العام ، وكانت نتيجتها كالتالي :

● **أولاً : جائزة البحوث :**

★ **الأولى** : فاز بها الدكتور **عبد الله أبو داهش** عن بحثه « عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى » .

★ **الثانية** : فاز بها السيد **عمر غرامة العمري** ، عن بحثه « قبائل عسير في الجاهلية والإسلام » .

★ **الثالثة** : حجبت .

★ **الرابعة** : فاز بها السيد **محمد علي حسين الحريري** ، عن بحثه « قبيلة الأزد من فجر الإسلام إلى قيام الدولة السعودية الأولى » .

● **ثانياً : جائزة الشعر العربي الفصيح :**

★ **الأولى** : حجبت .

★ **الثانية** : الشاعر **حسن حجاب الحازمي** ، عن قصيدته (طائر الأمل) .

★ **الثالثة** : الشاعر **محمد عزت عبد الحافظ** ، عن قصيدته (مدي يديك) .

★ **الرابعة** : الشاعرة **عزيزة عبده أحمد إبراهيم** ، عن قصيدتها (رسالة إلى عمرو بن العاص) .

● **ثالثا : جائزة القصة القصيرة :**

★ **الأولى** : حجبت .

★ **الثانية** : فاز بها السيد **علاء الدين حمزة محمد أحمد** ، عن قصته (في العربة السوداء) .

★ **الثالثة** : فاز بها مناصفة كل من : السيدة **فاطمة عبد الله الدوسري** ، عن قصتها (أغنية الشهداء) والدكتور **عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم** ، عن قصته (من أوراق كنفي) .





★ د . عبد الله أبو داهش ★ ★ عبد الله الشلتي ★ ★ الدكتور أحمد سليمان الاحمد ★ ★ خليل حسن خليل ★ ★ سعد البواردي ★

★ **الرابعة** : فاز بها السيد **خالد الشريقي** ، عن قصته (عودة الفرح المهاجر) .

● **رابعاً : جائزة الشعر العامي** :

★ **الأولى** : حجبت .

★ **الثانية** : فازت بها الشاعرة **فاطمة محسن الحكمي** ، عن قصيدتها (سلام ياحضار في محفل أبها) .

★ **الثالثة** : فاز بها الشاعر **سعيد عبد الله الدوسري** ، عن قصيدته (وين العرب ، وين الحمية من العرب) .

★ **الرابعة** : فاز بها الشاعر عبد الله بن حميد السابر ، عن قصيدته (الشعر ذا يومه) .

● **خامساً : الفن التشكيلي** :

★ **الأولى** : للفنان **عبد الله الشلتي** ، عن لوحته (الطواف) .

★ **الثانية** : فاز بها مناصفة كل من : الفنان **خليل حسن خليل** ، **عن لوحته (إنسان العصر)** والفنان **هاشم المهنا** ، عن لوحته (مباني المدينة) .

★ **الثالثة** : فاز بها مناصفة كل من : الفنان : **سعود القحطاني** ، عن لوحته (أمواج) . والفنان : **حسين عسيري** ، عن لوحته (إشراقة على سنين) .

★ **الرابعة** : فاز بها الفنان **مهدي راجح** ، عن لوحته (رحلة إلى الأعماق) .

الجدير بالذكر ، أن جوائز هذه المسابقة قد وزعت في حفل ثقافي أقيم في أبها بحضور **صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل** ونائبه **صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر** والعديد من المسؤولين والمشرفين على لجنة التنشيط السياحي في أبها .

جائزة منظمة المدن العربية

دعت أمانة مدينة الرياض المكاتب الاستشارية الهندسية والمعماريين للتقدم **إلى الجائزة الثالثة لمنظمة المدن العربية لعام ١٩٨٨م** .

تشمل الجائزة ثلاثة مجالات ، هي : المشروع المعماري ، والتراث المعماري ، والمهندس المعماري .

هذا ، وقد حددت الأمانة آخر موعد لاستلام الترشيحات ، يوم ٢٥ من شهر جمادى الأخرى ١٤٠٩هـ .

مسابقتان ثقافيتان

أعلن نادي الطائف الأدبي عن مسابقته الثقافية الثانية عشرة لعام ١٤٠٩هـ وذلك في مجال **القصة القصيرة والشعر ، وإعداد بحث (عن أحد إصدارات النادي ، أو علم من أعلام الأدب السعودي) ، والفنون التشكيلية** .

هذا ، ولم يحدد النادي موضوعات المسابقة الأخرى سوى أن يكون العمل متميزاً بالجديّة في العمل ، والجدّة في القول ، على أن آخر موعد لقبول الاشتراك في هذه المسابقة هو نهاية شهر جمادى الأولى ١٤٠٩هـ القادم .

كما أعلن **مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية** والذي يتخذ من الرياض مقراً له عن **مسابقة ثقافية تركز على (البحث)** في مجال التربية واللغة العربية والدراسات الإسلامية والعلوم الاجتماعية والثقافية ، وذلك ضمن شروط أهمها ، أن يكون الباحث من أبناء دول الخليج العربي ، وأن تكون الأولوية للدراسات المتعلقة بمنطقة الخليج . على أن المكتب قد وضع موعداً محدداً لقبول المشاركات في هذه المسابقة ، هو غرة ربيع الثاني القادم ١٤٠٩هـ .

كتب جديدة

● « **بحوث ندوة عربسات** » ، **صدرت في كتاب عن كلية الهندسة بجامعة الملك سعود بالرياض** .

● « **افتراءات الصليبي ـ متابعات أولى** » ، تأليف **محمد عبد الله الحميد** ، **صدر عن نادي أبها الأدبي** .

● « **ذكريات العهود الثلاثة** » ، بقلم **الأستاذ محمد حسين زيدان** ، **صدر في جدة** .

● « **قصائد تتوكأ على عكاز** » ، **مجموعة شعرية للشاعر سعد البواردي** ، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي** .

● « **فهرس أحاديث وآثار تاريخ جرجان** » ، **للإمام أبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي** ، جمع وترتيب **جماعة التخريج بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، بإشراف **الدكتور أحمد معبد عبد الكريم** ، صدر عن **إدارة الثقافة والنشر بالجامعة** .

● « **منهاج الحياة في الإسلام** » ، تأليف **الدكور محمد زين الهادي** ، صدر **في الرياض** .

● « **الذكر وأثره في دنيا المسلم وآخرته** » ، بقلم **الدكتور محمد صدقي ابن أحمد البورنو** ، صدر عن **إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام بالرياض** .

● « **إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان** » ، تأليف **الدكتور صالح الفوزان** ، صدر ضمن سلسلة **الرسائل الإرشادية عن إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام بالرياض** .

● « **مهرجان الشعر والقصة** » ، صدر عن **الإدارة العامة للنشاطات الثقافية برئاسة رعاية الشباب بالرياض** .

● « **حوار موضوعي حول الفوائد المصرفية في الشريعة**



★ محمد هويدي ★ محمد حسين زيدان ★ د. هاشم عبده هاشم ★ د. عبد الحميد يونس ★ د. عز الدين إسماعيل ★ د. يوسف إدريس ★ د. محمد هداره ★ الشيخ عبد الله العلايلي ★

والاقتصاد » ، تأليف **الدكتور محمد العلي بن عيد** ، صدر عن **دار حافظ للنشر بجدة** .

● « **اللغة .. تدريساً واكتساباً** » تأليف **د . محمود أحمد السيد إصدار دار الفيصل للثقافة والنشر بالرياض** .

● « **الحب .. احتراقاً** » مجموعة مقالات اجتماعية وإنسانية ووجدانية تأليف **د . هاشم عبده هاشم .. إصدار دار الصافي للثقافة والنشر بالرياض** .

سورية

المعرض الرابع للكتاب

أقيم في (دمشق) خلال شهر صفر الماضي المعرض الرابع للكتاب العربي بمشاركة عدة دور نشر محلية وعربية وعالمية زادت على المائتين دار نشر ومكتبة ، حيث عرضت أكثر من خمسة عشر ألف عنوان ، وبنسخ تزيد على المليون كتاب في شتى الموضوعات العلمية والفنية والفكرية .

معارض تشكيلية

الفنان السوري فاتح المدرس .. أقام سلسلة معارض لأعماله الفنية في كل من « شتوتغارت » ، و« ميونيخ » بألمانيا الغربية .. بدعوة من « المؤسسة العلمية الأدبية » التي تهتم بالتعريف بالفنون والآداب .

مصر

وفاة الدكتور عبد الحميد يونس

انتقل إلى رحمة الله تعالى الدكتور عبد الحميد يونس أحد رواد الأدب الشعبي في مصر والعالم العربي عن ٧٨ عاماً ، حيث كان من مواليد عام ١٩١٠م .

تعلم العلوم الأولية في الكتاتيب ، ثم واصل مسيرته التعليمية حتى تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، حيث حصل على الليسانس عام ١٩٤٠م من قسم اللغة العربية ، فالماجستير عام ١٩٤٦م ، فالدكتوراه عام ١٩٥٠م وكان موضوعها « سيرة بني هلال ومغامرات أبي زيد الهلالي » .

في حياته عمل مترجماً ومخبراً صحفياً ومحرراً وكاتباً ، ثم عضواً في هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة ، فأستاذاً ورئيساً للقسم .

له العديد من الأعمال الأدبية والعلمية منها :

★ اشتراكه مع مجموعة من المترجمين لترجمة **(دائرة المعارف الإسلامية)** التي ألفها المستشرقون باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

★ ترجمة كتاب **(الزواج)** للعالم الأنثروبولوجي **إدوارد مارك** . كما ترجم للشاعر الهندي **(طاغور)** .

★ ترجمة كتاب **(عالم الغد)** الذي ألفه **هـ . ج . ويلز** وقد شاركه في ترجمة هذا الكتاب **حافظ جلال** .

★ ترجم مع **عثمان نويه ورمزي ياسين** كتاب **(فلسفة الجمال)** .

★ **ألف كتباً عدة مثل** : الهلالية ، والحكاية الشعبية ، وخيال الظل ، والظاهر بيبرس ، ودفاع عن الفولكلور .

ومجلة الفيصل التي آلمها فقده ، كانت قد أجرت معه لقاءاً نشر في العدد رقم (٦٠) .. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفاة القاص هويدي

في القاهرة بمصر انتقل إلى رحمة الله القاص المصري « محمد هويدي » أثر نوبة قلبية مباغته .. ويعد القاص الراحل واحداً من قاصي جيل الستينيات في مصر .. تخرج في كلية الزراعة .. جامعة القاهرة ، ثم عمل مهندساً زراعياً .. وأخيراً التحق بالفن والأدب فدرس بمعهد النقد الفني في أكاديمية الفنون .. وحصل على رسالة الماجستير بعنوان « المكان والزمان في الأدب » .. عام ١٩٧٧م ثم سافر إلى دمشق فبيروت فعاش بها فترة حصار القوات الصهيونية لها عام ١٩٨٤م فرحل إلى قبرص ، وعمل صحفياً بمجلاتها العربية حتى عام ١٩٨٥م .. وأخيراً عاد إلى وطنه ليعمل في الثقافة الجماهيرية .

ترك الراحل عدداً من القصص القصيرة يمكن جمعها في مجموعتين .. كما ترك رواية متكاملة بعنوان « ربابة » استوحى من خلالها الأجواء الشعبية والفولوكلورية .

العراق

جائزة صدام حسين

أعلنت اللجنة المشرفة على جائزة صدام حسين للآداب عن أسماء الفائزين بها لهذا العام ، حيث فاز بها كل من :

★ **أحمد سليمان الأحمد** (في الشعر) .

★ **د . يوسف أدريس ، وجبرا إبراهيم جبرا** (في القصة مناصفة) . على أن الدكتور يوسف إدريس قد طلب من الرئيس العراقي أن تكون جائزته كاملة دون مناصفة بحجة أن الإبداع لا يُقسّم .

★ **الدكتور عز الدين إسماعيل** (البحث الأدبي) .



في الوطن العربي

★ الشيخ عبد الله العلايلي (الدراسات اللغوية) .

★ الدكتور محمد مصطفى هدارة (تاريخ الأدب) .

السودان

وفاة يوسف عالم

انتقل إلى رحمة الله تعالى الدكتور يوسف العالم عميد كلية القرآن الكريم في جامعة أم درمان الإسلامية وعضو هيئة الافتاء العليا في السودان .

كان للراحل إسهامات واسعة في حقل الهيئات والمؤسسات والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي ، كما أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات ولا سيما في أصول الفقه الإسلامي .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الأردن

جائزة الدولة التقديرية والتشجيعية

أعدت وزارة الثقافة والتراث القومي في الأردن مشروع نظام جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية .

ويتضمن المشروع منح هذه الجوائز في عدة مجالات تشمل الطب .. والصيدلة .. والعلوم .. والهندسة .. والزراعة .. والعلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية .. والعلوم الدينية والتأريخية .. والفلسفة التربوية والاجتماعية .. والآداب .. واللغات بكافة فروعها .. والفنون التشكيلية .

وقد حددت لهذه الجوائز شروط أهمها :

★ ألا تقل أعمار المرشحين عن ٤٦ سنة خاصة في مجال الجوائز التقديرية ، أما التشجيعية فلا تزيد أعمارهم عن ٤٥ سنة .

★ لا تمنح إلا للأردنيين فقط ، على أنه يجوز منحها في حالات خاصة لغير الأردني إذا قدم نتاجاً ذا قيمة خاصة للأردن .

البحرين

كتب جديدة

• « **شعراء البحرين المعاصرون** : كشاف تحليلي مصور ١٩٢٥ - ١٩٨٥م » ، تأليف **الدكتور علوي الهاشمي** ، صدر عن **دار المطبعة الشرقية في البحرين** .



في العالم

فرنسا

الفائزون بالجائزة الأوروبية

فاز كل من جوزف بيالو - فرنسي من أصل روسي - على روايته (اليزابيث ، أو ريح الجنوب) ، **وجوزه جافورس - يوغسلافي - على روايته (الذاكرة الخطيرة) ، بالجائزة الأوروبية لاتحاد كتاب الفرنسية لعام ١٩٨٨م .**

الجدير بالذكر ، أن هذه الجائزة قد أنشأها **اتحاد كتاب فرنسا** عام ١٩٨٢م ، وتمنح كمكافأة للكتاب الأوروبين الذين يكتبون مباشرة بالفرنسية على أن تكون لغتهم الأم غير فرنسية .

وهذه الجائزة ليست الوحيدة التي يمنحها اتحاد الكتاب في فرنسا ، بل هناك جوائز أخرى تمنح لكتاب من شتى أقطار العالم وذلك مثل **جائزة أفريقيا** والتي منحت هذا العام للجزائرية (**ليلى صبار**) على روايتها (**يافع يبحث عن نصفه الآخر**) ، **وجائز أسيا** ، وقد منحت للصيني (**يادين**) ، على روايته « **السورغو الأحمر** » .

وتحقيقاً لفرص منح الجائزة ، فقد كونت لجنة من اتحاد الكتاب الفرنسيين يرأسها **الدكتور رويزكورنفان** ، وهو فرنسي ، وعضوية كل من **يوجين يونسكي** (فرنسي من أصل روماني) ، **وهيلين اورويلير** (فرنسية من أصل يوناني) ، **وإدوار بوبروسكي** (من أصل بولوني) ، **واتيليو فوريو** (إيطالي) .

سكان العالم

صدر في باريس تقرير أعده برنامج الأمم المتحدة العالمي لشؤون السكان حوى بين ثناياه أخباراً عن عدد السكان في العالم .. واحتوى التقرير على :

★ أن عدد **سكان العالم** سيصل في نهاية القرن الحالي إلى ٦,١ بليون نسمة .

★ أن **عدد الأطفال** الذين سيولدون كل عام سيصل إلى ثمانية ملايين طفل ، بمعدل ٢٢٠ ألف طفل يومياً .

★ استمرار **نزوح السكان** من الريف إلى المدن ، إذ توقع التقرير أن يقطن ٧٥٪ من سكان **أمريكا الجنوبية** ، و٤٣٪ من **سكان أفريقيا** ، و٣٧٪ من سكان **آسيا** مع بداية عام ألفين في المدن الصناعية في هذه القارات .

وفاة فرنسيس بونج

توفي في باريس الشاعر فرنسيس بونج عن ٨٩ عاماً ، حيث كان من مواليد عام ١٨٩٩م .



★ د. سعاد الصباح ★ ★ د. سليم الحص ★ ★ محمد حسنين هيكل ★

وبونج أحد أكبر الشعراء الفرنسيين في هذا القرن، حيث عرف أنه شاعر يحفل بالكلمة ويهتم بوضعها وصياغتها مما جعله يترك بصماته الواضحة على قصيدة النثر والرواية الجديدة في فرنسا.

له العديد من المؤلفات منها:

★ «**الانحياز إلى الأشياء**»، مجموعة شعرية.
★ «**المحترف المعاصر**».

معرض كويتي تشكيلي

أقيم في **مبنى اليونيسكو في باريس** خلال شهر أغسطس/آب الماضي معرض حول **الفن الكويتي المعاصر**، يهدف إلى التعريف بآخر التطورات التي شهدتها الحركة التشكيلية الكويتية .. تضمن المعرض العديد من اللوحات التي قدمها تشكيليون كويتيون كبار.

بريطانيا:

إنشاء مؤسسة ثقافية عربية

في العاصمة البريطانية لندن سجلت مؤسسة جديدة باسم «المؤسسة الثقافية العربية المستقلة» التي ساهم فيها الكتاب والمثقفون العرب من أجل مساعدة المؤسسات الثقافية والفكرية العربية غير الحكومية.

والجدير بالذكر أن هذه المؤسسة المنشأة قد شكلت مجلس امنائها من كل من: (الدكتورة سعاد الصباح «الكويت» ـ الأخضر الإبراهيمي «الجزائر» ـ الدكتور سليم الحص «لبنان» ـ الدكتور خير الدين حسيب «العراق» ـ محمد حسنين هيكل «مصر» ـ عبد المحسن قطان «فلسطين») .. هذا وقد اختير خير الدين حسيب مديراً عاماً للمؤسسة.

البرازيل:

العلاقات العربية اللاتينية

عقدت في العاصمة البرازيلية خلال شهر (سبتمبر) **ندوة دارت حول العلاقات العربية اللاتينية** بحضور شخصيات سياسية واقتصادية وفكرية بارزة عربية وأمريكية لاتينية.

هذا وقد نوقشت في الندوة عدة موضوعات مهمة منها:

★ **الأمة العربية وقضاياها الراهنة.**
★ **العلاقات الاقتصادية العربية اللاتينية، وآفاق تدعيمها.**
★ **الروابط الثقافية العربية اللاتينية، ومجالات تطويرها.**

محاضرات

- «**الحاسب الآلي .. واستخداماته في المجالات العلمية والعملية**»، **محاضرة ألقاها إبراهيم محمد عسيري بأبها.**
- **صحة الفم دليل صحة الجسم**»، **محاضرة ألقاها الدكتور ناجي حسن بأبها.**
- «**النشاط الأثري في المملكة**»، **محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله حسن المصري بأبها.**
- «**مشكلات الإعاقة .. ومسبباتها**»، **محاضرة ألقاها عبد الله الغانم في الدوحة.**
- «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وسائله وضوابطه**»، **محاضرة ألقاها الدكتور علي العليان في مكة المكرمة.**
- «**الآثار الإسلامية في الزبدة**»، **محاضرة ألقاها الدكتور سعد الراشد بأبها.**
- «**المخدرات .. وأثرها في المجتمع**»، **محاضرة ألقاها مبارك بن دليم كريملاء.**
- «**أثر العبادة على حياة الشباب**»، **محاضرة ألقاها الدكتور عبد العزيز النغيمش بالرياض.**
- «**منهج البناء العلمي لطالب العلم في هذا العصر**»، **محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله الفريان بالطائف.**
- «**نظرات في تاريخ الجزيرة العربية**»، **محاضرة ألقاها العلامة حمد الجاسر بنادي مكة المكرمة الثقافي.**
- «**الحداثة بين التعمير والتدمير**»، **محاضرة ألقاها الدكتور حسن الهويمل بنادي الرياض الأدبي.**
- «**دور الجمعيات الخيرية في تنمية المجتمع المحلي**»، **محاضرة ألقاها محمد الحمد المالك بالجوف.**
- «**دور المراكز الإسلامية في خدمة المبتعث**»، **محاضرة ألقاها الدكتور عبد القادر طاش في الظهران.**
- «**أدبنا الحديث إلى أين؟**»، **محاضرة ألقاها الدكتور محمد بن سعد بن حسين بنادي الطائف الأدبي.**
- «**عناية الإسلام بتربية الأولاد**»، **محاضرة ألقاها الشيخ ابراهيم بن عبد المحسن العامر بحائل.**
- «**الأمانة .. حفظها وخطر إضاعتها**»، **محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الطائف.**
- «**الجوائز الأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية**»، **محاضرة ألقاها الأستاذ علوي طه الصافي رئيس تحرير مجلة الفيصل.**
- «**تعريف الثقافة ومفهومها**»، **محاضرة سوف يلقيها الأستاذ علوي طه الصافي بالقاهرة ـ مصر.**

أسبانيا:

مساجد شرق مدريد

عثر **الأثريون الأسبان على أنقاض ثلاثة مساجد في بلدة «جواردا مار» في محافظة اليكنس**، والتي تبعد حوالي ٤٥٠ كيلو متراً إلى الشرق من



مدريد ، وذلك بعد أعمال التنقيب التي دامت ثلاث سنوات حيث تم الوقوف على معالم هذه المساجد القديمة ، وعثر بداخلها على العديد من الأدوات الزخرفية ، ومصابيح الإنارة التي كانت تضيء هذه المساجد .

كندا

أفضل بحث علمي لسعودي

رشحت الجمعية الكندية للمهندسين الكيميائيين البحث الذي تقدم به الباحث السعودي (الدكتور طارق فارس الفارسي) ، والذي كان بعنوان « **سريان السوائل المختلفة خلال الوسط المساحي** » **كأفضل بحث علمي نشر في كندا لعام ١٩٨٧م** في مجال الهندسة الكيميائية ، حيث اشتمل على استحداث قانون جديد باسم الباحث ، والذي تطرق فيه إلى تطبيقات عملية كثيرة خصوصاً في مجال البترول والبتروكيماويات والمياه الجوفية .

وكان الدكتور الفارسي قد نشر هذا البحث في المجلة الكندية للمهندسين الكيميائيين ذات السمعة العلمية العالية في **أمريكا الشمالية** والعالم أجمع .

الجدير بالذكر ، أن الفارسي ، يعمل **أستاذاً مساعداً في كلية الهندسة بجامعة الملك سعودٌ بالرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ** ، **ويحمل دكتوراه من كندا** ، وماجستير في هندسة البترول ، وأخرى في الهندسة الكيميائية من **أمريكا** . وهو من الكفاءات الوطنية الشابة ، وقد نشر عدة أبحاث علمية ، وكان قد حصل من **مدينة الملك عبد العزيز العلمية للعلوم والتقنية** على أعلى منحة مالية قدرها **ثلاثة ملايين ريال سعودي** في البرنامج التاسع لعام ١٩٨٧م لإجراء البحوث عن **إمكانية استخدام خام الفوسفات السعودي في الصناعة** .

الهند

جائزة ابن سينا

أعلن رئيس لجنة المحكمين لجائزة (ابن سينا) ، الدكتور رشيد الدين خان أنه قد تم إسناد جائزة ابن سيناء الدولية لهذا العام لكل من **الأديب السوري (علي عقله عرسان)** ، ومعهد **جامعة موسكو للدراسات الآسيوية والأفريقية** .

تم اختيار الأول لإسهاماته المستمرة في جهود السلام الدولية ، ومساهماته القيّمة في مجال الأدب العربي .

كما تم اختيار معهد موسكو لهذه الجائزة أيضاً نظراً لدوره في مجال تدريب الإخصائيين ذوي الكفاءة العالية في عدة حقول ، ونشاطاته المختلفة في تنمية السلام العالمي .



★ علي عقلة عرسان ★ ★ عبد الله باشراحيل ★

اليونان

تكريم شاعر سعودي في اليونان

في رسالة دعوة بعثها « الاتحاد العام ليوناني مصر » الحائز على « جائزة أكاديمية أثينا » إلى الشاعر السعودي الأستاذ عبد الله محمد باشراحيل من مكة المكرمة لزيارة أثينا من أجل أن يقوم الاتحاد بتكريمه من خلال الأمسيات الشعرية ، والتعارف مع شعراء اليونان ، إلى جانب التفكير في طباعة ديوانه « النبع الظامىء » بعد ترجمته إلى اللغة اليونانية مشتملاً على دراسة أكاديمية للديوان ، أسوة بما قوبل به هذا الديوان في الأوساط الجامعية في الاسكندرية بمصر .

ويشير رئيس الاتحاد في رسالته إلى الصلة التاريخية بين التراث العربي واليوناني العريقة ، وأن لها دلالاتها العالمية في ميدان الأدب المقارن .

وتأتي هذه الدعوة بناء على اقتراح الدكتور علي نور (أستاذ الأدب المقارن وعضو الاتحاد باليونان) .

تهانينا للأخ باشراحيل لهذا التقدير الخاص الذي نعده تقديراً للشعر السعودي بصورة عامة .. مع دعائنا له بالتوفيق .

بلجيكا

المؤتمر العالمي للشعر

انتخب السفير والشاعر اللبناني صلاح ستيته ليكون رئيساً للمؤتمر العالمي للشعر الذي انعقد في بلجيكا **خلال شهر سبتمبر الماضي** ، وبهذا فهو أول عربي يرتقي ذروة هذا المحفل العالمي .

حضر المؤتمر ما يقارب من ١٥٠٠ شاعر من مختلف بلدان العالم .

الجدير بالذكر ، أن هذا المؤتمر **يعقد كل عامين** في بلجيكا بمدينة « **لييج** » ذات الأهمية الرمزية ، إذ أنها **ناطقة باللغة الفرنسية ، وواقعة في البقعة الألمانية في بلجيكا** ، ولها تاريخ مع الناطقين **باللغة الفلاميشية** ، وهي رمز لجميع اللغات .

أمريكا

وفاة شاعر قاص

في الولايات المتحدة الأمريكية توفي الشاعر والقصصي الأمريكي « ريموند كارفرن » عن ٥٠ عاماً .. وقد اشتهرت أعماله بقضايا الفقراء الذي عاش



★ صلاح ستيتة ★   ★ هاينز ريزنهوبر وزير البحث العلمي بألمانيا الغربية ★

معهم ، وتعرف من خلال هذه المعايشة على مشاكلهم وقضاياهم وأحلامهم وآمالهم فانعكست على أعماله .. وجسدها ليعرف العالم عن هؤلاء الفقراء الحياة السيئة التي يعيشونها .

إيطاليا :

ندوة دولية عن المسرح

نظمت في مدينة « **مرسالا** » في **جزيرة صقلية الإيطالية** ندوة دولية حول المسرح تحت شعار (**البحر الأبيض المتوسط .. بحر ومسرح مشترك**) دامت ثلاثة أيام وشارك فيها ثلاثون مخرجاً وكاتباً مسرحياً ، بالإضافة لمديري مسارح ونقاد ينتمون لمعظم بلدان البحر الأبيض المتوسط . وتهدف هذه الندوة أساساً إلى تعميق العلاقات بين المسرحيين المتوسطيين ، وإيجاد أسس جديدة للتبادل الثقافي بين هذه الدول وخاصة في المجال المسرحي .

غينيا :

ندوة حول كتابة اللغات الأفريقية

نظمت في **مدينة** « **كوناكري** » **عاصمة غينيا** في بداية شهر أغسطس/آب الماضي ندوة كان شعارها (**كيفية تسجيل اللغات الوطنية**) شاركت فيها **السينغال ، وساحل العاج ، والنيجر ، ومالي ، والكاميرون ، وغينيا** . ومن أهم ما تطرق إليه المشتركون المختصون هو البحث عن إيجاد **طريقة لتوحيد نظام كتابة اللغات الأفريقية المحلية** والتنسيق بين المعاهد اللغوية لتبني هذا النظام الجديد .

ألمانيا :

في تاريخ السيارة والمعلومات

استطاع علماء وفنيو « **شركة سيمنز** » الألمانية في ميونيخ ، تطوير رقائق الكترونية دقيقة ، مصنوعة من مادة **السلزيوم** ، لا تتجاوز مساحتها ٩١ مليمتراً مربعاً ، ويمكن للواحدة منها تخزين ٤ ملايين وحدة إعلامية ، أي ما يعادل (٢٥٠) صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة .. وينتظر أن يبدأ إنتاج هذه الرقائق اعتباراً من العام الميلادي المقبل .

وكانت الشركة الألمانية قد تمكنت بالتعاون مع شركة « **فيليبس الهولندية** » من إنتاج هذه الرقائق التي أطلق عليها اسم « **رقائق ميجابيت الرباعية** » ، وتتيح الرقائق إذا ما زودت بها السيارات إمكانية تسجيل « **تاريخ حياة السيارة** » بحذافيره ، بحيث يمكن مراجعته وقت الحاجة دون أي خطأ أو تزوير ، مما يرفع سعر السيارة إذا ما رغب صاحبها في بيعها ، ويحقق أيضاً للمشتري سيارة آمنة ، ذات تاريخ معروف .

وقد تناولت وكالات الأنباء صور إحدى رقائق ميجابيت الرباعية يقوم بحملها معتزاً **وزير البحث العلمي الألماني الاتحادي السيد « هاينز ريزنهوبر »** (**طالع الصورة**) .



رسائل جامعية

•• « **العلاقات العسكرية والسياسية في موريتانيا الطنجية بين المغاربة والرومان** » ، موضوع دبلوم دراسات عليا نوقش في جامعة محمد الخامس بالرباط في المغرب ، تقدم به السيد مصطفى أعشي .

•• « **مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر – واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي ١٨٣٠ م إلى حوالي ١٩٠٢ م** » ، موضوع دبلوم دراسات عليا نوقش بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في المغرب ، تقدم به السيد أحمد العماري .

•• « **الملف الدبلوماسي لنزاع الصحراء في إطار منظمة الوحدة الأفريقية** » ، موضوع دبلوم دراسات عليا ، نوقش بشعبة العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية في الدار البيضاء بالمغرب ، تقدم به السيد حداد عبد الله .

•• « **إشكالية وحدة المغرب العربي – دراسة تحليلية لمشروع الوحدة بعد الاستقلال** » ، موضوع دبلوم دراسات عليا نوقش بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية في الرباط بالمغرب تقدم به السيد محمد مالكي .

•• « **بعض الدراسات الزهرية والتصنيف الكيماوي للنباتات الزهرية بمكة المكرمة** » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة ساهور ببريطانيا ، تقدم بها السيد محمد حسن سليمان .

•• « **عروة بن أذينة – حياته وشعره** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد عبد الرحمن بن ناصر الداغري .

•• « **دراسات تشريحية ونسيجية على القناة الهضمية لبعض الأسماك العظمية في البحر الأحمر** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، تقدمت بها السيدة خديجة عبد الجليل إسماعيل .

•• « **الالتزام في الرواية العربية السورية من ١٩٤٨ – ١٩٧٣م** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق تقدم بها السيد العلاء بن ساعد .

•• « **دور التخطيط التربوي في رفع كفاءة الجوانب النوعية بالنظام التعليمي بالمملكة العربية السعودية** » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة ، تقدم بها السيد فؤاد محمد نواب .

•• « **تحرير الصحيفة المسائية** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الإعلام – جامعة القاهرة ، تقدم بها السيد عصام الدين عبد الهادي .

•• « **الإكراه عارض من عوارض أهلية المكلف** » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية البنات بمكة المكرمة ، تقدمت بها السيدة مريم عبد العزيز .

•• « **كتاب الحج** » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدم بها السيد غازي طه خصيفان .

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً
ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً
د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي)
هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .
ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي : (المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) . مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .
جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .
د ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .
هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



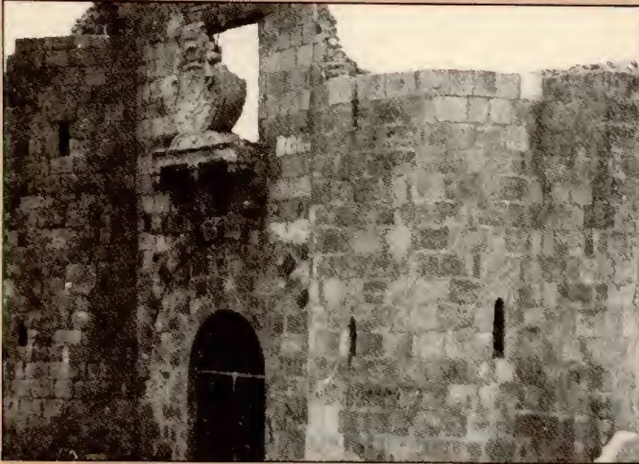
•• المسابقة ••

•• السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ـ تهذيب الأخلاق .

•• السؤال الثاني :

ما الدوافع التي جعلت المصريين القدماء يلجأون إلى تحنيط جثث الموتى ؟



•• السؤال الثالث :

هذه الصورة لقلعة تاريخية في إحدى المدن العربية .. انشئت على « جراى » كما تقول إحدى الروايات في عهد الملك بلدوين الأول عام ١١١٦م .. قام بتجديدها السلطان الناصر عام ١٣٢٠م .. وتوجد كتابة على بوابة القلعة ذكر فيها اسم السلطان قنصوه الغوري ، آخر سلاطين المماليك حوالي عام ١٥٠٥م .. ما اسم المدينة العربية التي توجد فيها هذه القلعة ؟

•• السؤال الرابع :

متى انشئت عصبة الأمم التي حلَّت محلها فيما بعد الأمم المتحدة ؟

•• السؤال الخامس :

متى كان ظهور الغواصات المجهزة بالطوربيد ؟



•• أجوبة مسابقة العدد (١٣٤) ••

ج (١) **في** عام ١٨٥١م اخترعت **أول ماكينة خياطة** ثياب يدوية حققت نجاحاً فنياً ، وكان مخترعها الأمريكي إسحق . م . سنجر .

ج (٢) **أسماء مؤلفي الكتب التالية هم :**

مرآة الحرمين : **إبراهيم رفعت باشا .**

العاطل الحالي والمرخص الغالي : **صفي الدين الحِلّي .**

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية : **طاشكبري زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل) .**

ج (٣) أخذت الصورة من **متحف مدينة دبي .**

ج (٤) **البورسلين هو** حسب التعبير الأوروبي الحديث جسم السيراميك الزجاجي الأبيض اللون ، وهو نصف شفاف ، وكان أول ظهوره في الصين ، وكان ينتج من الحجر التقليدي القديم ، وأول آثار للبورسلين عثر عليها تعود إلى فترة حكم أسرة تساو الغربية (١٠٢٨ ـ ٧٧٢ ق . م) .

ج (٥) **العوامل المسببة لسرطان القولون والمستقيم :**

تأريخ العائلة المرضي بالنسبة للإصابة بمرض السليلة المخاطية « ورم غشاء مخاطي » في القولون والمستقيم ، أو الإصابة بالتهاب الأمعاء ، وتقترح الأبحاث الحديثة بأن هناك مواداً معينة في الأمعاء لم يستطع العلماء تحديدها بدقة بعد ، وربما تكون هي التي تسبب هذا السرطان ، إضافة إلى تناول الأغذية ذات النسب العالية من الشحوم والدهون ونقص الألياف من الغذاء .

•• نتيجة مسابقة العدد (١٣٤) ••

★ فاز **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ **مشرف عبد الله الشهري**، جامعة الملك سعود، سكن الطلاب مبنى رقم (١٣) غرفة (١٥) د، الرياض، **المملكة العربية السعودية.**

★ *فازت **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخت **ثائرة جاسم محمد**، النجف ـ العراق.*

★ فاز **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريال سعودي، الأخ **سيف الدين نجم الدين حسين**، سورية ـ الحسكة ـ مديرية الصحة ـ التلقيح الوطني.

★ ★ **وهناك سبع جوائز، قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:**

★ من **المغرب** الدار البيضاء، الأخت **كرامي فاطمة.**

★ من **الأردن** ص. ب. (٢٢٠٦) المشيرفة ـ الرصيفة، الأخ **محمد أحمد عبد الدايم نصر الله.**

★ من **مصر** أسيوط، الأخت **صباح كامل عبد اللطيف حسين.**

★ من **السودان** أم درمان، ص. ب. (٣١٩) **السيد عمار يوسف عمار** ومنه ليد الأخ التوم أحمد حسن.

★ من **موريتانيا** نواكشوط، الأخت **مريم بنت عمر بن أحمد الجكنيّ.**

★ من **المملكة العربية السعودية** الأحساء، جامعة الملك فيصل، كلية التربية، الأخ **أحمد سليمان الدليم.**

★ من **تونس** حي ابن سينا، الأخت **ريم بنت عبد العزيز الصابري.**

★ ★ **بالإضافة إلى عشر جوائز، قيمة كل جائزة إشتراك مجاني، لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:**

★ من **الجزائر** ص. ب (8) السحاولة، تيبازة، الأخ **علي رحيم.**

★ من **الكويت** الأخت **ريما زهير صادق.**

★ من **اليمن** تعز، ص. ب. (٦٧٦٨)، الأخ **علي محمد العبالي.**

★ من **سورية** دمشق، منحامة، زقاق الجن، بناء الجبان رقم (٥٦ ـ ط ٣ ـ رقم ١١)، الأخ **عصام محمد الشحادات.**

★ من **البحرين** المحرق، الأخت **فاطمة يوسف عبد الله سعد.**

★ من **العراق** بغداد، مدينة صدام رقم الدار ($\frac{١٣}{١١}$ / ٤١)، الأخ **أحمد عبد المنعم زغير الطالبي.**

★ من **مصر** كفر سنباط، مركز زفتى غربية، الأخ **عبد الحميد محمد زكي الدين الوحش.**

★ من **السودان** ودمدني، ص. ب. (٥٦)، الأخ **مبارك سلمان محمد أحمد.**

★ من **المغرب** مكناس، مدرسة السعادة، حي السعادة، الأخ **أغربي عبد اللطيف.**

★ من **الهند**/دلهي، ١٤٣٣ غلي قاسم جان، بلّيماران، الأخ **سيد برويز قيصر.**

سوني
SONY

كيف تنقل معالم مدينة لندن إلى منزلك...

بهاندي كام ... بالطبع

في المرة القادمة عندما تقررون قضاء إجازاتكم السنوية مع العائلة ... لاتنسوا أن تأخذوا معكم كاميرتكم المفضلة هاندي كام ٨ ملم الصغيرة، التي تتميز بخفة وزنها وسهولة حملها وسلاسة تشغيلها وقدرتها الفائقة على ضبط كافة وظائفها أوتوماتيكياً أثناء التصوير، مايتيح لكم تصوير كلما يحلو لكم من مناظر ومعالم وآثار دون عناء أو مشقة. وبعد عودتكم إلى أرض الوطن سوف تستمتعون بمشاهدة الصور المتحركة الملونة الصوتية الحية التي تحاكي في روعتها وجمالها المناظر والمعالم الحقيقية التي قمتم بتصويرها بأنفسكم خلال زيارتكم لأشهر مدن العالم.

كاميرا سوني هاندي كام ٨ ملم الصغيرة... إمكانية شراءها الآن أفضل من أي وقت مضى.



٢,٩٩٠ ريال

CCD-V30 MK II

متوفرة بنظام بال أو إن.تي.إس.سي.

- أوتوفوكس.
- أوتوماتيكية بالكامل.
- عدسة زووم.
- خفيفة الوزن.
- عرض مباشر للتسجيل.
- شريط تسجيل ٨ ملم.
- ٣ ساعات للتسجيل.



أطلب السعر الخاص

CCD-V50
Handycam DIGITAL

- ضبط بؤري أوتوماتيكي ويدوي للعدسة.
- عدسة زووم لتكبير وتقريب المناظر البعيدة بنسبة ٦ مرات.
- عرض للساعة والتاريخ.
- جهاز تراكب رقمي.
- عرض مباشر للتسجيل مع أي جهاز تليفزيون.
- شريط تسجيل صغير ٨ ملم.
- ٣ ساعات للتسجيل.

8mm Video Camera Recorder
Handycam

Video 8

مراكز صيانة وقطع غيار سوني
جدة - مكة المكرمة - المدينة المنورة - خميس مشيط - حفر الباطن - الرياض - القصيم - الطائف - تبوك - الخبر - الدمام - الجبيل - الخرج - عرعر



المؤسسة الالكترونية الحديثة
MODERN ELECTRONICS ESTABLISHMENT
جدة - الرياض - الخبر